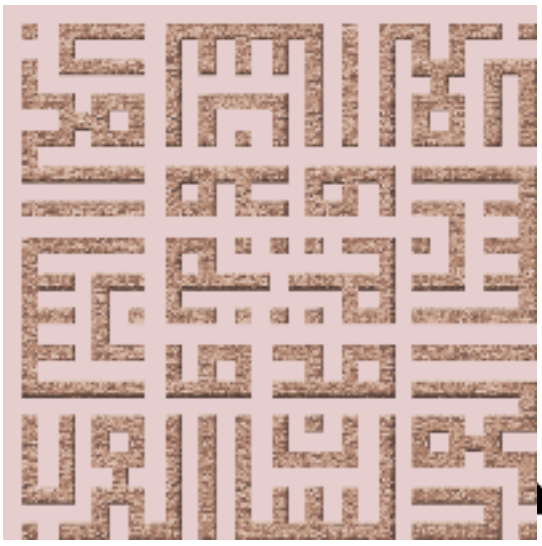

الشوقيات

شعر المرحوم

احمد شوقي

الجزء الثاني

يطلب من
المكتبة التجارية الكبرى

طبع على مطابع
دار الكتاب العربي في بيروت

باب الوصف

آيةُ الْعَصْر فى سَمَاءِ مِصْرَ

نظمت عند قدوم (فدرين) و(يونيه) طائرين من باريز إلى مصر سنة ١٩١٤ :

يافرنسا ، نِلْتِ أسبابَ السماءْ ... وتملَّكتِ مقاليدَ الجِواءْ(١)
غُلِبَ النَّسرُ على دولته ... وتنحَّى لك عن عرشِ الهواءْ
وأتتْكِ الريحُ تمشى أمَةً ... لكِ ـ ياباقيْسُ ـ من أوفى الإماءْ(٢)
رُوِّضتْ بعدَ جِماحٍ ، وجرتْ ... طوعَ سُلطانيْنِ : علمٍ ، وذكاءْ
لكِ خَيْلٌ بجَنَاحٍ أشبهت ... خَيْلَ جبريلَ لنصرِ الأنبياءْ
وبَريدٌ يسحبُ الليلَ على ... بُرُد(٣) فى البرِّ والبَحْرِ بِطاءْ(٤)
تطلعُ الشمسُ ، فيَجْرى دُونها ... فوقَ عُنْقِ الرِّيحِ ، أومتْنِ العَمَاءْ(٥)
رِحلةُ المشرقِ والمغربِ ما ... ليثتْ غيرَ صَبَاحٍ ومَسَاءْ
بُسلاءُ الإنسِ والجنّ فِدًى ... لِفريقٍ من بَنيكِ البُسلاءْ
ضاقت الأرضُ بهم ، فاتَّخَذُوا ... فى السَّمٰوات قبورَ الشهداءْ
فِتيةٌ يُمْسون جِيرانَ السُّها ... سُمَرَاءَ النجْمِ فى أوجِ العَلاءْ(٦)
حُوِّماً فوقَ جبالٍ لم تكن ... للرياحِ الهُوجِ يوماً بِوِطاءْ
لِسليمانَ بِساطٌ واحِدٌ ... ولهم أَلفُ بِساطٍ فى الفضاءْ
يركبُون الشُّهْبَ والسُّحْبَ إلى ... رِفْعَةِ الذكرِ ، وعَلياءِ الثناءْ

---

١ ــ أسباب السماء : مراقيها ، اوطرقها ، او نواحيها ، او ابوابها
٢ ــ الأمة : المملوكة ، وبلقيس : صاحبة نبى الله سليمان الذى سخرت له الريح ــ ٣ ــ برد : جمع بريد ــ ٤ ــ بطاء : جمع بطىء ــ ٥ ــ العماء : السحاب المرتفع ، أو الكثيف ، أوالمطر ، او الرقيق ــ ٦ ــ السها : كوكب خفى من بنات نعش الصغرى .

يا « نسوراً » هَبطوا «الوادى » على سالِف الحُبِّ ، ومَأْثورِ الوَلاء
دارُكم مصرُ ، وفيها قومُكم مرحباً بالأَقربينَ الكُرَماء
طِرتمُ فيها ، فطارت فرحاً بأَعزِّ الضيفِ خيْرِ النزلاء(١) .
هَل شجاكم فى ثَرى أهرامِها ما أَرَقْتُمْ من دُموع ودماء ؟
أين نَسرٌ قد تلقَّى قبلكم عِظة الأَجيالِ مِنْ أعلى بِناء ؟(٢)
لو شهِدتم عصرَه ! أضحى له عالمُ الأَفلاكِ معقودَ اللواء
جَرَحَ الأَهرامَ فى عِزّتها فمشى للقبر مجروحَ الإباء
أَخَذَتْ تاجاً بتاجٍ ثأْرَها وَجَزَتْ من صَلفٍ بالكبرياء(٣)
وتمنَّت لو حَوَت أَعْظُمَه بين أبناء الشموس العُظماء

* * *

جلَّ شأْنُ الله هادى خَلْقِه بهُدَى العِلم ، ونورِ العلماء
زفَّ من آياته الكبرى لنا طِلْبةً طال بها عَهدُ الرجاء
مركبٌ لو ساف الدهرُ به كان إحدى مُعجزاتِ القدَماء
نصفُه طيرٌ ، ونصفٌ بشرٌ ! يالها إحدى أعاجيب القضاء !
رائعٌ : مرتفعًا أو واقعاً . أَنْفَسَ الشجعانِ قبلَ الجبناء
مُسرَجٌ فى كلِّ حين ، مُلجَمٌ كامِلُ العُدّة ، مَرموقُ الرُّواء(٤)
كبِساطِ الريحِ فى القدرة ، أو هُدْهُدِ السيرةِ فى صِدق البلاء
أو كحُوتٍ يرتمى الموج به سابحٌ بين ظُهور وخَفاء
راكب ما شاء من أطرافه لا يُرَى من مركب ذى عُدَوَاء(٥)

---

١ ــ الضيف : النــزيل على غيره ويكون للواحد والجمع لأنه فى الأصل مصدر .
٢ ــ يريد به نابليون الأول ــ ٣ ــ الصلف : مجاوزة قدر الظرف .
٤ ــ الرواء : حسن المنظر ــ ٥ ــ مركب ذى عدواء : اى ليس بمطمئن .

ملأَ الجوَّ فعالاً ، وغدا عَجَبَ الغربانِ فيه والحِداء
وترى السُّحْبَ به راعِدةً من حديدٍ جُمِّعت ، لامن رَواء(١)
حمل الفولاذَ ريشاً ، وجرى فى عنانيْن له : نارٍ ، وماء
وجَنَاحٍ غيرِ ذى قادِمةٍ كجَناح النحل مصقولٍ سَواء(٢)
وذُنابَى ، كلُّ ريحٍ مسَّها مسَّهُ صاعقةٌ من كهرُباء
يتراءى كوكباً ذا ذَنَب فإذا جَدَّ فَسَهماً ذا مَضاء
فإذا جاز الثريّا للثرى جرّ كالطاوُوس ذيلَ الخُيَلاء
يملأُ الآفاقَ صوتاً وصدًى كعزيف الجنّ فى الأرض العَرَاء
أرسلته الأرضُ عنها خبراً طَنَّ فى آذانِ سكّانِ السماء

* * *

ياشبابَ الغدِ ، وأبناى الفِدَى لكُمُ ، أكْرِمْ وأعززْ بالفِداء
هل يمدُّ اللهُ لى العيشَ ، عسى أن أراكم فى الفريقِ السُّعَداء ؟
وأرى تاجَكُمُ فوق السُّها وأرى عرشَكُمُ فوق ذُكاء؟(٣)
مَن رآكم قال : مصرُ استرجعتْ عِزَّها فى عهد «خوفو» و «منا»
أمَّةٌ للخلد ما تبنى ، إذا ما بنى الناسُ جميعًا للعَفاء(٤)
تَعْصِمُ الأجسامَ من عادى البلا وتَقِى الآثارَ من عادى الفناء
إن أسأنا لكُمُ ، أو لم نُسِئْ نحن هَلْكَى ، فلكم طولُ البقاء
إنما مصرُ إليكمْ وبكمْ وحُقوقُ البرِّ أولى بالقضاء
عَصرُكم حرٌّ ، ومُستقبَلُكم فى يمين الله خيرِ الأمناء
لا تقولوا : حطَّنا الدّهرُ ، فما هو إلّا من خيالِ الشعراء

---

١ ــ الرواء : الماء العذب ــ ٢ ــ القادمة : واحدة القوادم ، وهى عشر ريشات فى مقدم الجناح ، وهى كبار الريش ــ ٣ ــ ذكاء : اسم للشمس ــ ٤ ــ العفاء : الدروس والهلاك والفناء

هل علمتمْ أُمةً فى جَهلها ظهرتْ فى المجد حسناءَ الرِّداء ؟
باطِنُ الأُمةِ من ظاهِرِها إنما السائلُ مِن لونِ الإناء
فخُذوا العلمَ على أعلامه واطلبوا الحكمةَ عندَ الحكماء
واقرءُوا تاريخَكم ، واحتفظوا بفصيح جاءكمْ من فصحاء
أنزلَ اللهُ على ألسُنهِم وَحْيَه فى أعْصُر الوَحْيِ الوِضاء(١)
واحكموا الدنيا بسلطانٍ ، فما خُلِقتْ نَضْرَتُها للضعفاء
واطلبوا المجد على الأرض ، فإن هى ضاقت فاطلبوهُ فى السماء

شِيكِسْبِير

أعْلى الممالكِ ماكرسيُّه الملأ وما دِعامتُه بالحقّ شَمَّاء(٢)
ياجيرةَ (المَنَش) ، حَلَّاكم أبُوَّتُكم ما لم يُطَوِّقْ به الأبناءُ آباء
مُلكٌ يطاول ملكَ الشمس ، عِزَّتُه فى الغرب باذخةٌ ، فى الشرق قَعْساء(٣)
تأْوى الحقيقةُ منه والحقوقُ إلى رُكن بَناهُ من الأخلاق بَنَّاء
أعلاه بالنظرِ العالى ، ونطَّقه بحائط الرأى أشياخٌ أجِلَّاء
وجَاطَهُ بالقَنا فِتيانُ مملكةٍ فى السلم زَهرُ رُبًى ، فى الروع أرزاء
يُسْتَصْرَخون ، ويُرجَى فضلُ نَجدتِهم كأنهم عربٌ فى الدهر عَرباء(٤)
ودولةٌ لا يراها الظنُّ من سَعَة ولا وراء مداها فيه عَلْياء
عصماء ، لا سببُ الرحمنِ مُطَّرَح فيها ، ولا رَحِمُ الإنسانِ قَطْعاء

---

١ ــ الوضاء : المشرقة الحسنة ــ ٢ ــ الدعامة أو الدعام : عماد البيت .
٣ ــ قعساء : اى ثابتة ــ ٤ ــ العرباء من العرب : الصرحاء الخالص

تلك (الجزائرُ) كانت تحتَهم رُكُنًا ... وراءهُنَّ لباغى الصَّيدِ عَنْقَاءُ(١)
وكان وُدُّهُم الصافى ونُصْرَتُهم ... للمسلمين وراعيهم كما شاءُوا

* * *

دستورُهم عجبُ الدنيا ، وشاعرُهم ... يَدٌ على خلقهِ لله بيضاءُ
ماأنجبتْ مثلَ (شيكسبيرَ) حاضرَةٌ ... ولا نَمتْ من كريم الطير غَنَّاءُ(٢)
نالتْ به وَحْدَه (إنكلترا) شرفاً ... مالم تنلْ بالنجوم الكُثْر جَوْزاءُ(٣)
لم تُكْشَف النفسُ لولاهُ ، ولابُلِيت ... لها سرائرُ لا تُحصَى وأَهْوَاءُ(٤)
شِعرٌ من النَّسَق الأعلى ، يُؤيِّدُه ... من جانب الله إلهامٌ وإيحاءُ
من كلّ بَيْتٍ كآىِ الله ، تسْكنُه ... حَقيقةٌ من خيَال الشِّعر غرَّاءُ(٥)
وكلُّ معنًى كعيسى فى محاسنه ... جاءتْ به من بناتِ الشعر عَذراءُ
أو قِصَّةٍ ككتابِ الدهر جامعةٍ ... كِلاهُما فيه إضحاكٌ وإبكاءُ
مهما تُمَثِّلْ تُرَ الدنيا مُمَثَّلةً ... أو تُتْلَ فهى من الإنجيل أجْزاءُ

* * *

ياصاحبَ العُصُرِ الخالى ، ألا خَبَرٌ ... عن عالَمِ الموْتِ يَرْوِيه الأُلِبَّاءُ؟(٦)
أما الحياةُ ، فأَمْرٌ قد وصفتَ لنا ... فهل لِمَا بعدُ تمثيلٌ وإدناءُ؟(٧)
بمن أماتك قل لى : كيف جُمجمةٌ ... غبراءُ فى ظُلمات الأرض جَوْفاءُ؟(٨)
كانتْ سماءَ بيانٍ غيرَ مُقْلِعةٍ ... شُؤبُوبُها عَسَلٌ صافٍ وَصهباءُ(٩)
فأصبحت كأَصِيصٍ غير مُفتقَد ... جفَتْه ريحانة للشعر فَيْحاءُ(١٠)
وكيف بات لِسَانٌ لم يدع غرضاً ... ولم تَفتْه من الباغين عوْراءُ(١١)

---

١ ــ طائر معروف الاسم مجهول الجسم ــ ٢ ــ الروضة الكثيرة العشب ــ ٣ ــ الجوزاء برج فى السماء ــ ٤ ــ بليت امتحنت ــ ٥ ــ ناصعة
٦ ــ الألباء : العقلاء ، جمع لبيب ــ ٧ ــ أدنى الشىء : قربه اليه .
٨ ــ جوفاء : فارغة ٩ ــ مقلعة : ذاهبة ، والشؤبوب : الدفعة من المطر . ١٠ ــ الأصيص : نصف الجرة يزرع فيها الرياحين
١١ ــ العوراء : الكلمة أو الفعلة القبيحة .

عفا ، فأمْسَى زُنابَى عقربٍ بَلِيَتْ وسُمُّها فى عروقِ الظلم مشّاءُ
وما الذى صنعتْ أيدى البلى بيَد لها إلى الغيب بالأقلامِ إيماءُ ؟
فى كلِّ أُنْمُلة منها إذا انبَجَسَتْ بَرْقٌ ، ورَعْدٌ ، وأرواحٌ ، وأنواءُ(١)
أمسَتْ من الدُّودِ مثلَ الدُّودِ فى جَدَثٍ قُفَّازُها فيه حَصباءٌ وبَوغاءُ(٢)
وأيْنَ تحت الثرى قلبٌ جَوَانبُه كأَيْن لوادى الحقِّ أرْجَاءُ ؟
تُصْغى إلى دَقِّه أذْنُ البيان ، كما إلى النواقيس للرُّهبانِ إصْغاءُ
لئن تمشّى البلى تحت التراب به لا يُؤْكَلُ الليثُ إلا وهْوَ أشلاءُ(٣)

* * *

والناسُ صِنْفَان : موتَى فى حَيَاتِهُمُ وآخرُون ببطنِ الأرضِ أحْيَاءُ
تأْبَى المواهبُ ، فالأحياءُ بينهُمُ لا يستَوُون ، ولا الأمواتُ أكفاءُ
ياواصِفَ الدّم يجرى هٰهنا وهُنا قُمِ انْظر الدّمَ ، فهْو اليومَ دَأْمَاءُ(٤)
لامُوكَ فى جَعْلِكَ الإنسانَ ذِئبَ دَمٍ واليومَ تبدو لهم من ذاك أشياءُ
وقيل : أكْثَرَ ذِكرَ القتل ، ثم أتوْا ما لم تَسَعْهُ خيالاتٌ وأنباءُ
كانوا الذئابَ ، وكان الجهلُ داءَهُمو واليومَ عِلمُهُمُ الراقى هو الداءُ
لوْمُ الحياة مَشَى فى الناس قاطبةً كما مَشَى آدمٌ فيهم وحَوّاءُ
قمْ أيِّدِ الحقَّ فى الدنيا ، أليس له كتيبةٌ منكَ تحت الأرضِ خَرْسَاءُ؟
وأين صوتٌ تَميدُ الراسياتُ له كما تمايَدَ يومَ النار سَيناءُ؟(٥)
وأين ماضيةٌ فى الظلم ، قاضيةٌ ؟ وأين نافذةٌ فى البَغْى ، نَجْلاءُ؟
أيتركُ الأرضَ جانوها وليس بها صحيفةٌ منك فى الجانين سوداءُ ؟
تأْوى إليها الأيَامَى ، فهْىَ تعزِيَةٌ ويَسْتريحُ اليتامَى ، فهْى تأْسَاءُ(٦)

---

١ ــ انبجست : اى انفجرت ــ ٢ ــ الحصباء : الحصى ، الواحدة حصبة ، والبوغاء : مايثور من الغبار ودقاق التراب . ــ ٣ ــ اشلاء واحدها شلو : العضو والجسد من كل شىء . ــ ٤ ــ الدأماء : البحر .
٥ ــ يريد النار التى ظهرت لموسى الكليم وهو سائر بأهله شطر طورسينا . ــ ٦ ــ ايامى : جمع ايم ، وهى المراة التى تفقد زوجها ، او الرجل الذى يفقد امراته ، وتأساء : تعزية وتسلية .

أَثَرُ الْبَالِ فى الْبَال

فى وصف ليلة راقصة إقيمت فى قصر عابدين

حَفَّ كأْسَها الحبَبُ فهى فِضة ذَهَبُ(١)
أو دوائرٌ دُرَرٌ مائجٌ بها لَبَبُ(٢)
أو فمُ الحبيبِ ، جلا عن جُمانِهِ الشَنَبِ(٣)
أَو يَدٌ ، وباطِنُها عاطِلٌ ومختضِب
أو شَقيقٌ وجنتِه حينَ لى به لعِب(٤)
راحةُ النفوسِ ، وهَل عند ، راحةٍ تعَب
ياندِيمُ ، خِفَّ بها لا كبّا بكَ الطرب
لا تقلْ : عواقبُها فالعواقبُ الأَدب
تنجلِى ولى خُلُق ينجلى وينسكِب
يرقُب الرفاقُ له كلما سَرَى شرِبوا
شاعرُ العزيز ، وما بالقليل ذا اللقب
ليلةٌ لسيِّدِنا فى الزمان تُرتَقب
دونها الرشيدُ ، وما أخلَدْت . له الكتُب

---

١ ـ الحبب : الفقاقيع التى تملو الخمر
٢ ـ اللبب : موضع القلادة من الصدر .
٣ ـ جلا : أى كشف . والجمان : اللؤلؤ . والشنب : عذوبة الأسنان .
٤ ـ الشقيق : واحد شقائق النعمان ؛ وهى أزاهر حمراء فيها بقع سوداء .

يُهْرَعُ النزيلُ لها والرّعيّةُ النُّخَبُ(١)
فالسراىُ جَوْهرةٌ للعُقول تَختَلِب
أو كبَاقة زهْرَا لِلعُيون تأْتشِب(٢)
الجَلالُ قبّتُه والسّنا لهُ طُنُب(٣)
ثابتٌ ، وذِرْوتُهُ فى الفضاء تضطرب
أشرقت نوافِذهُ فهْىَ مَنظرٌ عجَب
وٱستنارَ رفرَفهُ والسُّجوفُ والحُجُب(٤)
تعجَب العيونُ له كيف تَسكنُ الشُّهُب ؟(٥)
أقبلتْ شموس ضُحًى ما لهن مُنتقَب(٦)
الظلامُ رَايتُها وهْىَ جَيْشُهُ اللَّجِب(٧)
فى هَوَادجٍ عَجَلًا بالجيادِ تنسَحِب
قامَ دُونها سَببٌ وٱستحثَّها سبب(٨)
فهْىَ تارةً مَهَلٌ وهْىَ تارةً خَبَب(٩)
تَرْتمى بهنّ حِمًى لا يَجوزُه رَغب(١٠)
بابُه لِداخِلِهِ جَنّةٌ ، هى الأَرَب

---

١ ــ النخب : جمع نخبـــة وهى المختار من كل شىء .
٢ ــ اٱتشب الشجر : التـــف ، والزهرا : الزهراء .
٣ ــ السناهنا مقصور من السناء بمعنى الرفعة . والطنب : الوتد ، او الحبل الذى يشد به سرداق البيت ــ ٤ ــ الرفرف : الرقيـــق من ثياب الديباج . والسجوف : الستور جمع سجاف . ــ ٥ ــ يشبه مصـــابيح القصر بشهب ثابتة . ــ ٦ ــ المنتقب : النقاب . ــ ٧ ــ الجيش اللجب : ذو الكثرة والضجيج ــ ٨ ــ السبب : الحبل ، ويشير به اولا الى زمام الدابة ، وثانيا الى سوط السائق . ــ ٩ ــ الخبب : سرعة عدو الجيـاد .
١٠ ــ ترتمى : بمعـــنى تنرمى ، والرغب : الابتهال ، والمعنى انها تذهب بهن الى ملجأ هو وحده غاية الراجى وكعبة الضارع .

قامتِ السّراةُ به والمِيَّةُ النجُبُ(١)
وابتزّى النساءُ له عُجْمُهُنّ ، والعرَبُ
العفافُ زينتُها والجمالُ ، والحسَب
أنْجُمٌ ، مَطالِعُهَا عابدينُ والرَّحَب(٢)
سيِّدى لها فلَكٌ وهْيَ منه تقترب
عنْد رُكن حُجْرَتِه بَدْرُه لنا كَثَب(٣)
يزدهى السَّرِيرُ به والمطارِفُ القُشُب(٤)
حَوْلَ عَرْشِه عَجَمٌ حوْل عرشِه عَرَب
رُتبةُ الجُدُودِ له تستوى بها الرُّتَب
شُرِّفْت به وسَما تالِدٌ ، ومُكْتَسَب(٥)
الليوثُ ماثِلةٌ والظباءُ تنسَرِب
الحريرُ ملبَسُها واللُّجَيْنُ ، والذهب(٦)
والقصورُ مَسْرَحُها لا الرِّمالُ ، والعُشُب
يستفزُّها نَغَمٌ لا صدًى ، ولا لجَب(٧)
يُستعادُ مُرْقِصُه تارةً ويُقْتَضَب
فالقدودُ بانُ رُبًى بَيْدَ أنها تثِب(٨)
يلعبُ العِناقُ بها وهْوَ مُشْفِقٌ حَدِب(٩)

---

١ ــ السراة : جمع سرى ، وهوالسيد الشريف فى سخاء ومروءة . والنجب : جمع نجيب ، وهو الكريم الحسيب . ــ ٢ ــ الرحب : جمع رحبة ، وهى الأرض المتسعة . ــ ٣ــ الكثب : القريب . ــ ٤ ــ المطارف : أردية من خز . والقشب : الجدد . ــ ٥ ــ التالد : القديم .
٦ ــ اللجين : الفضة . ــ ٧ ــ اللجب : الضجيج .
٨ ــ البان : شجر سبط القوام لين ويشبه به القد لطوله
٩ ــ الحدب : العطوف .

فهْىَ مَرَّةً صُعُدٌ وهْىَ مرَّةً صَبَب(١)
وهْىَ هٰهنا ، وهُنا تَلتقى ، وتَصْطحِب
مِثلما التقتْ أَسَلٌ أوْ تعانقتْ قُضُب(٢)
الرءوسُ مائلةٌ فى الصدور تحتجِب
والنُّحورُ قائِمةٌ قاعدٌ بها الوَصَب(٣)
والنُّهودُ هامِدةٌ والخدودُ تلتهب
والخصورُ واهيةٌ بالبنان تَنْجَذِب
سالتِ الأَكفُّ بها فهْىَ أغْصُنٌ نُهب(٤)
الخوانُ دائِرةٌ المَلَا لها قُطُب(٥)
للوفودِ مائدةٌ منه أينما انقلَبوا
والطريقُ مُتَّصلٌ نحوَه ، ومُنشعِب
والطعامُ حاضِرهُ والمزيدُ مُنْتَهَب
باردٌ ، ومِن عَجَبٍ يُشتهَى ، ويُطَّلب
سائغٌ لِذِى سَغَبٍ سائغٌ ولا سَغَب(٦)
حاضرٌ لدَى طَلَب حاضرٌ ولا طلب
والمُدامُ أكؤُسُها ما تغيضُ والعُلَب(٧)

---

١ ــ الصعد : جمع صعد بكسر العين وهو المرتفع . والصبب : المنحدر .
٢ ــ الأسل : الرماح . والقضب : السيوف . ــ ٣ ــ الوصب : التعب .
٤ ــ النهب : جمع نهبة ، وهى المنهوب .
٥ ــ الخوان ــ بكسر الخاء وضمها ــ : ما يوضع عليه الطعام . والقطب ، بتسكين الطاء ويخفف : سيد القوم . ــ ٦ ــ السغب : الجوع .
٧ ــ العلب : نوع من الأقداح الضخمة .

وهْىَ بيننا سَلَبْ والنُّهَى لها سَلَب(١)
شَرُفتْ منافِحُها واعتلى بها العِنب
حَوْلَها الحوائمُ ، ما ينقضى لها قَرَب(٢)
يغتبِطْنَ فى حَرَم لا تناله الرِّيَب
ما سِوى الحديث به يُبتغى ويُجتذَب
هكذا الكرامُ : كرا مٌ «وإن همو طَربوا»
ليلةٌ علَتْ . وغلَتْ ليتَ فجْرَها كَذِب
يكفلُ الأميرُ لنا أن تعيدَها الحِقب(٣)
عاش للندَى مَلِكٌ سيِّدٌ لنا ، وأَبُ
حاتمُ الملوكِ إذا ضاق بالنَّدَى النَّشَب(٤)
السرورُ أنعُمُه والهناءُ ما يَهب
والنَّدَى سجيَّتُه والحنانُ ، والحَدَب(٥)
يا عزيزُ ، دام لنا رَوْضُ عِزِّك الأَشِب(٦)
هذه عروسُ نُهًى فى القبول تَرتغِب(٧)
زفَّها لكم . وجَلا شاعرُ الحِمَى الأَرِب
احتفى الحضورُ بها واكتفى بها الغَيَب(٨)
أنتم الظلالُ لنا والمنازلُ الخُصُب
لو مَدَحْتكم زَمَنِى لم أقم بما يَجب

---

١ ــ السلب : مايسلب وينهب .
٢ ــ الحوائم : العطاش . والقرب : سير الليل لورد الغد .
٣ ــ الحقب : جمع حقبة وهى هنا بمعنى السنة . ــ ٤ ــ الندى : الكرم ، والنشب : العقار أو المال
٥ ــ الحدب : العطف والاشفاق .
٦ ــ الروض الأشب : الملتف .
٧ ــ ارتغب فى الامر : رغب فيه .
٨ ــ الغيب : جمع غائب .

مَرْقَصْ

نظمت هذه القصيدة فى وصف مرقص اقيم بسراى عابدين سنة ١٩٠٤

مالَ واحتجبْ وادَّعَى الغضبْ
ليت هاجرى يشرحُ السبب
عَتْبُه رضًى ليته عتب
علٌّ بيننا واشياً كذب
أو مفنِّدًا يخلُقُ الرِّيَب(١)
مَن لِمُدْنَفٍ دمعُه سُحُب ؟(٢)
بات متعَباً هَمُّهُ اللَّعِب
يستوى خَلٍ عندَه وَصَب
ذقتُ صدَّه غيرَ محتسِب
ضقتُ فيه بالرُّسْل والكتب
كلما مَشى أخجل القُضُب
بيْن عَدِنه والمها نسب
ماءُ خدِّه شفَّ عن لَهب
ساقَ الطِّلا شُرْبُها وجب(٣)
هاتِها مَشَتْ فوقها الحِقب(٤)
بابِلِيَّـــــــةٌ تنفثُ الحبَب(٥)
إن كَرْمَها آدمٌ العِنَب

---

١ ــ مفند : مكذب
٢ ــ المدنف : الذى أثقله المرض .
٣ ــ الطلاء : الخمر .
٤ ــ الحقب : جمع حقبة ، وهى السنة .
٥ ــ الحبب : الفقاقيع التى تعلو الماء والخمر

هُذِّبَتْ فنى دَنُّها الأدب
اِسْقِها فتًى خيرَ مَن شرِب
كلما طغى راضَها الحسب
(عابدينُ) أمْ هالةٌ عجب ؟(١)
أُسُّهُ الهدَى والعُلا طُنُب(٢)
مُشرِفُ الذرى مالجُ الرَّحَب
قام ربُّه يرفع الحجُب
عند عرشِه عَرِش (مِنْحُتب)
دون عِزِّه (تُبَّعُ) الغَلَب
السُّراةُ من وفْده النُّخَب
حول مُدَّة حَقُّها الرَّغَب
طابَ عِندَها الـ مُعْجَمُ والعَرَب
وارتضى المَلا من بنى الصُّلُب
مِن حِسانِهم سِربٌ انسرَب
بين كوكبٍ يَسحَب الذَّنَب
عند جُؤْذَرٍ فاتنٍ الشنب(٣)
عند شادنٍ حاسِر اللَّبَب(٤)
تَذهبُ الذُّهَى أينما ذهب
يُلْفِتُ الملا كلما وثب

---

١ ــ الهالة : دارة القمر . ٢ ــ الطنب : حبل طويل يشد به سرادق البيت او الوتد . ٣ ــ الشنب : ماء ورقة وعذوبة فى الأسنان .
٤ ــ الشادن : ولد الظبية . واللبب : المنحر ، وموضع القلادة من الصدر .

في غلائلٍ سُندسٍ قُشُب(١)
دونهنَّ لا يثبت اليَلَب(٢)
قرّ نَهْدُه عِطْفُه اضطرب
خصرُه هيا صدره صبَب
يُرْكِضُ النُّهَى مَنْيُهُ الخَبَب
راتعاً كما شاء في الكتب
آنساً إلى شِبهِهِ انجذب
يستخِفُّـــــه أينما انقلب
مُطربٌ من الـ لَحْنِ مُنتَخَب
يَجمَعُ المَلا يُحضِر الغَيَب
ما حدا المها قبلَه طرِب

* * *

يا ابنَ خير أَب يا أَبا النُجُب
أنت (حاتمٌ) للقِرَى انتدب
في خِوانِه كُلُّ ما يجب
لم تقمْ على مِثلِه القُبَب
أنهلَ البرا يا وما نضب
أطعم الورى لم يقل جدب
ما بهمْ صدًى ما بهم سغب(٣)

---

١ ــ قشب : جمع قشيب وهو الجديد ، والقشيب ايضا : الابيض والنظيف .

٢ ــ اليلب : الترسة او الدروع اليمانية من الجلود وقيل جلود يخرز بعضها الى بعض تلبس على الرؤوس ، واليلب : الفولاذ ، واليلب : خالص الحديد .

٣ ــ الشبغب : الجوع : وقيل لا يكون الا مع تعب .

قمْ أبا (نوا سِ) انظر النّشب(١)
ما الخصيبُ؟ ما الـ بحرُ ذو العُبُب ؟
هل عهدتَه يُمطِرُ الذهب ؟
ذا هو الجنا بُ الذى خصب
ظلَّلَ الورى روضُه الأَشِب(٢)
خيرُ من دعا خيرُ من أدَب(٣)

* * *

(رَبَّ مصر) ، عشْ وابْلُغِ الأَرب
لم تزل ليا ليك تُرتَقب
مثلَ صفوِها الـــــدّهرُ ما وهب
أحبِبها لنا عِدَّةَ الشُّهب
هاكَ مِدْحة الشـــــاعر الأَرِب(٤)
زفَّها إلى خيرِ منْ خَطب
فارسِـــــيَّةٌ بزّتِ العَرَب
لم يجِئْ بها شاعرٌ ذهب
إن تُراعِها تسمَعِ العَجَب(٥)
بيدَ أنها بعضُ ما وجَب

---

١ ــ النشب : المال والعقار ٢ ــ الاشب : الملتف . ٣ ــ أدب : أقام المأدبة . ٤ ــ الأرب : الماهر البصير ٥ ــ تراعها : تصغ اليها .

تَحْلِيَةُ كِتَاب

قيلت بمناسبة تأليف كتاب فتح مصر الحديث لحافظ بك عوض

صفة الكتاب – صفة التاريخ – صفة الجبرتى – واقعة الأهرام

أنا من بدَّل بالكتْبِ الصِّحابَا ... لم أجِد لى وافيًا إلا الكِتابا
صاحبٌ – إن عِبتَه أو لمْ تعِبْ – ... ليسَ بالواجد للصاحبِ عابا
كلّما أخلقتُه جَدَّدَنى ... وكسانى من حلى الفضل ثيابا
صُحبةٌ لم أشْكُ منها رِيبةً ... ووِدادٌ لم يُكلِّفنى عتَابا
رُبَّ ليلٍ لم نُقصِّر فيه عن ... سَمَرٍ طالَ على الصمت وطابا
كان من همٍّ نهارى راحتى ... ونداماىَ . ونَقْلى . والشرابا(١)
إن يَجِدْنى يتحدَّثْ ، أو يَجِدْ ... مَلَلاً يَطوى الأحاديثَ اقتضابا
تجدُ الكُتْبَ على النقدِ كما ... تجدُ الإخوانَ صِدقاً وكِذَابا
فتَخيَّرْها كما تختاره ... وادّخِر فى الصَّحْب والكُتْبِ اللُّبابا
صالحُ الإخوانِ يبغيكَ التُّقَى ... ورشيدُ الكتْب يَبغيك الصوابا

* * *

غالِ بالتاريخ ، واجعل صُحْفَهُ ... مِن كتابِ الله فى الإجلال قابا
قلِّب الإنجيلَ ، وانظر فى الهدَى ... تَلقَ للتاريخ وزنًا ، وحِسابا
رُبَّ مَن سافر فى أسفارِه ... بليالى الدهرِ والأيامِ آبا
واطلب الخُلْدَ ، ورُمْهُ مَنزِلًا ... تجد الخُلدَ مِن التاريخ بابا
عاشَ خَلْقٌ ، ومَضوْا ، ما نَقصوا ... رُقعَةَ الأرضِ ، ولا زادوا التُّرابا

---

(١) النقل بالفتح : ما يتنقل به على الشراب من فستق وتفاح ونحوهما.

أخذَ التاريخُ مما تركوا عملًا أحسنَ ، أو قولًا أصابا
ومن الإحسانِ ، أو من ضِدِّهِ نجَح الراغبُ فى الذكر ، وخابا
مَثَلُ القَوْمِ نَسُوا تاريخَهُم كلقيطٍ عَىَّ فى الناس انتسابا
أو كمغلوبٍ على ذاكِرة يشتكى من صِلةِ الماضى انقضابا(١)

* * *

يا أبا «الحُفَّاظِ» ، قد بلَّغتنا طِلْبةً ، بَلَّغك اللهُ الرِّغابا
لكَ فى الفتح وفى أحداثِهِ فَتحَ اللهُ حديثًا وخِطابا
مَن يُطالعْه ، ويستأنِس به يجِد الجِدَّ ، ولا يَعدَم دِعابا
صُحُفٌ أَلَّفْتَهَا فى شِدَّةٍ يتلاشى دونها الفكرُ انتهابا
لغة «الكامل» فى استرساله «وابنِ خَلْدُون» إذا صحَّ وصابا
إنَّ للفصحَى زِماماً ويَدًا تَجنِب السهلَ ، وتقتادُ الصِّعابا(٢)
لغةُ الذكرِ ، لسانُ المُجْتبى كيف تعْيا بالمُنادين جوابا ؟
كلُّ عَصْرٍ دارُها إن صادفت منزلاً رحْبًا ، وأهلاً ، وجَنابا(٣)
إئتِ بالعُمرانِ رَوْضًا يانعًا واذْعُها تجرِ يَنابيعَ عِذابا
لا تجِشها بالمتاع المُقْتَنَى سَرَقاً من كلِّ قوم ونِهابا
سَل بها أندَلُسًا : هل قَصَّرت دون مضمارِ العُلى حين أهابا ؟
غُرِسَتْ فى كلِّ تُرْبٍ أَعْجَمٍ فزَكتْ أصلاً ، كما طابت نِصابا
ومَشتْ مِشْيَتَها ، لم ترتكِب غيرَ رِجْلَيْهَا ، ولم تحجل غُرابا(٤)

* * *

إنَّ عَصرًا قمتَ تجلوه لنا لبِس الأيامَ دَجْنا وضَبابا(٥)

---

(١) انقضابا : انقطاعا . ٢ — تجنب : تنحى . ٣ — الجناب : الفناء (٤) لم تحجل غرابا : كناية عن انها لم تقلد كما قلد الغراب الطاوس
(٥) الدجن : الباس الغيم الأرض .

المماليك تمشّى ظلمُهم ظُلماتٍ ، كدُجى الليل حِجاباً
كلُّهم كافورُ ، أو عبدُ الخَنَا غيرَ أنَّ المتنبى عنه خابا ؟(١)
ولكلٍّ شِيعةٌ من جنسِه إن للشرّ إلى الشرّ انجذابا
ظلماتٌ لا ترى فى جُنْحِها غيرَ هذا الأزهرِ السمْحِ شِهابا(٢)
زيدتِ الأخلاق فيه حائطاً فاحتمى فيها رِواقاً وقبابا
وترى الأعزَالَ من أشياخِه صَيَّروه بسلاح الحقّ غابا(٣)
قسَماً لولاه لم يبقَ بها رَجُلٌ يقرأُ أو يَدرى الكتابا
حَفِظَ الدينَ مَلِيًّا ، ومضى يُنقِذُ الدنيا ، فلم يَملِك ذَهابا(٤)
أوذِيَتْ هَيْبَتُه مِن عَجزه وقُصَارَى عاجزٍ أن لا يُهابا
لم تغادر قلماً فى راحة دَوْلَةٌ ما عَرَفَتْ إلا الحِرابا
أقعدَ اللهُ (الجبرتىَّ) لها قلماً عن غائب الأقلام نابا(٥)
خَبَّأَ (الشيخُ) لها فى رُدْنِه مِرقماً أدهى من الصِّلِّ أنسيابا(٦)
مَلِكٌ لم يُغْضِ عن سَيِّئةٍ يالَه من مَلِكٍ يَهْوَى السِّبابا(٧)
لا يراه الظُّلمُ فى كاهِلِه وهو يكوى كاهلَ الظلم عِقابا
صُحُفُ (الشيخِ) ، ويَوْمِيَّاتُه كزمان الشيخ سُقماً واضطرابا
من حواشٍ كجَلِيدٍ لم يذبْ وفصولٍ تشبِه التِّبرَ المُذابا
و (الجبرتىُّ) على فِطنَتِهِ مَرَّةً يُغْبَى . وحيناً يتغابَى(٨)

---

(١) كافور : هو كافور الاخشيدى ممدوح المتنبى . وعبد الخنا :اى كافور .
(٢) الأزهر : يعنى به معهد الأزهر . — ٣ — الأعزال : الذين لاسلاح لهم .
(٤) لم يملك ذهابا : أى لم يستطع . — ٥ — الجبرتى : المؤرخ المعروف . ٦ — الشيخ يعنى به الجبرتى . والردن : أصل الكم . وكانت العرب تضع فيه الدراهم والدنانير . والمرقم : القلم . والصل : الثعبان .
(٧) السباب : السب . ٨ — يتغابى : يتغافل .

مُنصفٌ ما لم يَرُضْ عاطفةً . أو يُعالج لهوى النفسِ غلابا(١)
وإذا الحيُّ تَوَلَّى بالهوى سيرةَ الحيِّ بَغَى فيها وحابَى

* * *

وقعةُ الأهرامِ جلَّتْ مَوْقِعًا وتعالت فى المغازى أن ترابا(٢)
عِظةُ الماضى ، ومُلقَى دَرْسِه لعقولٍ تجعلُ الماضى مَثابا(٣)
من بناتِ الدهرِ ، إلا أنها تَنشُر الدهر وتطويهِ كَعَابا(٤)
ومن الأيامِ ما يَبقى وإن أمْعَن الأبطالُ فى الدهر احتجابا
هى من أىِّ سبيلٍ جِئْتَها غايةٌ فى المجدِ لا تدنو طِلابا
أنظُر الشرقَ تَجِدها صَرَّفتْ دولةَ الشرقِ استواءً وانقلابا
جلبتْ خيرًا وشرًّا ، وسَقتْ أُمَمًا فى مهدِهم شُهْدًا وصابا(٥)
فى (تصيبينَ) لبسْنَا حُسنَها وعلى التَلِّ لبسناها مَعابا(٦)
إن سِرباً زَحفَ (النَّسرُ) به قطعَ الأرضَ بِطاحاً وهِضابا(٧)
إن ترامتْ بلدًا عِقبانُه خَطفتْ تاجاً ، وآصطادت عُقابا(٨)
شَهِد (الجيزىُّ) منهم عُصْبةً لبسوا الغارَ على الغار اعتصابا(٩)
كذئابِ القفرِ من طول الوغى واختلاف النَقع لوناً وإهابا(١٠)
قادَهم للفتح فى الأرض فتًى لو تأنَّى حظَّه قادَ السحابا
غَرَّت الناسَ به نكبتُه جَمَعَ الجُرحُ على الليثِ الذبابا

---

(١) غلابا : أى مغالبة ٢ ــ المغازى : وقائع الحروب والمعانى . ترابا ، أى يشك فى قيمتها بالنظر لعظيم اثرها فى مستقبل الشرق .
(٣) مثابا : أى مرجعا .
(٤) بنات الدهر : أى شدائده . وكعاب : أى وهى صبية لم تكبر .
(٥) الصاب عصارة شجر مر ــ ٦ ــ نصيبين أكبر الوقائع واشهرها بين ابراهيم بن محمد على وبين الأتراك . التل: واقعة التل الكبير المشهورة التى جرت على مصر الاحتلال الانجليزى . ٧ ــ النسر: يعنى به نابليون.
(٨) عقبان : واحدها عقاب وهو طائر من الجوارح . ٩ ــ الجيزى: يعنى به هرم الجيزة . واعتصب : تتوج . ١٠ ــ النقع : الغبار : والاهاب : الجلد .

بَرَزَت بالمنظرِ الضاحى لهم فيلق كالزهر حُسْنًا والتهابا ؟(١)
حُلَّىَ الفُرسانُ فيها جوهرًا وجِلالُ الخيلِ دُرًّا وذَهابا(٢)
فى سلاح كحُلِيِّ العِيد ، ما لمَسَت طَعْنًا ، ولا مَسَّتْ ضِرابا
طرِحَت مصرٌ ، فكانت (مُومِيَا) بين لِصَّيْن أراداها جُذابا
نالها الأَعرضُ ظفرًا منهما من ذئاب الحربِ ، والأَطولُ نابا
وبنو الوادى رِجالاتُ الحِمَى وقفوا من ساقة الجيش ذُنابى
موقفَ العاجز من حلفِ الوغى يَحرُسُ الأَحمالَ ، أو يسقى مُصابا

الرَّبِيعُ وَادِى النِّيلِ

الى (هول كين) الكاتب الروائى الشهير

آذارُ أَقبلَ ؛ قُمْ بنا يا صاحِ حيِّ الربيعَ حديقةَ الأَرواحِ
واجمعْ نَدامى الظَّرفِ تحت لوائه وانشرْ بساحتِه بساطَ الرَّاحِ
صفوٌ أُتِيحَ ، فخذْ لنفسِكِ قِسطَها فالصفوُ ليس على المَدَى بمُتاح
واجلس بضاحكة الرياضِ مُصَفِّقًا لتجاوُبِ الأَوتارِ والأَقداح
واستأْنِسَنّ من السُّقاةِ برُفقَةٍ غُرٍّ ، كأَمثال النجوم ، صِباح
رقَّتْ كنُدمان الملوك خلالُهُم وتجمَّلوا بمروءةٍ وسَماح
واجعل صَبوحَك فى البكور سَلِيلةً للمنجِبَيْنِ : الكرْمِ والتفاح(٣)
مهما فضضتَ دِنانَها فاستضحكت مُلِئَ المكانُ سَنًى ، وطيبَ نُقاح
تطغَى ، فإن ذكرتْ كريمَ أُصولها خلعت على النشوان حِلْيَةَ صاحى

---

(١) الضاحى : البارز . والزهر : يعنى بها النجوم ٢ — الجلال : واحدها جل وهو للدابة كالثوب للانسان تصان به ٣ — الصبوح : ما اصبح عند القوم من الشراب فشربوه .

(فرعونُ) خبَّأها ليومِ فُتوحه وأعدّ منها قُرْبَةً (لفتاح)(١)
ما بين شادٍ فى المجالس أيْكُهُ ومُحجَّباتِ الأيْكِ فى الأدواح(٢)
غَرِدٌ على أوتارِه ، يُوحى إلى غَرِدٍ على أغصانه ، صَدّاح
بِيضُ القلانِس فى سواد جَلابِبٍ حُلِّينَ بالأطواق والأوضاح
رَتَّلْنَ فى أوراقهن مَلاحِنًا كالراهباتِ صبيحةَ الإفصاح
يخطرن بين أرائكٍ ومنابرٍ فى هيكل من سُندس فيّاح

* * *

مَلِكُ النبات ، فكلُّ أرضٍ دارُه تلقاه بالأعراس والأفراح
منشورةٌ أعلامُه ، من أحمرٍ قانٍ ، وأبيضَ فى الرُّبَى لمّاح
لبِستْ لمقْدَمه الخمائلُ وَشْيَها ومَرَحْنَ فى كنَف له وجناح
يغشى المنازلَ من لواحظ نرجس آناً ـ وآناً من ثغور أقاح(٣)
ورُءوس « منشورٍ » خَفَضْنَ لعزّه تيجانَهنَّ عواطرَ الأرواح
الوردُ فى سُرُر الغصونِ مُفتَّح متقابل يُثنى على الفَتّاح
ضاحِى المواكب فى الرياض ، مُمَيَّزٌ دون الزهور بشَوْكةٍ وسلاح
مرَّ النسيمُ بصفحتيه مُقَبِّلاً مرَّ الشِّفَاه على خدود ملاح
هتكَ الردى من حسنِه وبهائه بالليل ما نسجتْ يدُ الإصباح
ينبيك مصرعُه ـ وكلُّ زائلٌ ـ أن الحياة كغُدوة ورَواح
ويقائقُ النَّسْرِينِ فى أغصانها كالدُّرِّ رُكِّب فى صدور رماح(٤)
و « الياسَمينُ » ؛ لَطِيفُه ونَقِيُّه كسريرة المتنزِّه المِسماح

---

(١) احد آلهة قدماء المصريين ٢ ـ الايك : الشجر الكثير الملتف وقيل الغيضة تنبت السدر والاراك ونحوهما من ناعم الشجر .
(٣) أقاح : واحدها اقحوانة وهو نبات له زهر أبيض فى وسطه كتلة صغيرة صفراء ٤ ـ يقائق : جمع يقق ، وابيض يقق أى شديد البياض ناصعه . والنسرين : ورد أبيض عطرى قوى الرائحة .

مُتألِّقٌ خَلَلَ الغصون ، كأنه ... في بُلجْة الأفنانِ ضوءُ صباح(١)
و «الجُلَّنَارُ» دمٌ على أوراقِه ... قانى الحروفِ ، كخاتَم السفاح
وكأن مخزونَ «البِنفسَجِ» ثاكلٌ ... يَلْقَى القضاءَ بخشية وصلاح
وعلى «الخواطرِ» رِقَّةٌ وكآبَةٌ ... كخواطر الشُّعراء فى الأَتراح(٢)
والسَّرْوُ فى الحِبَرِ السوابغ كاشفٌ ... عن ساقِه كمليحة مِفْراح(٣)
و «النخلُ» ممشوقُ العُذُوقِ ، مُعصَّبٌ ... متزينٌ بمناطق ووِشاح
كبناتِ فرعونٍ شهدنَ مواكبًا ... تحتَ (المراوح) فى نهارٍ ضاح
وترى الفضاءَ كخائط من مَرْمَرٍ ... نُضِدَتْ عليه بدائعُ الألواح
الغَيْمُ فيه كالنَّعام : بَدِينةٌ ... بركتْ ، وأُخرى حَلَّقتْ بجَناح
والشمسُ أَبهى من عروسٍ بُرقعتْ ... يوم الزِّفاف بعسجَد وضَّاح
والماءُ بالوادى يُخالُ مَساربا ... من زئبق ، أو مُلقَياتِ صِفاحِ(٤)
بعثتْ له شمسُ النهار أشعَّةً ... كانت حُلَى (النَّيْلُوفَرِ) السباح
يزهو على ورقِ الغصون نثيرُها ... زَهْوَ الجواهِرِ فى بطون الرَّاح
وجرت سواقٍ كالنَّوَاداب بالقُرى ... رُغْنَ الشجىَّ بِأَنَّةٍ ونُوَاح
الشاكياتُ وما عَرَفْنَ صبابةً ... الباكياتُ بمَدْمَع سحَّاح
من كلِّ باديةِ الضاوع غليلةٍ ... والماءُ فى أحشائها ، بِلواح(٥)
تبكى إذا رَتَبَتْ ، وتَضحكُ إن هَفَتْ ... كالعِيس بين تَنَشُّط ورَزاح(٦)
هى فى السلاسل والغلول ؛ وجارُها ... أعمى ، ينوءُ بنِيرِه الفدّاح

* * *

(١) البلجة : آخر الليل عند انصداع الفجر ٢ ـ الخطر : نبات يجعل ورقه فى الخضاب الأسود يختضب به ٣ ـ الحبر : جمع حبرة بالتحريك ضرب من برود اليمن ، وملاءة سوداء تلبسها نساء مصر ٤ ـ صفاح : واحده صفح وهو عرض السيف ٥ ـ الملواح : السريع العطش .
(٦) رزحت الناقة رزوحا ورزحا : القت نفسها اعياء وهزالا .

إنى لأذكرُ بالربيع وحسنهِ عهدَ الشباب وطِرفِه المِمراح(١)
هل كان إلّا زهرةً كزهورِه عجلَ الفناءُ لها بغير جُناح؟

* * *

(هول كين) ، مصرُ رواية لاتنتهى منها يدُ الكُتّاب والشُرّاح
فيها من البَرْدِىّ ، والمُزْمور ، والـ ـتوراةِ ، والفرقان ، والإصحاح(٢)
(ومِنَا) ، (وقمبيزُ) ، إلى (إسكندرٍ) فالقيصَرين ، فذِى الجلال (صلاح)
تلك الخلائقُ والدهورُ خزانةٌ فابعثْ خيالَكَ يأتِ بالمفتاح
أفقُ البلاد — وأنت بين رُبوعها — بالنجم مزدانٌ وبالمصباح

مَسْجِدُ أيَا صُوفْيَا

كنيسةٌ صارت إلى مسجِد هديَّةُ السيِّدِ للسيِّد
كانت لعيسَى حرماً ، فانتهت بنُصرة الرُّوح إلى أحمد
شيَّدَها الرومُ وأقيالُهُم على مثالِ الهرَمِ المُخْلَد(٣)
تُنبئُ عن عزٍّ ، وعن صَولةٍ وعن هوًى للدين لم يخمُد
مَجامِرُ الياقوتِ فى صَحْنها تملؤهُ من نَدِّها المُوقَد(٤)
ومثل ما قد أودِعَتْ من حُلىً لم تتّخذْ دارًا ولم تُحشَد
كانت بها العذراءُ من فضّةٍ وكان روحُ الله من عسجد
عيسى من الأُمِّ لدى هالةٍ والأُمُّ من عِيسَى لدَى فَرْقد
جَلَّاهُما فيها ، وحلَّاهُما مصوِّرُ الروم القديرُ اليد
وأودعَ الجدرانَ من نقشه بدائعاً من فنِّه المفردَ

---

(١) الطرف : هو الكريم من الخيل ٢ — المزمور : واحد المزامير وهى الأناشيد والأدعية التى كان يترنم بها داود عليه السلام .
(٣) اقيالهم ملوكهم .
(٤) مجامر الياقوت : جمع مجمرة وهو اسم ما يجعل فيه الجمر .

فمن ملاكٍ فى الدُّجَى رائحٍ ... عند ملاكٍ فى الضُّحى مغتدى
ومن نبات عاش كالبَبَّغا ... وهْوَ على الحائط غَضُّ نَدِى
فقلْ لمن شادَ ، فهَدَّ القُوَى ... قوَى الأَجيرِ ، المُتْعَبِ ، المُجهَد
كأنه فرعونُ لما بنى ... لربّه بيتًا . فلم يَقصِد : (١)
أيُعبدُ اللهُ بسوْمِ الوَرَى ... ما لا يُسام العَيْرُ فى المِقْود؟(٢)
كنيسةٌ كالفَدَن المعتلِى ... ومسجِدٌ كالقصر من أَصْيدِ(٣)
واللهُ عن هذا وذا فى غنًى ... لو يعقِلُ الإنسان أو يهتدى
قد جاءها (الفاتحُ) فى عُصْبةٍ ... من الأُسود الرُّكَّع ، السُّجَّد
رمى بِهم بنياتَها ، مثلَما ... يصطدِمُ الجلْمَد بالجلْمَد(٤)
فكبَّروا فيها ، وصلَّى العِدا ... واختلط المشهد بالمشهد
وما توانى الرومُ يَفْدُونَها ... والسيف فى المفْدِىِّ والمفتدِى
فخانها من قيصرٍ سعدُه ... وأُيِّدتْ بالقيصرِ الأَسعد
بفاتحٍ . غازٍ ، عفيفِ القَنا ... لا يحملُ الحقدَ ، ولا يعتدى
أجار من ألقى مقاليدَه ... منهم . وأَصفى الأَمنَ للمرتدى
وناب عمّا كان من زُخرفٍ ... جلالةُ المعبود فى المعبَد
فيا لثأْرٍ بيننا بعده ... أقام . لم يقرُبْ . ولم يبعُد
باقٍ كثأْر (القدس) من قبله ... لا ننتهى منه . ولا يبتدى
فلا يغرَّنْك سكونُ الملا ... فالشرُّ حولَ الصَّارمِ المُغْمَد
لن يتركَ الرومُ عباداتِهم ... أو ينزلَ الترْكُ عن السُّؤدَد
هذا لهم بيت على بيتِهم ... ما أشبه المسجدَ بالمسجد

---

(١) لم يقصد : لم يعدل ٢ ــ المقود : ما يقاد به من حبل او غيره .
(٣) الفدن : القصر المشيد ٤ ــ الجلمد : الضخر .

فإنْ يُعادوا فى مفاتيحِه فيا ليومٍ للورَى أسود
يَشيب فيه الطفلُ فى مهدِه ويُزعَج المَيْتُ من المرقد
فكنْ لنا اللهمَّ فى أمسنا وكن لنا اليومَ ، وكنْ فى غد
لولا ضَلالٌ سابقٌ لم يقمْ من أجلكَ الخلقُ ولم يَقْعُد
فكلُّ شرٍّ بينهم أو أذى أنت بَراءٌ منه طُهْرُ اليد

غَابُ بُولونيَا(١)

يا غابَ بولون : ولِى ذِمَمٌ عليك ، ولى عُهودْ
زمنٌ تقضَّى لِلهوَى ولنا بِظلّكَ ، هل يعود ؟
حُلُمٌ أُريدُ رجوعَه ورجوعُ أحلامى بعيد
وهَبِ الزّمانَ أعادَها هل للشبيبةِ مَن يُعيد ؟
يا غابَ بولونَ ، وبى وجْدٌ مع الذكرى يَزيدْ
خَفَقَتْ لرؤيتكَ الضلو عُ ، وزُلْزِلَ القلبُ العَميد(٢)
وأراكَ أقسى ما عَهِدْ تُ ؛ فما تَميلُ ، ولا تَميد
كم يا جمادُ قساوَةً ؟ كم ؟ هكذا أبدًا جُحود ؟
هلّا ذكرتَ زمانَ كنّا والزمانُ كما نريد ؟
نطوِى إليك دُجَى الليا لى ، والدّجَى عنا يَذود
فنقولُ عندكَ ما نقو لُ ، وليس غيرُك من يُعيد
نُطْقِى هوًى وصبابةٌ وحديثُها وَتَرٌ وعُود

(١) غاب بولونيا : متنزه مشهور فى باريس .
(٢) العميد : الذى هزه العشق .

نَسْرِى ، ونَسرحُ فى فضا ئك ، والرياحُ به هُجودْ
والطيرُ أقعدَها الكرى والناسُ نامت والوجود
فنبيتُ فى الإيناس بغ بطنا به النجمُ الوحيد
فى كلّ رُكْن وقفةٌ وبكلِّ زاوية قُعود
نَسقى . ونُسقى . والهوى مابين أعيننا ولِيد
فمِن القلوب تمائم ومن الجُنوبِ له مُهود
والغصنُ يسجُدُ فى الفضا ء ، وحبَّذا منه السجود
والنجمُ يلحظنا بعيْ ن ما تَحُولُ ولا تحيد
حتى إذا دَعت النَّوى فتبدَّد الشملُ النضيد
بِتنا ، ومما بيننا بحر . ودون البحر بيد
ليلِى بمصرَ ، وليلُها بالغرب ، وهو بها سعيد

المرأةُ العُثمانِيَّةُ

يامَلَكاً تعبَّدا مُصَلِّيًا موحِّدا
مباركاً فى يومه والأمسِ ، ميموناً غدا
مُسَخَّرًا لأُمّةٍ من حقها أن تَسْعَدا
قد جعلَتْه تاجَها وعِزَّها ، والسُّؤددا
وأعرضتْ حيث مشى وأطرقَتْ حيث بدا
تُجِلُّه فى حسنه كما تُجِلُّ الفَرْقَدا
أنت شُعاعٌ من عَلِ أنزله اللهُ هُدَى

كم قد أضاءَ منزلًا وكم أنار مسجدًا
وكم كسا الأسواقَ من حُسْنٍ ، وزانَ البلدا
لولا التُّقَى لقلتُ : لم يَخْلُقْ سواك الولدا
إن شئت كان العَيْرَ ، أو إن شئت كان الأسدا
وإن تُرِدْ غَيًّا غَوَى أو تبغِ رُشْدًا رَشَدا
والبيتُ أنت الصوتُ فيـ ـه ، وهو للصوت صَدَى
كالببَّغا فى قفص قيل له ، فقلَّدا
وكالقضيبِ اللَّدنِ ، قد طاوع فى الشكل اليدا
يأخذ ما عوَّدتَه والمرءُ ما تعوّدا
مما انفردتَ فى الورَى بفضله وانفردا
وكلُّ ليثٍ قد رَمَى به الإمامُ فى العدا
أنتَ الذى جنَّدتَه وسُقْتَه إلى الردى
وقلتَ : كنْ لله ، والسـ ـلطانِ ، والتركِ ، فِدى

الْهِلَالُ

سنونٌ تُعادُ ، ودهرٌ يعيدْ لَعَمْرُكَ ما فى اللَّيالِى جديد
أضاءَ لآدمَ هذا الهلالُ فكيف تقولُ : الهلالُ الوليد؟
تعدُّ عليه الزمانَ القريبَ ويُحصِى علينا الزمانَ البعيد
على صفحتيْه حديثُ القُرى وأيامُ (عاد) ، ودنيا (ثمود)
و (طِيبةُ) آهلةٌ بالملوك (وطيبةُ) مُقْفِرَةٌ بالصعيد

يزولُ ببعض سناه الصَّفا ويفنى ببعض سناه الحديد(١)
ومن عجَبٍ وهْوَ جَدُّ الليالى يُبيد الليالىَ فيما يُبيد !!

* * *

يقولون ياعامُ : قد عدتَ لى فياليت شعرى بماذا تعود ؟
لقد كنتَ لى أمسِ ما لم أُرِدْ فهل أنت لى اليومَ ما لا أريد؟
ومَنْ صابَر الدهرَ صبرى له شكا فى الثلاثين شكوى (لَبِيد)(٢)
ظمِئتُ ، ومثلى بِرِىٌّ أحقُّ كأنّى حسينٌ ، ودهرى يَزيد(٣)
تغابيتُ حتى صحِبتُ الجهولَ وداريتُ حتى صحبتُ الحسود

منظر الشروق والغروب فى عالم الماء من أعلى السفينة

لِمَنْ غُرةٌ تَنجلى من بعيد بِمرْأى كما الحُلْم ضاح سعيد ؟
تَهُزُّ الوجودَ تباشيرُها كما هزَّ مِنْ والديه الوليد
ويغشى الدُّنا من حُلاها سَنًى أضاء لنا كلَّ حالٍ نضيد(٤)
من الموج مُلْتَمِعٌ ، مثلما تَحَلَّتْ نحورُ الدُّمى بالعقودْ(٥)
أتتنا من الماء مُهتزَّةً منوِّرةً ، تَعتلى للوجود
وتصْعَد من غير ما سُلَّمٍ فيا للمصوِّر هذا الصعود !
وهذا المنيرُ القريبُ القريب وهذا المنيرُ البعيدُ البعيد
وهذا المنير الذى لن يُرى وهذا المنير وكلٌّ شهيد

---

(١) الصفاء : الصخر ٢ — لبيد : هو لبيد بن أبى ربيعة احد المعمرين .
(٣) حسين : هو الحسين بن على بن ابى طالب . ويزيد : هو يزيد بن معاوية بن ابى سفيان ٤ — السنا : الضوء . وحليت المراة : لبست حليها أى ما تتزين به . ونضيد : أى متسق ٥ — الدمى : واحدتها دمية وهى الصورة المنقشة المزينة .

وهذا الجُسامُ الخفيفُ الخُطا ... وهذا الجُسامُ الذى ما يَميد
ويا للمصوِّر آثارها ... بكل بحارٍ ، وفى كل بيد !!
وتقليلها كلَّ جمِّ السنا ... وتصغيرها كلَّ عالٍ مَشِيد
من النار ، لكنّ أطرافَها ... تدورُ بياقوتة لن تَبيد
من النار ، لكنّ أنوارَها ... إلَهيَّةٌ ، زُيِّنَتْ للعبيد
هى الشمسُ ، كانت كما شاءها ... مماتُ القديمِ ، حياةُ الجديد
تَردّ المياهَ إلى حَدِّها ... وتُبلِى جبالَ الصفا والحديد(١)
وتطلُعُ بالعيشِ ، أو بالرَّدى ... على الزرعِ : قائِمهِ ، والحَصِيد
وتسعى لذا الناسِ مهما سعتْ ... بخيرِ الوعودِ ، وشرِّ الوعيد
وقد تتجلَّى إذا أقبلتْ ... بنُعمى الشقىِّ ، وبؤسى السعيد
وقد تتولَّى إذا أدبرتْ ... وليست بمأمونة أن تعود
فما للغروب يَهيجُ الأسى ... وكان الشروقُ لنا أىَّ عيد ؟
كذا المرءُ ساعةَ ميلادِه ... وساعةَ يدعو الحِمامُ العنيد
وليس بجارٍ ولا واقعٍ ... سوى الحقِّ مما قضاه المُريد

مَنْظَرُ طُلُوعِ الْبَدْرِ مِن سَفِينَةٍ

مَلِكَ السماء ، بَهَرت فى الأنوار ... ففداك كلُّ مُتوَّجٍ من سارى
لما طلعتَ على المياه تُنيرها ... سكنتْ ، وقد كانت بغير قرارِ
وزَهَتْ لناظرِها السماءُ ، وقرّ ما ... فى البحر من عُبُب ، ومن تيّار(٢)

---

(١) الصفا : الصخر ٢ ــ العبب : الماء المتدفق .

وأهلُّ للهِ السُّراةُ ، وأزلَفوا ... لك فى الكمال تحيَّةَ الإكبار
وتأمَّلوك ، فكل جارحةٍ لهم ... عينٌ تُسامِر نورَها وتسارى
والبدر منكَ على العوالم يَجتلِى ... بِشْرَ الوجوه ورَحمة الأبصار
مُتقدِّمٌ فى النور ، محجوبٌ به ... مُوفٍ على الآفاق بالأسفار
يادُرَّةَ الغوّاصِ أخرَج ظافرًا ... يُمناه يجلوها على النُّظار
مُتهَلِّلا فى الماء ، أبدَى نصفَه ... يسمُو بها ، والنصفُ كاسٍ عار
وافى بك الأُفقُ السماء ، فأسفرتْ ... عن قُفْل ماسٍ ، فى سِوارٍ نُضَار
ونهضتَ ، يزهو الكونُ منكَ بمنظرٍ ... ضاحٍ ، ويحملُ منك تاجَ فَخَار
الماءُ والآفاقُ حولك فِضَّةٌ ... والشُّهْبُ دينارٌ لدى دينار
والفلكُ مشرقةُ الجوانبِ فى الدُّجَى ... يبدو لها ذيلٌ من الأنوار
بينَا تَخطَّرُ فى لُجَيْنٍ مائجٍ ... إذ تَنثنِى فى عسجدٍ زَخَّار
وكأنَّها والموجُ منتظم وقد ... أوفيتَ ثم دنوتَ كالمُختار
غَيْداءُ لاهيةٌ ، تَخُطُّ لأغْيَدٍ ... شِعْرًا ليقرأه ، وأنتَ القارى
فليهْنِ بدرَ الأرضِ أنكَ صِنوُهُ ... ونظيرُه قُرْباً وبُعْدَ مَزار
وحلاكُما ، ما البدرُ إلا أنتما ... وسواكما قمرٌ من الأقمار
أنت الكريمُ على الوجود بوجهه ... وهى الضنينةُ بالخيالِ السارِى
هيفاءُ أهواها ، وأعشقُ ذكرَها ... لكن أُدارى ، والمحبُّ يُدارى
لى فى الهوى سِرٌّ أبيتُ أصُونه ... والله مُطَّلِعٌ على الأسرار

بَلْدَةُ الْمُؤْتَمَرِ لِنَاظِرِهَا فى بَهْجَةِ مَنَاظِرِها

(جنيف وضواحيها)

لا السُّهْدُ يُدنيني إليه . ولا الكرى ... طَيْفٌ يزورُ بفضله مهما سرى

تَخِذَ الدُّجَى ، وسماءه ، ونجومَه ... سُبُلاً إلى جفنيك ، لم يرضَ الثرى

وأتاكَ موفورَ النعيم ، تخالُه ... ملَكًا تنمُّ به السماءُ ، مُطهَّرا

علِم الظلامُ هبوطَه ، فمشتْ له ... أهدابُه يأخذْنه مُتحدِّرا

وحَمى النسائمَ أن تروحَ وأن تَجِي ... حَذَرًا وخوفاً أن يُراع ويُذعَرا

ورقدْتَ تُزْلِف للخيال مكانَه ... بين الجفون ـ وبين هُدبِك ، والكرى

فهَزِئْتَهُ مثلَ السعادةِ شائقًا ... متصورًا ما شئتَ أن يَتصورا

تَطوى له الرقباء منصورَ الهوى ... وتَدوس ألسنةَ الوشاةِ مظفَّرا

لولا امتنانُ العين ياطيفَ الرضا ... ماسامحت أيامَها فيما جرى

باتت مُشوَّقةً ، وبات سوادها ... زُونَا بتمثال الجمال منوّرا

تُعطَى المنى ، وتنيلهنَّ خليقة ... بك أن تُقدّم فى المنى وتؤخَّرا

وتعانِق القمرَ السَّنِيَّ عزيزةً ... حتى إذا ودّعتَ عانَقَت الثرى

فى ليلةٍ قدِم الوجودَ هلالُها ... فدنت كواكبُها تُعلِّمه السُّرى

وتريه آثارَ البدورِ ليقتفى ... ويرى له الميلادُ أن يتصدّرا

ناجيتُ مَن أهوى ، وناجانى بها ... بين الرياض ، وبين ماءِ (سُوَيْسِرا)

حيث الجبالُ صِغارُها وكبارُها ... من كل أبيضَ فى الفضاء وأخضرا

تَخِذَ الغمامُ بها بيوتاً . فانجلت ... مشبوبةَ الأجرام ، شائبةَ الذُّرَى

والصخرُ عالٍ ، قام يشبه قاعدًا ... وأناف مكشوفَ الجوانبِ مُنذِرا
بين الكواكبِ والسحابِ ، ترى له ... أُذُناً من الحجر الأَصمِّ ومِشفَرا(١)
والسفحُ من أىِّ الجهاتِ أتيتَه ... ألفيته دَرَجاً يَموج مُدوّرا
نثرَ الفضاءُ عليه عِقدَ نجومِه ... فبدا زَبَرْجَدُه بهنّ مجوهرا
وتنظَّمتْ بِيضُ البيوتِ ، كأنّها ... أوكارُ طيرٍ ، أو خَمِيسٌ عسكرا(٢)
والنجمُ يبعث للمياه ضياءه ... والكهرباءُ تضيءُ أثناءَ الثرى
هام الفراشُ بها ، وحام كتائبًا ... يحكى حوالَيْها الغمامَ مسيَّرا
خُلِقت لرحمته ، فباتت نارُه ... بَرْدًا ، ونار العاشقين تَسَعُّرا
والماءُ من فوق الديار ، وتحتَها ... وخِلالها يجرى ، ومن حول القرى
مُتصوِّبًا ، مُتصعِّدًا ، مُتمهِّلاً ... مُتسرِّعاً ، مُتسلسِلًا ، مُتعثِّرا
والأرضُ جِسْرٌ حيث دُرْتَ ومَعْبَرٌ ... يصلان جسرًا فى المياه ومعبرا
والفُلكُ فى ظلّ البيوت مواخِرًا ... تطوى الجداولَ نحوها والأنهُرا
حتى إذا هَدأ المَلا فى ليله ... جاذبتُ لَيْلِى ثوبَه متحيِّرا
وخرجت من بين الجسور ، لعلّنى ... أستقبِل العَرْفَ الحبيبَ إذا سرى
آوِى إلى الشجرات . وهْىَ تهزُّنى ... وقد اطمأنَّ الطيرُ فيها بالكرى
ويهزّ منى الماءُ فى لمعانه ... فأَميلُ أنظر فيه ، أطمعُ أن أرى
وهنالك ازْدَهَت السماءُ . وكان أن ... آنَستُ نورًا ما أتمَّ وأبهرا !!
فسريتُ فى لألائِه ، وإذا به ... بدرٌ تسايره الكواكبُ خُطَّرا
حُلُم أعارتنى العنايةُ سمعها ... فيه ، فما استتممْتُ حتى فُسِّرا
فرأيتُ صفوى جَهرةً . وأخذتُ أذ ... سى يقظةً ، ومُناىَ لَبَّتْ حُضَّرا

---

(١) المشفر : الشفة من الانسان . — ٢ — الخميس : الجيش .

وأشرت : هل لُقْيا ؟ فأُوحِيَ : أنْ غدًا ... بالطَّود أبيض من جبال (سُوَيْسِرا)
إن أشرقت زهراء تسمو للضحى ... وإذا هوت حمراء فى تلك الذُّرى
فشروقُها منه أتمُّ معانيًا ... وغروبُها أجلى وأكملُ منظرا
تبدو هنالك للوجود وَلِيدةً ... تهْنا بها الدنيا ، ويغتبط الثرى
وتضيءُ أثناء الفضاء بغُرَّةٍ ... لاحَت برأسِ الطَّوْدِ تاجاً أزهَرا
فسمَتْ ، فكانتْ نصفَ طارٍ ، ما بدا ... حتى أنافَ ، فلاحَ طارًا أكبرا
يعلو العوالمَ ، مُسْتَقِلاً ، نامِيًا ... مُستعصيًا بمكانه أن يُنْقَرا
سالت به الآفاقُ ، لكنْ عسجدًا ... وتغطت الأشباحُ ، لكنْ جوهرا
واهتزَّ ، فالدنيا له مُهتزَّةٌ ... وأنار ، فانكشف الوجودُ منوّرًا
حتى إذا بلغ السُّمُوُّ كمالَه ... أذِنت لداعى النقصِ تهوى القهقرى(١)
فدنت لناظرِها ، ودان عنانُها ... وتبدّل المستعظمُ المستصغرا
واصفرَّ أبيضُ كلَّ شىء حولَها ... واحمرَّ بُرْقُعُها وكان الأصفرا
وسما إليها الطَّودُ يأخذُها ، وقد ... جعلتْ أعاليَهُ ثريطًا أحمرا
مسَّته ، فاشتعلت بها جَنَباته ... وبدتْ ذُراه الشُّمُّ تحمل مِجْمرا
فكأنما مدَّتْ به نيرانَها ... شَرَكاً لتصطادَ النهارَ المدْبِرا
حرقته ، واحترقت به ، فتولَّيا ... وأتى طُلولَهما الظلامُ فمسكرا
فشروقُها الأملُ الحبيبُ لمن رأى ... وغروبُها الأجلُ البغيضُ لمن درى
خَطبانِ قاما بالفناء على الصَّفا ... ما كان بينهما الصفاءُ ليعمُرا
تتغير الأشياءُ مهما عاودا ... والله عزّ وجلّ لن يتغيرا
أنهارنا تحت (السليف) ، وفوقَه ... ولدى جوانبه ، وما بين الذُّرى

---

(١) أذنت : انصتت .

رَجْلاً ، ورُكْباناً ، وزَحْلَقَةً على ... عَجَلٍ هنالك كهربائيُّ السرَى
في مركبٍ مُستأْنِسٍ ، سالت به ... قُضُبُ الحديدِ ، تعرُّجاً وتحدُّرا
ينساب ما بين الصخور تمهُّلاً ... ويخفُّ بين الهُوَّتين تَخطُّرا
وإذا اعتلى بالكهرباء لِذروةٍ ... عصماء ؛ همّ معانقاً متسوِّرا
لمّا نزلنا عنه فى أُمّ الثُّرى ... قمنا على فرع (السليف) لننظرا
أرضٌ تموجُ بها المناظرُ جَمَّةٌ ... وعوالمٌ نِعْمَ الكتابُ لمن قرا
وقُرًى ضربن على المدائنِ هالةً ... ومدائنٌ حَلَّيْنَ أجيادَ القُرَى
ومزارعٌ للناظرين روائعٌ ... لَبِس الفضاءُ بها طرازًا أخضرا
والماءُ غُدْرٌ ما أرقَّ وأغْزَرا ! ! ... وجداولٌ هنّ اللُّجَيْنُ وقد جرى
فحشون أفواهَ السهولِ سبائكًا ... وملأْنَ أقبالَ الرواسخِ جوهرا(١)
قد صغَّر البعدُ الوجودَ لنا ، فيا ... لله ما أحلى الوجودَ مصغَّرا ! !

وقال يصف مشاهد الطبيعة فى طريقه إلى الآستانة قادما من أوروبا :

تلك الطبيعةُ ، قِف بنا يا سارى ... حتى أُريكَ بديعَ صُنْعِ البارى
الأرضُ حولك والسماءُ اهتزَّتا ... لروائع الآياتِ والآثار
من كلّ ناطقةِ الجلال ، كأنّها ... أُمُّ الكتاب على لسان القارى(٢)
دَلَّتْ على مَلِكِ الملوكِ ، فلم تَدَعْ ... لأدلَّة الفقهاء والأحبار(٣)
مَنْ شَكَّ فيه فنظرةٌ فى صُنْعِه ... تمحو أثيمَ الشكِّ والإنكار

* * *

---

(١) اقبال الجبال : أى وجوهها ٢ — أم الكتاب : فاتحته .
(٣) الاحبار : جمع حبر وهو العالم وقيل الصالح من العلماء .

كشف الغطاء عن (الطرول) وأشرقت منه الطبيعةُ غيرَ ذاتِ سِتار
شَبَّهْتُهَا (بلقيسَ) فوق سريرها فى نَضْرَةٍ ، ومواكبٍ ، وجوارى
أو (بابن داوُدٍ) وواسعِ مُلكه ومعالمٍ للعزّ فيه كبار(١)
هُوجُ الرِّياح خواشعٌ فى بابه والطيرُ فيه نواكسُ المِنقار(٢)

* * *

قامت على ضاحى الجنان كأنّها رضوانُ يُزجى الخُلد للأبرار(٣)
كم فى الخمائل وهى بعض إمائها من ذاتِ خلخالٍ ، وذاتِ سوار(٤)
وحَسِيرَةٍ عنها الثيابُ ، وبَضَّةٍ فى الناعماتِ تجر فضلَ إزار(٥)
وضَحوكةٍ سنٌّ تملأُ الدنيا سنًى وغريقةٍ فى دمعها المِدْرار
ووحيدةٍ بالنجدِ تشكو وحشةً وكثيرةٍ الأترابِ بالأغوار(٦)

* * *

ولقد تمرُّ على الغدير تخاله والنَّبْت مرآةً زهتْ بإطار(٧)
حلو التسلْسُل موجُهُ وجريرُه كأنامل مرَّت على أوتار
مدّت سواعد مائه وتألقت فيها الجواهر من حَصًى وجِمار(٨)
ينساب فى مُخضلَّةٍ مُبتلَّةٍ منسوجةٍ من سُندُسٍ ونُضار(٩)
زهراء عَوْنِ العاشقين على الهوى مختارةِ الشعراء فى آذار
قام الجَليدُ بها وسالَ ، كأنه دَمعُ الصبابةِ بلَّ غضنَ عذار
وترى السماء ضحًى وفى جنحِ الدجى مُنشقَّةً من أنهرٍ وبحار(١٠)

---

(١) المعالم : جمع معلم وهو مايستدل به على الطريق من أثر ونحوه .
(٢) هوج : جمع هوجاء ، والريح الهوجاء التى تستوى فى هبوبها وتقلع البيوت ٣ ـ الضاحى المكان البارز . ويزجى : يسوق ويستحث .
(٤) الاماء : الجوارى . ٥ ـ الازار : الملحفة وكل ما ستر .
(٦) النجد : ما ارتفع من الأرض . والغور : القعر من كل شىء .
(٧) اطار الشىء : كل ما احاط به ٨ ـ الجمار : جمع جمرة وهى الحصيه .
(٩) اخضل الشىء : صار نديا بليلا . والنضار : الذهب .
(١٠) الدجى : الظلمة ، أو سواد الليل .

فى كلِّ ناحيةٍ سلكتَ ومذهبٍ جبلانِ من صخرٍ وماءٍ جارى
من كلِّ مُنهمرِ الجوانبِ والذُّرى غَمْرِ الحضيضِ . مُحلَّل بوقار(١)
عقد الضريبُ له عمامةَ فارعٍ جَمِّ المهابةِ من شيوخ نِزَار(٢)
ومكذَّبٍ بالجنّ ريع لصوتها فى الماءِ منحدراً وفى التيار
مَلأَ الفضاءَ على المسامع ضجّةً فكأنّما ملأَ الجهاتِ ضَوارى
وكأنّما طوفانُ نوحٍ ما نرى والفلكُ قد مُسِخَتْ حشيشَ قِطار
يجرى على مثل الصِّراط ، وتارةً ما بين هاويةٍ وجُرْفٍ هارى

* * *

جاب الممالكَ حَزْنَها وسهولَها وطوى شِعابَ (الصرب) (والبلغار)(٣)
حتى رمى برحالنا ورجائنا فى ساحِ مَأْمولٍ عزيز الجار
مَلِكٌ بمَفْرَقِه إذا استقبلتَه تاجان : تاجُ هُدًى ، وتاجُ فَخارِ
سكَنَ (الثريّا) مُستقرَ جلالِه ومشت مكارمُه إلى الأمصار
فالشرقُ يُسقَى دِيمةً بيمينه والغربُ تمطره غيوثُ يَسار(٤)
ومدائنُ البرَّيْنِ فى إعظامه وعوالمُ البحرَيْنِ فى الإكبار
الله أيّده بآساد الشّرى فى صورة المُتَدجِّج الجرّار
الصاعدين إلى العدوِّ على الظُّبى النازلين على القنا الخطّار(٥)
المشترين اللهَ بالأبناء ، والـ ـأزواجِ ، والأموالِ ، والأعمار
القائمين على لواء نبيِّه المنزَلين منازلَ الأنصار

* * *

ياعرشَ (قسطنطينَ) ، نلتَ مكانةً لم تُعْطَها فى سالف الأعصار

---

(١) الحضيض : القرار من الأرض عند منقطع الجبل — ٢ — الضريب : الثلج . والفارع : المرتفع الهيىء الحسن ٣ — الحزن ما غلظ من الارض ٤ — الديمة : مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق ٥ — الخطار : المضطرب .

شُرِّفتَ بالصِّدِّيقِ ، والفاروق ، بل بالأَقربِ الأَدْنى من المُختَار
حامى الخلافةِ مجدِهَا وكِيَانِها بالرأْيِ آونةً وبالبَتَّار(١)

* * *

تاهَتْ (فروقُ) على العواصم ، وازدَهت
بجلوسِ أَصْيَد باذِخِ المقدار(٢)
(جَمِّ الجلالِ ، كأنما كرسيُّه جُزءٌ من الكرسى ذى الأَنوار)
أَخذت على (البوسفور) زُخْرفَها دُجًى
وتلأْلأَتْ كمنازِلِ الأَقمار
فالبدرُ ينظر من نوافِذِ منزل والشمسُ ثَمَّ مُطِلَّةٌ من دار
وكواكِبُ الجوزاء تَخْطُر فى الرُّبَى (والنَّسْر) مطلعُه من الأَشجار
واسم الخليفة فى الجهاتِ منوّر تَبدو السبيلُ ، به ويهدى السَّارى
كتبوه فى شُرفِ القصور ، وطالما كتبوه فى الأَسماع والأَبصار

* * *

يا واحدَ الإسلام غيرَ مُدافَعٍ أَنا فى زمانك واحدُ الأَشعار
لى فى ثنائِك ـ وهو باقٍ خالدٌ ـ شعرٌ على الشِّعْرَى المنيعةِ زارى(٣)
أَخلصتُ حبى فى الإمام ديانةً وجعلته حتى المماتِ شِعارى
لم ألتمس عَرَضَ الحياةِ ، وإنما أَقرضْتُهُ فى الله والمُختار
إن الصنيعةَ لا تكون كريمةً حتى تُقَلِّدَها كريمَ نِجار
والحبُّ ليس بصادق مالم تكن حَسَنَ التكرُّمِ فيه والإيثار
والشعر إنجيلٌ إذا استعملتَه فى نَشْرِ مَكْرُمَةٍ وسَتْرِ عَوار

---

(١) البتار : السيف القاطع ـ ٢ ـ الأصيد : الملك ، لأنه لا يلتفت من زهو يمينا وشمالا ـ ٣ ـ الشعرى : الكوكب الذى يطلع فى الجوزاء وطلوعه فى شدة الحر . وزرى عليه فعله : عابه .

وثَنَيْتَ عن كدَرِ الحياضَ عِنانَه إنّ الأديبَ مُسامحٌ ومُدارِى
عند العواهِلِ من سياسة دهرهم سِرٌّ ، وعندك سائرُ الأسرار
(هذا مُقام أنت فيه محمدٌ أعداءُ ذاتك فِرقةٌ فى النار)
(إن الهلالَ ـ وأنتَ وحدَك كهفُه ـ بين المعاقِل منك والأسوار)
لم يبقَ غيرك مَنْ يقول : أصونُه صُنْه بحولِ الواحدِ القهّار

الْبُسْفُورُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ

على أىِّ الجنانِ بنا تَمُرُّ ؟ وفى أىّ الحدائق تَستقِرُّ ؟
رويدًا أيها الفُلْكُ الأبرُّ بلغتَ بنا الربوعَ ، فأنتَ حُرُّ ؟(١)

* * *

سهرتَ ولم تنم للركبِ عَيْنُ كأن لَّمْ يُضْوِهم ضَجَرٌ وأَيْنُ(٢)
يَحُثُّ خُطاكَ لُجٌّ ، بل لُجَينُ بل الإبريزُ ، بل أفقٌ أغرُّ(٣)

* * *

على شِبه السهول من المياه تُحيط بك الجزائرُ كالشِّياه
وأنتَ لهنّ راعٍ ذو انتباه تكرُّ مع الظلام ولا تَفِرُّ

* * *

يُنيف البدرُ فوقك بالهَباء رفيعًا فى السموِّ بلا انتهاء(٤)
تَخالُكما العيونُ إلى التقاء ودون المُلتقى كوْنٌ ودهرُ

* * *

إلى أن قيل : هذا (الدردنيلُ) فسِرتَ إليه . والفجرُ الدليلُ

---

(١) الفلك : السفينة ، يؤنث ويذكر ٢ ــ الابن : الاعياء .
(٣) اللجين : الفضة ٤ ــ الهباء : الغبار أو مايشبه الدخان .

يُجيزكَ ، والأمانُ به سبيلُ إذا هو لم يُجزْ فالماءُ خمر

• • •

تَمرُّ من المعاقلِ والجبالِ بعالٍ ، فوقَ عالٍ ، خلفَ عالى
إذا أومَأْن وقّفَتِ الليالى وتَحمى الحادثات ، فلا تمرّ

• • •

مدافعُ ، بعضها متقابلاتٌ ومنها الصاعداتُ النازلاتُ
ومنها الظاهِرات وأُخرياتُ تَوارى فى الصخور وتستسرُّ

• • •

فلو أنّ البحارَ جرتْ مِثينا وكان اللُّجُّ أجمعُه سفينا
لِتَلْقى منفذًا ؛ لَلقِينَ حَيْنا ولمّا يمْسِ (البوغازَ) ضُرُّ

• • •

وبَعْدَ الأرْخبيل وما يليه وتِيهٍ فى العيالم أىُّ تيه[1]
بدا ضوءُ الصباح فسِرتَ فيه إلى (البسفور) واقترب المَقَرُّ

• • •

تُسايِرُكَ المدائنُ والأناسِى وفُلْكٌ بين جَوّالٍ وراسى[2]
وتحضُنك الجزائرُ والرّواسى وتجرى رِقّةً لك وهى صخر

• • •

تسير من الفضاء إلى المَضِيق فآناً أنتَ فى بحر طليق
وآونةً لدى مَجْرًى سحيق كما الشلالُ قام لديه نهر

• • •

وتأْتى الأُفْقَ تطويه سِجِلاً لآخَرَ كالسّراب إذا أضَلّا

---

(١) العيالم : جمع عيلم وهو البحر — ٢ — الاناسى : جمع انسى .

إذا قلنا : المنازلُ ، قيل : كلّا فدُون بلوغها ظُهرٌ وعصْرُ

* * *

إلى أن حلّ فى الأوْج النهارُ ولِلرّائى تبيّنت الدّيارُ
فقلنا : الشمسُ فيها أم نُضار وياقوتٌ ، ومَرْجانٌ ، ودُرُّ ؟

* * *

ودِدنا لو مَشيتَ بنا الهُوَينا وأين لنا الخلودُ لديك ؟ أينا ؟
لِنَبهَجَ خاطرًا ونَقَرَّ عينا بأحسنِ ما رأى فى البحر سَفْرُ

* * *

بلَوْحٍ جامع الصُّور الغَوالى وديوانٍ تفرّد بالخيال
ومِرآةِ المناظر والمجالى تمرّ بها الطبيعةُ ما تمرّ

* * *

فضاءٌ مُثِّلَ الفِردوسُ فيه ومَرْأىً فى البحار بلا شبيه
فإيهٍ — يابناتِ الشعرِ — إيه فمالَكِ فى عقوقِ الشعر عُذرُ

* * *

لأجلكِ سِرْتُ فى برٍّ وبحرِ وأنتِ الدهرَ أنتِ بكل قُطْرِ
حننتِ إلى الطبيعة دون مصرِ وقُلتِ لدى الطبيعة : أين مصرُ؟

* * *

فهلّا هزّكِ التِّبرُ المذابُ وهذا اللّوحُ . والقلمُ العُجاب
وما بينى وبينهما حجابُ ولا دونى على الآيات ستر ؟

* * *

جهاتٌ ، أمْ عذارى حالياتُ ؟ وماءٌ ، أم سماءٌ . أم نباتُ ؟
وتلك جزائرٌ . أم نيّراتُ ؟ وكيف طلوعُها والوقت ظهرُ ؟

* * *

جلاها الأُفق صُفْراً وهْىَ خُضْرُ كزَهرٍ دونَه فى الزوض زهرُ
لوى بحرٌ بها . والتفّ بحرُ كما ملكت جهاتِ الدَّوْحِ غُدْرُ(١)

* * *

تلوح بها المساجدُ باذخاتٍ وتتّصل المعاقلُ شامخات
طِباقاً فى العلى . متفاوتات سما بَرٌّ بها ، وانحطّ برٌّ

* * *

وكم أرضٍ هنالك فوق أرضٍ وروضٍ ، فوق روضٍ ، فوق روض
ودُور بعضُها من فوق بعض كسَطرٍ فى الكتاب علاه سطر

* * *

سُطورٌ لا يحيط بهنّ رَسم ولا يُحصى معانيهنّ عِلم
إذا قُرِئَتْ جميعًا فهْىَ نَظْم وإن قرئت فُرَادى فهْىَ نثر

* * *

تأرّجُ كلما اقتربت وتزكو ويجمعها من الآفاق سِلك(٢)
تشاكل ما به . فالقصرُ فُلْكٌ على بُعْدٍ لنا . والفُلْكُ قصرُ

* * *

ونونٌ دونها فى البحر نونُ من البسفور نقّطها السَّفين
كأنَّ السُّبْلَ فيه لنا عيون وإنسانُ السفينة لا يَقِرّ

* * *

هنالك حفّت النُّعْمى خُطانا وحاطتنا السلامةُ فى حمانا
فألقينا المرايىَ . واحتوانا بناءٌ للخلافةِ مُشْمَخِرٌّ

* * *

فيامَن يطلب المرأى البديعا ويعشقه شهيدًا أو سميعًا
رأيت محاسنَ الدنيا جميعًا فهنّ الواوُ . والبسفورُ عمرو

---

(١) الدوح : جمع دوحة وهى الشجرة العظيمة المتسعة من أى شجر كانت ـ ٢ ـ تارج : أى فاح .

الرِّحْلَةُ إِلَى الأَنْدَلُسِ

لما وضعت الحربُ الشُّوْمى أوزارها(١) ، وفضحها الله بين خلقه وهتك إزارَها(٢) ، ورمَّ لهم ربوعَ السلم ، وجدّد مَزارَها(٣) ؛ أصبحتُ وإذا العوادى(٤) مُقصرة ! والدواعى غير مقصَّرة ، وإذا الشوق إلى الأندلس أغلب ، والنفس بحق زيارته أطلب ؛ فقصدته من برشلونة وبينهما مسيرة يومين بالقطار المجِدّ ، والبخار المشتدّ ، أو بالسفن الكبرى الخارجة إلى المحيط ، الطاوية القديم نحو الجديد من هذا البسيط.(٥) ، فبلغتْ النفس بمرآه الأرب ، واكتحلت العينُ فى ثراه بآثار العرب ، وإنها لشتى المواقع ، متفرقة المطالع ، فى ذلك الفلكِ الجامع ، يسرِى زائرُها من حرَم ، كمن يُمسِى بالكرنك ويُصبح بالهرم ؛ فلا تقاربَ غيرَ العِتق والكرم : (طُلَيْطِلة) تُطِلُّ على جسرها البالى ، و (أشبيلية) تُشبِل(٦) على قصرها الخالى ، و (قرطبة) منتبذةً ناحية بالبيعةِ(٧) الغراء ، و (غرناطة) بعيدةُ مَزارِ الحمراء . وكان « البحترى » رحمه اللهُ رفيقى فى هذا الترحال ، ومسميرى فى الرحال ، والأحوال تصلح على الرجال ، كل رجل لحال . فإنه أبلغُ مَن حَلَّى الأثر ، وحيّا الحجر ، ونشر الخبر ، وحشرَ العِبَر ، ومَن قام فى مأتم على الدول الكُبَر ، والملوك البهاليل الغُرر ، عطف على (الجعفرى) حين تَحمل(٨) عنه الملا ، وعطل منه الحُلى ، ووُكِل بعد (المتوكل) لبِلى . فرفع قواعدَه فى السِّير ، وبنى رُكنَه فى الخبر ، وجمع معالمه فى الفِكَر ، حتى عاد كقصور الخُلدِ امتلأت منها البصيرةُ وإن خلا البَصر وتكفل بعد ذلك (لكسرى) بإيوانه ، حتى زال عن الأرض إلى ديوانه .

---

(١) أوزار الحرب : آلاتها ٢ ــ الازار : الملحفة ٣ ــ المزار : الزيارة ــ ٤ ــ العوادى : العوائق ــ ٥ ــ البسيط : الارض الواسعة .
(٦) اشبل عليه : أى عطف والمرأة تشبل على أولادها : أقامت عليهم بعد وفاة زوجها ولم تتزوج . ٧ ــ البيعة : متعبد النصارى .
(٨) تحمل : ارتحل .

وسينيّتُه المشهورةُ فى وصفه ؛ ليست دونه وهو تحت (كسر) فى رصِّه ورَصْفه(١)، وهى تُريك حسنَ قيامِ الشعرِ على الآثار، وكيف تتجدد الديار فى بيوته بعد الاندثار . قال صاحب الفتح القُسى فى الفتح القدسى بعد كلام : « فانظروا إلى إيوان كسرى وسينيةِ البحترى فى وصفه، تجدوا الإيوانَ قد خرّت شَعَفاته، وعُفّرت شرفاته، وتجدوا سينية (البحترى) قد بَقِى بها (كسرى) فى ديوانه، أضعاف ما بَقِى شخصُهُ فى (إيوانه) » .

وهذه السينية هى التى يقول فى مطلعها :

صنت نفسى عما يُدنس نفسى وترفعت عن ندى كل جبس

والتى اتفقوا على أن البديع الفرد من أبياتها قوله :

والمنايا مواثل وأنو شر وان يُزجى الجيوش تحت الدَرَفس

فكنت كلما وقفتُ بحجر، أو أطفتُ بأثر، تمثّلتُ بأبياتها، واستوحتُ من مواثل العبر إلى آياتها، وأنشدت فيما بينى وبين نفسى :

وعظ البحترىّ إيوان كسرى وشفتنى القصورُ من عبد شمس

ثم جعلتُ أروض القولَ على هذا الروى، وأعالجه على هذا الوزن حتى نظمت هذه القافية المُهلهلة، وأتممت هذه الكلمة الرِّيضة . وأنا أعرضها على القراء راجيًا أن يلحظوها بعين الرضاء، ويسحبوا على عيوبها ذيل الإغضاء، وهذه هى :

اختلافُ النَّهارِ والليل يُنسى اذكرا لى الصِّبا، وأيامَ أُنسى

وصفا لى مُلاوةً من شباب صُوِّرت من تصورات ومَسّ(٢)

---

(١) رصف الحجارة رصفا : ضم بعضها الى بعض .
(٢) الملاوة : البرهة من الدهر .

عصفتْ كالصَّبا(١) اللعوبِ ومرّت ... سِنةً(٢) حُلوةً . ولذّةُ خَلْس(٣)
وسلا مصرَ : هل سلا القلبُ عنها ... أو أسا(٤) جُرحَه الزمان المؤسّى؟
كلما مرّت الليالى عليه ... رقَّ . والعهدُ فى الليالى تُقسِّى(٥)
مُستَطارٌ(٦) إذا البواخِرُ رنّتْ(٧) ... أولَ الليلِ . أو عَوَتْ بعد جَرْس(٨)
راهبٌ(٩)فى الضلوع للسفن قَطْن(١٠) ... كلما ثُرْنَ شاعَهن بنَقس(١١)
يا ابنةَ اليمِّ(١٢) ، ما أبوكِ ببخيلٌ ... مالَه مولَعًا بمنعٍ وحبس ؟
أحرامٌ على بلابله الدَوْ ... حُ ، حلالٌ للطير من كل(١٣) جنس؟
كلُّ دارٍ أحقُّ بالأهل ، إلا ... فى خبيثٍ من المذاهب رِجْس(١٤)
نفسى مِرجَلٌ(١٥) ، وقلبى شِراعٌ ... بهما فى الدموع سِيرِى وأرسى
واجعلى وجهَك (القنارَ) ، ومجرا ... كِ يدَ (الثغرِ) بين (رملٍ) و (مكس)
وطنى لو شُغِلتُ بالخلدِ عنه ... نازعتنى إليه فى الخلد نفسى
وهفا(١٦) بالفؤاد فى سلسبيلٍ ... ظمأٌ للسواد من (عين شمس)(١٧)
شهِد اللهُ ، لم يَغِب عن جفونى ... شخصُه ساعةً ، ولم يخلُ حِسّى
يُصبح الفكرُ و (المسلّةُ) ناد ... يه ، و (بالسَّرحة الزكية) يُمسى
وكأنّى أرى الجزيرةَ أيْكًا(١٨) ... نَغَمَتْ طَيْرُه بأرخم جَرس(١٩)

---

(١) الصبا : ريح مهبها من مطلع الثريا الى بنات نعش ٢ ــ السنة : النعاس ٣ ــ خلس الشيء : أخذه فى نهزة ومخاتلة ٤ ــ اسا الجرح : داواه ٥ ــ قسى قساوة تقسية : اى صيره قاسيا ٦ ــ مستطار : استطير الشيء : طير وانتشر ٧ ــ رن : اى صاح ورفع صوته بالبكاء ٨ ــ الجرس : الصوت ٩ ــ الراهب : هو من تبتل لله ؛ واعتزل عن الناس الى الدير . طلبا للعبادة ، ويشبه به القلب ١٠ ــ قطن للشيء : اى حذق به ١١ ــ النقس : ضرب النواقيس ١٢ ــ اليم : البحر ١٣ ــ الدوح : جمع دوحة وهى الشجرة العظيمة
(١٤) الرجس : المأثم (١٥) المرجل : القدر من الحجارة والنحاس
(١٦) هفا : اى اسرع ١٧ ــ السواد : ما حول البلدة من القرى
(١٨) الأيك : الشجر الكثير الملتف ، وقيل : الغيضة تنبت السدر والاراك ونحوهما من ناعم الشجر ١٩ ــ الجرس : الصوت ؛ او خفيه .

هى (بلقيسُ) فى الخمائل صَرْحٌ(١) من عُباب(٢) ،وصاحبٌ غيرُ نِكس(٣)
حَسْبُها أن تكونَ للنيل عِرْسًا قبلها لم يُجنَّ يومًا بعرس
لبستْ بالأصيل حُلَّةَ وَشْيٍ بين صنعاء(٤) فى الثياب وقَسّ(٥)
قدّها النيلُ ، فاستحتْ ، فتوارتْ منه بالجسرِ بين عُرْيٍ ولُبس
وأرى النيلَ (كالعقيق)(٦) بوادٍ ه وإن كان كوثرَ المتحسّى(٧)
ابنُ ماء السماء ذو الموكب الفخم الذى يَحسُر العيونَ ويُخسى(٨)
لا ترى فى ركابه غيرَ مُثْنٍ بخَمِيلٍ ، وشاكرٍ فضلَ عرس
وأرى (الجيزة) الحزينة ثَكْلَى لم تُفِقْ بعدُ من مَناحة (رمسى)(٩)
أكثرتْ ضجّةَ السواقى عليه وسؤالَ اليراع عنه بهَمْس(١٠)
وقيامَ النخيل ضَفَّرْنَ شعرًا وتجرَّدْنَ غَيْرَ طَوقٍ وسَلْس(١١)
وكأنَّ الأهرامَ ميزانُ فرعو نَ بيومٍ على الجبابر نَحْس
أو قناطيرُه تأنّق فيها ألفُ جَابٍ(١٢)وألفُ صاحبِ مَكْس(١٣)
روْعةٌ فى الضحى ، مَلاعِبُ جِنٍّ حين يغشَى اللّجى حماها ويُغسى(١٤)
و(رهينُ الرمال) أفطسُ ، إلّا أنه صُنْعُ جِنّةٍ غير فُطْس(١٥)
تتجلّى حقيقةُ الناس فيه سَبْعُ الخَلْقِ فى أساريرِ إنسى

---

(١) الصرح : القصر ، وكل بناء خال — ٢ — العباب : كثرة الماء ، والعباب : معظم السيل ، والعباب : ارتفاعه وكثرته — ٣ — النكس : الرجل الضعيف الدنىء الذى لا خير فيه — ٤ — صنعاء : قصبة بلاد اليمن . وقرية بباب دمشق — ٥ — ثوب قسى وتكسر قافه ، منسوب الى قس وهو موضع بين العريش والفرما ؛ من أرض مصر .
(٦) العقيق : كل ما شقه ماء السيل فانهره ووسعه ، وبعة يبالعقيق هنا عقيق المدينة ، وهو معروف — ٧ — المتحسى : اى الشارب
(٨) يخسى : من خسا البصر ، كل وأعيا — ٩ — رمسى : اى رمسيس — ١٠ — اليراع : القصب — ١١ — سلسلت النخلة سلسا : ذهب كربها — ١٢ — جاب : الجابى الذى يجمع الخراج — ١٣ — المكس : دراهم كانت تؤخذ من بائعى السلع فى الأسواق فى الجاهلية .
(١٤) يغسى : يظلم — ١٥ — فطس الرجل : تطامنت قصبة انفه وانتشرت فى وجهه ، فهو افطس ، والجمع فطس .

لعِبَ الدّهرُ فى ثراه صبيًّا والليالى كواعبًا غيرَ عُنْس(١)
ركِبتْ صُيّدُ(٢) المقادير عينيه لنَقْدٍ ، ومِخْلَبَيْهِ لفَرْس(٣)
فأصابت به المالكَ : (كسرى) (وهِرَقْلاً) ، (والعبقرىَّ الفرنسى)
يافؤادى ، لكلِّ أمرٍ قرارٌ فيه يبدو ويَنْجلِى بعدَ لَبْس
عَقَلتْ(٤) لُجّةُ الأُمورِ عقولًا طالتْ الحوتَ طُولَ سُبْح وَغَسّ(٥)
غَرِقتْ حيثُ لا يُصاحُ بطافٍ أو غريقٍ ، ولا يُصاخُ لِحِسّ
فَلكٌ يَكسِفُ الشموسَ نهارًا ويسومُ البدورَ ليلةَ وَكْس(٦)
ومواقيتُ للأُمورِ ، إذا ما بَلَغَتْهَا الأُمورُ صارتْ لِعَكْس
دُوَلٌ كالرجالِ ، مرتهناتٌ بقيامٍ من الجُدُودِ وتَعْس
وليالٍ من كلِّ ذاتِ سِوارٍ لطَمَتْ كلَّ رَبِّ (رُومٍ) (وفُرْس)
سدّدتْ بالهلالِ قوساً ، وسلتْ خِنْجَرًا يَنْفُذان من كل تُرس
حكمتْ فى القرون (خوفو) و (دارا) وعفت(٧) (وائلا) وألْوَتْ (بعَبس)
أين (مروانُ) : فى المشارق عرشٌ أمَوِىٌّ ، وفى المغارب كرسى ؟(٨)
سَقِمتْ شَمْسُهم ، فردَّ عليها نورَها كلُّ ثاقبِ الرأى نَطْس(٩)
ثم غابتْ ، وكلُّ شمسٍ سِوَى هاتِيـ ـكَ تَبْلَى ، وَتنطوى تحتَ رَمْس(١٠)
وعظ (البحترىّ) إيوانُ (كسرى) وشَفَتْنِى(١١) القصورُ من (عبدشمس)
رُبَّ ليلٍ سريتُ والبرقُ طِرْفِى وبِساطٍ طويْتُ والريحُ عَنْسِى(١٢)

---

(١) عنس : جمع عانس ، وهى الجارية التى طال مكثها فى اهلها بعد ادراكها ولم تتزوج — ٢ — صيد : واحدها صائد — ٣ — الفرس: الافتراس — ٤ — عقلت : قيدت ٥ — غس فى البلاد غسا : دخل فيها ومضى قدما ٦ — ليلة الوكس : اى ليلة دخول القمر فى نجم منحوس ٧ — عفت : درست ومحت ٨ — كرسى : اى عرش
(٩) نطس: اى عالم — ١٠ — الرمس : القبر — ١١ — شفتنى: اى وعظتنى هى ايضا وعظا شافيا — ١٢ — العنس : الناقة

أَنْظِمُ الشرقَ فى (الجزيرة) بالغر ... بِ ، وأطْوِى البلادَ حَزْنًا(١) لدَهس(٢)
فى ديارٍ من الخَلائف(٣) دَرْسٍ ... ومنارٍ(٤) من الطوائف طمس
وربًى كالجنانِ ، فى كنفِ الزيتو ... نِ خُضْرٍ ، وفى ذَرا الكَرْمِ طُلْس(٥)
لم يَرُعْنى سوى ثَرىً قُرْطُبِىٌّ ... لستُ فيه عِبْرةَ الدهر خَمسى
ياوقَى اللهُ ما أُصَبِّحُ منه ... وسَقَى صَفْوَةَ الحيَا ما أُمَسِّى
قَرْيَةٌ لا تُعَدُّ فى الأرض ، كانت ... تُمسِكُ الأرضَ أن تَميدَ وتُرْسى
غَشِيتْ ساحلَ المحيط ، وغطَّتْ ... لُجَّةَ الرُّومِ من شراعٍ وقَلْسِ(٦)
ركِب الدهرُ خاطرى فى ثراها ... فأتَى ذلك الحِمَى بعد حَدْس(٧)
فتجلَّتْ لىَ القصورُ ومن فيـ ... ـها من العزِّ فى منازلَ قُعْس(٨)
ما ضفتْ(٩) قَطُّ فى الملوكِ على نَدْ ... لِ المعالى ، ولا تردَّتْ بنَجْس
وكأنى بلغتُ للعلمِ بيتًا ... فيه ما لِلعقولِ من كل دَرس
قُدْساً فى البلادِ شرقاً وغرباً ... حَجَّهُ القومُ من فقيهٍ وقَسّ
وعلى الجمعةِ الجلالةُ ، و(النا ... صرُ) نورُ الخميس تحت الدَّرَفس(١٠)
يُنزل التاجَ عن مفارقِ (دُونٍ) ... ويُحَلِّى به جبينَ (البرنس)
سِنَةٌ من كرًى ، وطيفُ أمانٍ ... وصحا القلبُ من ضلالٍ وهَجْس(١١)
وإذا الدارُ ما بها من أنيسٍ ... وإذا القومُ ما لَهم من مُحسِ(١٢)
ورقيق من البيوت عتيق ... جاوز الألفَ غيرَ مذموم حَرْس(١٣)

---

(١) الحزن : ما غلظ من الارض — ٢ — الدهس : المكان السهل ليس برمل ولا تراب — ٣ — الخلائف : جمع خليفة . — ٤ — المنار: العلم يجعل للطريق — ٥ — طلس : واحدها أطلس ، وهو ما لونه اسود تخالطه غبرة — ٦ — القلس : حبل السفينة — ٧ — الحدس : السير على غير هداية — ٨ — القعس : العز الثابت — ٩ — ضفت : من ضفا : سبغ واتسع — ١٠ — الخميس : الجيش والدرفس : العلم الكبير — ١١ — الهجس : كل ما وقع فى خلد الانسان
(١٢) محس : اى حاس بهم — ١٣ — الحرس : الدهر

أَثَرٌ من (محمدٍ) ، وتُراثٌ صار (للروح) ذى الولاء الأَمَسّ(١)
بَلَغَ النّجمَ ذِرْوَةً ، وتناهى بينَ (ثَهْلانَ)(٢)فى الأساس و(قُدس)(٣)
مَرْمَرٌ تسبَحُ النواظرُ فيه ويطول المدى عليها فتُرسى
وسَوارٍ(٤) كأنّها فى استواء أَلِفاتُ الوزيرِ فى عَرْضِ طِرْس(٥)
فَترَةُ الدهر قد كست سَطَرَيْها(٦) ما اكتسى الهدبُ من فتور ونعس
وَيْحَهَا ! كَمْ تزيَّنتْ لعليم واحِدِ الدَّهْرِ ، واستعدت لخمس(٧)
وكأَن الرفيفَ(٨) فى مسرح العي ن مُلاءٌ مُدَبَّراتُ الدِّمَقس(٩)
وكأَن الآياتِ فى جانبيه يتنزَّلن فى معارج قدس(١٠)
مِنبرٌ تحت (مُنذرٍ)(١١) من جلال لم يزل يكتسيه ، أو تحتَ (قُسّ)
ومكانُ الكتاب يُغريكَ رَيّا وَرْدِه غائبًا . فتدنو لِلَمْس(١٢)
صَنْعَةُ (الداخِل)(١٣) المباركِ فى الغر ب ، وآلٍ له مَيامِينَ شُمْس(١٤)

* * *

مَنْ (لحمراء) جُلِّلَتْ بغُبار الـ ـدهرِ ، كالجُرح بين بُرْءٍ ونُكس
كسَنا البرقِ ، لو محا الضوءُ لحظًا لمحتها العيونُ من طول قَبْس
حِصْنُ (غرناطة) ، ودارُ بنى (الأَحـ ـمر) : من غافلٍ ، ويقظانَ نَدْس(١٥)
جَلَّلَ الثلجُ دونَها رأسَ (شِيرى) فبدا منه فى عصائبَ بِرس(١٦)

---

(١) الأمس : الأقرب — ٢ — نهلان : جبل بالعالية — ٣ — قدس: جبل عظيم بنجد .
(٤) السوارى : واحدتها سارية ، وهى الاسطوانة (العمود)
(٥) الوزير : يعنى به ابن مقلة المشهور بجودة الخط
(٦) سطريها : صفيها — ٧ — ويحها كم تزينت لعليم اى لمدرس عالم ؛ واستعدت لاقامة الصلوات الخمس — ٨ — الرفيف : السقف — ٩ — الدمقس : الحرير — ١٠ — المعارج : واحدها معرج وهو السلم والمصعد — ١١ — منذر : هو قاضى الأندلس منذر ابن سعيد المعروف بالعدل والزهد — (١٢) ريا ورده : اى رائحة ورده — ١٣ — الداخل : هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام مؤسس الدولة الأموية بالأندلس — ١٤ — الشمس : الاباة
(١٥) الندس : الفهم — ١٦ — عصائب برس : اى بيض كالقطن .

سَرْمَدٌ شَيْبُهُ ، ولم أَرَ شَيْبًا قبلَه يُرجى البقاءَ ويُنْسى
مَشَتِ الحادثاتُ فى غُرَف (الحمـ ـراء) مَشْيَ النَّعِيِّ فى دار عرس
هَتَكَتْ عِزَّةَ الحجابِ . وفضَّت سُدَّةَ الباب من سمير وأنس
عَرَصاتٌ تخلَّت الخيلُ عنها واستراحت من احتراسٍ وعَس(١)
ومَغَانٍ على الليالى . وِضاءٌ لم تجد للعَشِيِّ تَكرارَ مَسّ
لا ترى غيرَ وافدين على التا ريخ . ساعِينَ فى خشوع ونكس
نقَّلوا الطرفَ فى نضارَةِ آسٍ من نقوش . وفى عُصارة وَرْس(٢)
وقِبابٍ من لازَوَرْدٍ وتِبرٍ كالرُّبى الشُّمِّ بين ظل وشمس
وخطوطٍ تكفَّلَتْ للمعانى ولألفاظها بأَزين لبْس
وترى مجلسَ السباع خَلاءً مُقْفِرَ القاعِ من ظباءٍ وخنس
لا (الثُّريَّا) . ولا جوارى الثريا يتنزَّلْنَ فيه أقمارَ إنْس
مرْمَرٌ قامت الأُسودُ عليه كَلَّةَ الظُّفرِ . لَيِّنَاتِ المَجَسّ
تنشر الماءَ فى الحياض جُماناً يَتنزّى على ترائبَ مُلس
آخرَ العهدِ بالجزيرة كانت بعد عَرْك من الزمان وضَرس(٣)
فتراها . تقول : رايةُ جيشٍ بادَ بالأمس بين أسرٍ وحَسّ(٤)
ومفاتيحُها مقاليدُ مُلكٍ باعها الوارثُ المُضِيعُ ببَخْس
خرج القومُ فى كتائبَ صُمٍّ عن حفاظ ، كموكب الدَّفْن خُرْس(٥)
ركِبوا بالبحار نَعْشًا . وكانت تحت آبائهم هى العرشِ أمس
رُبَّ بانٍ لهادِمٍ . وجَمُوعٍ لمُثِتٍّ ، ومُحْسِنٍ لمُخِسّ

---

(١) العس : احتراس الليل . — ٢ — الورس : نبات أحمر اللون .
(٣) الضرس : من ضرس الزمان القوم : اشتد عليهم .
(٤) الحس : القتل .
(٥) الحفاظ : الذب عن المحارم .

إمْرةُ الناسِ هِمَّةٌ ، لا تَأَنَّى لجبانٍ ، ولا تَسَنَّى لجِبس(١)
وإذا ما أصاب بنيانَ قومٍ وهْيُ خُلْقٍ ؛ فإنه وَهْيُ أُسّ
يا ديارًا نزلتُ كالخُلد ظِلاًّ وَجَنًى دانيًا ، وسَلْسَالَ أنس
مُحسِناتِ الفُصولِ ، لا ناجِرٌ(٢) فيـ ـها بِقَيْظٍ ، ولا جُمادَى بِقَرس(٣)
لا تَحِشّ العيونُ فوق رُباها غيرَ حُورٍ حُوٍّ(٤) المراشف(٥) ، لُعْس(٦)
كُسِيَتْ أفْرُخي بظلِّكِ رِيشاً وَرَبا فى رُبالِكِ واشتدّ غَرْسى
هم بنو مصرَ ، لا الجميلُ لديهم بمُضاعٍ ، ولا الصنيعُ بمَنسى
من لسانٍ على ثنائكِ وَقْفٌ وجَنانٍ على ولائكِ حَبْس
حَسْبُهم هذه الطلولُ عِظَاتٍ من جديدٍ على الدهور ودَرْس
وإذا فاتك التفات إلى الما ضى فقد غاب عنك وجهُ التأسّى

كُوكْ صُو

قال يصف (كوك صو) وهو موقع جميل فى الاستانة العلية . ومعنى اللفظين اللذين سمى بهما (ماء السماء)

تحية شاعرٍ يا ماء (جَكْسو) فليس سواكَ للأرواح أنْسُ
قدَتك مياهُ (دِجلةَ) وهى سَعدٌ ولا جُعلتْ فداءك وهى نحس
وجاءكَ ماءُ (زمزمَ) وهو طُهْرٌ وأمواهٌ على الأردُنِّ قُدْس
وكان (النيلُ) يعرِس كلَّ عامٍ وأنت على المدى فَرْحٌ وعُرس

---

(١) الجبس : الجبان — ٢ — شهر رجب ، او صفر ، أو شهر من شهور الصيف — ٣ — بقرس : بارد — ٤ — حو المراشف : اى سمر الشفاه ، وهو مستملح من النساء — ٥ — المراشف : الشفاه
(٦) اللعس : سواد مستحسن فى الشفة

وقد زعموه للغادات رَمْسًا ... وأنت لِهَمِّهِنَّ الدهرَ رَمْس
ورَدنكَ كوثرًا ، وسَفَرنَ حُورًا ... وهل بالحور إن أسفرنَ بأْس ؟
فقل للجانحين إلى حجاب ... أتُحجَب عن صنيع الله نَفْسُ ؟
إذا لم يَسترِ الأدبُ الغوانى ... فلا يُغنى الحريرُ ، ولا الدمقس
تأمل . هل ترى إلا جلالاً ... تُحِسُّ النفسُ منه ما تحس ؟
كأن الخُود(١) (مريمُ) فى سُفور ... ورائيها حوارِىٌّ وقسّ
تهيَّبها الرجالُ ، فلا ضميرٌ ... يهم بها ، ولا عينٌ تُحِس
غَشِيتُك والأصيلُ يَفيض تبرًا ... ويَنسجُ للرُّبى حُللاً ويكسو
وتذهب فى الخليج له وتأتى ... أناملُ تَنْثر العِقيانَ(٢) خَمْس
وفى جِيد الخميلةِ(٣) منه عِقدٌ ... وفى آذانها قُرْطٌ وسَلس(٤)
ولألأت الجبالُ فضاء سَفْحٍ ... يَسُرّ الناظرين ، وتارَ رأس
على فُلكٍ تسير بنا الهَوَيْنى ... ومِنْ شعرى نديمٌ لى وجِلس
تُنازِعُنا المذاهبَ حيثُ مِلْنا ... زَوارقُ حولنا تجرى وترمو
لها فى الماء مُنسابٌ كطير ... تُسِفُّ(٥) عليه أحياناً وتَحسو
صغارِ الحجم ، مُرْهَفَةِ الحواشى ... لها عُرفٌ(٦) إذا خطرت وجَرْس(٧)
إذا المِجدافُ حَرَّكها اطمأنّت ... وإنْ هو لم يُحَرِّكْ فَهْىَ رعس(٨)
وإنّ هوَ جَدَّ فى الماء انسيابا ... فكُلٌّ طريقه وَتَرٌ وقَوْس
حَملْنَ اللؤلؤ المنثورَ عِيناً(٩) ... كما حَمَلَتْ حَبابَ الراحِ كأْس

---

(١) الخود : جمع خودة وهى المرأة الشابة — ٢ — العقيان : الذهب الخالص — ٣ — الخميلة : الموضع الكثير الشجر
(٤) السلس : الخيط الذى ينظم به الخرز الابيض تلبسه الاماء، وقيل القرط من الحلى — ٥ — اسف الطائر : طار على وجه الأرض
(٦) العرف : لحمة مستطيلة فى اعلى راس الديك — ٧ — الجرس : الصوت ، أو خفيه — ٨ — رعس : من رعس الرجل اذا مشى مشيا ضعيفا — ٩ — العين : جمع عيناء ، وهى المرأة التى عظم سواد عينها فى سعة .

كأَن سوافِرَ(١) الغاداتِ فيها مَلائكُ هَمُّها نَظَرٌ وهَمْس
كأَن برافعَ الغاداتِ تهفو على وجناتها غَيْمٌ وشمس
كأَن مآزِر(٢) العِينِ انتسابا زهورٌ لا تُشمُّ . ولا تُمَسُّ
إذا نُشِرتْ ؛ فريحانٌ ووَرْدٌ وإن طُويت ؛ فنَسْرينٌ ووَرْس
عجبتُ لهنَّ يجمعُهنَّ حسنٌ ولكنْ ليس يجمعُهنَّ لُبس
فكان لنا بظلِّكَ خيرُ وقتٍ وخيرُ الوقتِ ما لَك فيه أُنس
نمتّع منكَ . (ياجكسو) نفوساً بها من دهرها هَمٌّ وبُؤس
إلى أن بان سِرُّكَ فانثنينا وقد طُوِيَ النهارُ . ومات أمس

* * *

وقال فى كلاب الآستانة وكان يضرب بها المثل فى الكثرة والقذارة :

قالوا (فروقُ) الملكِ دارُ مَخاوفٍ لا ينقضى لنزيلها وسْواسُ
وكلابُها فى مأْمنٍ . فاعجب لها أَمِنَ الكلابُ بها . وخاف الناسُ

أَنَسُ الوُجُود

إلى المستر روزفلت

الرئيس الأسبق للولايات المتحدة

أتأذن لرجلٍ تعوّد أَن يخرجَ عن دائرةِ (الموظف) كلما عرضَت حال يخدم الوطنَ فيها الرجالُ يرفع لشعرِه ذكره . ويشرِّفَ قدرَه . مهدياً إليكَ منه هذه القصيدة فى لغة (الضاد) ، وهى مما قلتُ فى (أنس الوجود) ذلك الأثر المحتضر ، الذى جمع العِبَر : ومحاه الدهر أو كاد وكان إحدى آياته

---

(١) سوافر : جمع سافرة ، وهى المرأة التى كشفت عن وجهها .
(٢) مآزر : جمع ازار ، وهو الملحفة .

الكبر ، هياكل « لفرعون » و« بطليموس » ، تَوَرَّثها عن « الكهنة » « القسوس » ، وصارت « للمسيح » وكانت « لهوروس » ، ثم ظهرَ « الأذانُ » فيها على « الناقوس » . ثم لا تكون عَشية أو ضُحاها حتى يهوى فى الماء كلُّ حجر كان يُقبَّل (كالأَسْوَد)(١) . وكل ركن كان يُستلم « كالحطيم »(٢) شهدتُ على « أنس الوجود » ما يُعلم الإنسانَ — ولو أنه (روزفلت) علماً وحكمة وأدباً — كيف يَحتقرُ الدنيا ويحترم الدين جميعًا .

دخلتُه ذات يوم وكان « الدوق أوف كونوت » لديه يتمشى فى ظِلالِه ، ويتنقلُ بين رسومِه وأطلالِه . عيناه ونفسه فى إكباره وإجلاله ، فكانت منى التفاتة فرأيت « فلَّاحا » أقبلَ ثم ألقى عباءته وتوجه يصلى « العصر » غيرَ مُلقٍ بالاً « لفرعون » كيف كان يعبد ويُعبد ، ولا « لبطليموس » كيف كان يُعظَّم ويُمجَّد . ولا للمسيحية السمحةِ كيف دخلت على « الوثنية » المَعْبَد . ولا « للملكِ إدوارد » الذى تحتل جنودُه الآن مصر وهو فى ثياب أخيه « الدوق » يرفع البصرَ ويُسدِله مُتلئًا من آيات الدهر مهابة وإعجاباً ، مشتغِلا بالتاريخ القائم المجسم . يقرؤه كتاباً كتاباً . دين سهل سَمْح يَسَر . وإلٰه واحد يُعبَد حيث وجِد العابد ، على العَرَاء كما فى الهياكل ، والكنائس والمساجد .

التاريخ — أيها الضيفُ العظيم — غابر متجدد . قديمه مِثوال ، وحاضره مِثال . والغدُ بيد الله المتعال . وأنت اليوم تمشى فوق مَهد الأعصُر الأوَل ، ولحد قواهر الدول . أرض اتخذها « الإسكندر » عريشا . وملأها على أهلها

---

(١) الأسود : هو الحجر الأسود الذى بمكة — ٢ — الحطيم : جدار حجر الكعبة . وقيل ما بين الركن وزمزم والمقام .

«قيصر» سفيناً ، وخلّف «ابن العاص» فيها لساناً وجنساً ودِيناً ، فكان أعظمَ المستعمرين حقيقة وأكبرهم يقيناً ، وهو الذى لم يعلم عليه أن بغى أو ظلم أو سفك الدمَ ، أو نهى ، أو أمر ، إلا بين الرجاء والحذر ، من عدل «عمر» ، الذى تنبيك عنه السِّير .

قمتَ ـ أيها الضيف العظيم ـ فى السودان خطيباً فأنصت العصر ، والتفتت مصر ، وأقبل أهلها بعضهم على بعض يتساءلون : «كيف خالف الرئيس سُنة الأحرار من قادة الأُمم وساسة الممالك أمثاله ، فطارد الشعور وهو يهب ، والوجدان وهو يشب ، والحياة وهى تدِب ، فى هذا الشعب ؟! ومن حرمة العواطف السامية ، ألا تطارد كأنها وحوش ضارية ، على صحراء أو بادية ، كما طاردتَ السباع بالأمس نقماً من طبائعها الجافية» .

المصرىُّ ـ أيها الضيف العظيم ـ سمح كريم التجاوز ، فقد ظفِرت بمن مهّد عذرك ، ونقّى الظن عن كرمك ، وادخر ودك الذى تخطبه الأُمم المستضعفة ، والشعوب المتلهفة ، المتشوِّفة ؛ إذ قيل : إنما أراد الرئيس أن يمدح ديناً من حقه أن يمدح بكل لسان ، وفى كل مكان ، فكيف به فى بعض معاهده فى السودان؟! وأراد كذلك أن يحذِّر من الفتنة فى الجيوش ، وينهى عن إيقاظها ، ويذكر للمحسن من الحكام ما رأى أو سمع من حسناته ، ويدعو هذه الأُمة التى حركتُها المستقبلة فى السكون ، إلى العملِ فى ظلِّ الحق والصبر بإذن الله مضمون ، ومستقبل بمشيئة الله مأمون ، وقديماً فاز بالصبر الصابرون» .

فإن كان ذلك ـ أيها الضيف العظيم ـ وهو مالا نعتقد غيره ـ فمثلك من نصحَ للأُمم ، وبعث العزائمَ والهمم . وعلم باللسان والقلم .

على أننا نرجو أن ستذكرنا عند قومك الكرام الأحرار بما أنتم جميعًا أهله ، وأن ستعطينا عهدكَ ، وتصفينا ودّك ، وتملأ من أجمل الظنون وأحسنها بردَك ، يوم تقل السفينة عظمتك ومجدَك ، وتنتقل من أقصى البروج إلى أقصاها سعدَك .

على يد الله تجرى إن هى اندفعت وفى حِمى الله — لافى الماء — تحتجب

* * *

أيها المنتحى (بأسوان) دارًا كالثريّا تريد أن تنقضا

اخلعِ النعلَ ، واخفِض الطرفَ ، واخشع

لا تحاول من آيةِ الدهر غَضّا

قف بتلك (القصورِ) فى اليَمِّ غرقى

مُمسكاً بعضُها من الدعر بعضا

كعذارى أخفَيْنَ فى الماء بَضًّا(١) سابحاتٍ به ، وأبْدَيْنَ بضّا

مُشرفاتٍ على الزوالِ ، وكانت مشرفات على الكواكب نهضا

شابَ من حولها الزمانُ وشابت وشبابُ الفنونِ ما زال غضّا

رُبَّ «نَقْشٍ» كأنما نفض الصا نعُ منه اليَدَيْنِ بالأمس نفضا

و«دهانٍ» كلامع الزيت ، مرّت أعصرٌ بالسراج والزيت وُضّا(٢)

و«خُطوطٍ» كأنها هدب ريم(٣) حَسُنَتْ صنعةً ، وطولاً ، وعرضا

و«ضحايا» تكاد تمشى وترعى لو أصابتْ من قدرَةِ الله نبضا

و«محاريبَ» كالبروج ، بَنتها عزماتٌ من عزمة الجنّ أمضى(٤)

شيّدتْ بعضَها القراعينُ زُلْفَى(٥) وبَنى البعضَ أجنبٌ يترضّى(٦)

---

(١) البض : الرخص الجسد — ٢ — وضا : وضاء — ٣ — ريم : غزال — ٤ — أمضى : أحد — ٥ — زلفى : تقربا — ٦ يترضى : يطلب الرضا .

و «مقاصيرُ» أُبْدِلَت بفُتاتِ الـ مسكِ تُرْباً ، وبالياقيت قضّا(١)
حظُّها اليومَ هَدّةٌ ، وقديماً صُرِّفتْ فى الحظوظ ، رفعًا وخَفضا
سَقَتِ العالمينَ بالسعد والنحـ ـس ، إلى أن تعاطت النحس محضا(٢)
صنعةٌ تدهش العقولَ ، وفنٌّ كان إتقانُه على القوم فرضا

* * *

ياقصورًا نظرتُها وهْىَ تقضى(٣) فسكبتُ الدموعَ ، والحقُّ يُقضى
أنتِ سَطرٌ ، ومجدُ مصرَ كتابٌ كيف سامَ البِلى كتابَك فضّا ؟
وأنا المحتفى بتاريخ مصرٍ مَنْ يَصُنْ مجدَ قومه صان عِرضا
رُبَّ سرٍّ بجانبيك مُزالٍ كان حتى على «الفراعين» غمضا
قل لها فى الدعاء لو كان يجدى : يا سماءَ الجلالِ ، لا صِرْتِ أرضا
حارَ «فيلكٍ» المهندسون عقولاً وتولّت عزائمُ العِلمِ مَرضى
أين ملكٌ حيالَها وفريد من نظام النعيمِ أصبح فضا ؟(٤)
أين «فرعونُ» فى المواكب تَتْرَى يركض المالكين كالخيل ركضا ؟
ساق للفتح فى الممالِك عَرضاً وجلا للفخارِ فى السِلم عَرضا
أين «إيزيس» تحتها النيل يجرى حكمت فيه شاطئيْن وعَرضا ؟
أسْدَلَ الطرفَ كاهنٌ ومليكٌ فى ثراها ، وأرسل الرأسَ خَفضا
يُعْرَضُ المالكون أسْرَى عليها فى قيود الهوانِ ، عانِينَ ، جَرضَى(٥)
مالها أصبحت بغيرِ مُجيرٍ تشتكى من نوائب الدهر عضّا ؟

---

(١) قضا . حصى — ٢ — محضا : خالصا — ٣ — تقضى : تفنى .
(٤) فضا : منضوضا — ٥ — جرضى : مغمومين .

هى فى الأَسْرِ بين صَخْرٍ وبحرٍ مَلكة فى السجون فوق حَضوضَى(١)
أين «هوروسُ» بين سيف ونِطْعٍ ؟ أبهذا فى شرعهم كان يُقْضَى؟
ليت شعرى : قضى شهيدَ غرامٍ أم رَماه الوشاةُ حقدًا وبغضًا ؟
رُبَّ ضَربٍ من سَوْطِ فرعونَ مَضَّ(٢) دونَ فعلِ الفِراقِ بالنفس مَضَّا
وهلاكٍ بسيفه وهْوَ قانٍ دون سيفٍ من اللواحظ. يُنْضَى (٣)
قتلوه ، فهل لذاك حديثٌ ؟ أين راوى الحديثِ نثرًا وقرضا ؟

* * *

يا إمامَ الشعوبِ بالأمس واليو م ، ستُعطَى من الثناء ، فترضى
(مصر) بالنازلين من ساحِ (معنٍ) (٤)
وحِمى الجود (حاتم) الجود أقضى
كن ظهيرًا (٥) لأهلها ونصيرًا وابذل النصحَ بعد ذلك مَحضا
قل لقوم على (الولايات) أيقا ظٍ إذا ذاقت البَرِيَّةُ غُمضا
شيمةُ (النيل) أن يفى ، وعجيب أحرجوه ، فضيّع العهدَ نقضا
حاشه (٦) الماءَ ، فهْوَ صيدٌ كريمٌ ليت بالنيل يوم يسقط غيضا(٧)
شيد والمالَ والعلوم قليل أنقذوه بالمال والعلمِ نقضا(٨)

---

(١) حضوضى : جبل فى البحر — ٢ — مض : موجع .
(٣) ينضى : يسل — ٤ — معن : هو معن بن زائدة أحد كرماء العرب — ٥ — ظهيرا : نصيرا — ٦ — حاشه : من حاش الصيد : أحرجه فى كل مكان — ٧ — غيضا : من غاض الماء غيضا : نقص أو غار فذهب فى الأرض — ٨ — نقضا : ما انتقض من البناء ، أى انتكث .

النفس

قال الرئيس ابن سينا :

هبطتْ إليك من المحل الأرفعِ ورقاءُ ذاتُ تَعَزُّزٍ وتمنُّع
محجوبةٌ عن كلِّ مُقْلَةِ عارفٍ وهى التى سَفَرَتْ ولم تتبرقع
وصلت على كره إليك ، وربما كرِهت فراقَك وهْىَ ذاتُ تفجُّع
أَلِفت وما سكنت ، فلما واصلت أَلِفت مجاورةَ الخرابِ البَلْقَع
وأظنها نسيت عهودًا بالحمى ومَنازِلاً بفراقها لم تَقنع
حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها عن مِيم مركزها بذات الأَجرَع
عَلِقت بها ثاءُ الثقيل ، فأَصبحت بينَ المعالمِ والطُّلولِ الخُضَّع
تبكى وقد ذكرت عهودًا بالحمى بمدامع تَهْمِى . ولما تُقْلِع
. . . . . الخ الخ الخ

وقد قال المقتطف فى الشاعرين بعد كلام طويل : «والاثنان جريا مجرى أفلاطون ، فى حسبان النفس روحاً كانت عند الخالق . ثم هبطت ودخلت جسم الإنسان ، إلا أن أفلاطون تصورها فرساً مجنحة ، غذاؤها الجمال والحكمة والصلاح ، فلما هبطت فقدت جناحيها ودخلت جسم الإنسان . والفلاسفة يشعرون بشىء لا يستطيعون معرفته فيصفونه كما يتصورونه ، ويجاريهم الشعراءُ فى التصور ، ويفوقونهم فى الوصف

* * *

ضُمِّى قِناعَك ياسُعادُ . أو ارْفَعِى هذِى المَحَاسِنُ ماخُلِقْنَ لِبُرْقُعِ (١)

---

(١) الخطاب للنفس ، خاطبها كما يخاطبها فيلسوف ، علم بدائعها ، وبحث عن حقيقتها ، فرآها تزيد غموضا كلما زاد بحثا . مع انهـا اقرب ما يكون اليه .

الضاحياتُ ، الضاحكاتُ ، ودونَها ... سِترُ الجلالِ ، وبُعْدُ شأوِ المطلعَ(١)
يا دُمْيَةً لا يُستزاد جمالُها ... زيديه حُسْنَ المُحْسِنِ المتبرِّع
ماذا على سلطانِه من وقفة ... للضَّارِعين ، وعَطْفةٍ للخُشَّع؟
بل ما يضرِكِ لو سمحتِ بجَلْوَة ؟ ... إنّ العروسَ كثيرةُ المتطلِّع
ليس الحجابُ لمَن يَعِزُّ مَنالُه ... إنّ الحجابَ لِهيِّنٍ لم يمنع
أنتِ التى اتّخذ الجمالَ لعزِّه ... مِنْ مَظْهرٍ ، ولسرِّهِ مِن مَوضع(٢)
وهو الصَّنَاعُ . يَصوغ كلَّ دَقيقةٍ ... وأدقّ منكِ بَنانُه لم تَصْنَع(٣)
لمستكِ راحتُه ، ومسَّكِ روحُه ... فأتى البديعُ على مِثال المُبْدِعِ
اللهَ فى الأحبار : مِنْ مُتهالكٍ ... نِضْوٍ ، ومَهْتوكِ المُسوحِ مُصَرَّع(٤)
من كلّ غاوٍ فى طَوِيَّةِ راشدٍ ... عاصى الظواهرِ فى سريرةِ طَيِّع
يَتوَهَّجون ويَطفأون ، كأنّهم ... سُرُجٌ بِمُعْتَرَكِ الرِّياحِ الأربع
علِموا ، فضاق بهم وشَقَّ طريقُهم ... والجاهلون على الطريق المَهْيَع
ذهب (ابنُ سينا) ، لم يَفُزْ بكِ ساعةً ... وتولّت الحكماءُ . لم تَتَمَتَّع
هذا مَقامٌ ؛ كلُّ عِزٍّ دونَه ... شمسُ النهارِ بمثله لم تَطْمَع
(فمحمدٌ) لك و (المسيحُ) تَرَجَّلا ... وترجَّلَتْ شمسُ النهار (ليُوشَع)(٥)
مابالُ (أحمدَ) عَىَّ عنكِ بيانُه ؟ ... بل ما (لعيسى) لم يَقُلْ أو يَدَّع؟
ولسانُ (موسى) انحلَّ . إلا عقدةً ... مِنْ جانبيكِ ؛ عِلاجُها لم يَنْجَع؟

---

(١) الضاحيات : الظاهرات البارزات ، وصف بها محاسن النفس ، وقال : انها مع ذلك - مظلمها بعيد وجلالها مستور — ٢ — «من» زائدة ، والمعنى : أن النفس اتخذها الجمال مظهرا لعزه ، وموضعا لسره .

(٣) الصناع : الماهر فى الصناعة — ٤ — نصب اسم الجلالة على الاستغاثة ، والكلام فى الأبيات الخمسة بعده وصف لما عاناه الأحبار والفلاسفة من البحث عن حقيقة النفس ، فشق طريقهم كلما زادوا بحثا ، أما الجاهلون ففى راحة سائرون فى المهيع ، أى الطريق الواسع البين .

(٥) الضمير فى ذلك يرجع الى النفس ، أراد بها الجوهر الالهى

لما حللْتِ (بآدمٍ) حلَّ الحيا ... ومشى على الملإِ السُّجودِ الرُّكَّعِ(١)
وأرى النبوَّةَ فى ذَراكِ تكرَّمَتْ ... فى (يوسفٍ)، وتكلَّمت فى المُرْضَعِ(٢)
وسَقَتْ (قريشَ) على لسان (محمدٍ) ... بالبابليِّ من البيان المُمْتِعِ(٣)
ومَشَتْ (بموسى) فى الظلام مُشَرِّدًا ... وحدَتْه فى قُلَلِ الجبالِ اللُّمَّعِ(٤)
حتى إذا طُوِيَتْ ورِثتِ خِلالَها ... رُفِعَ الرَّحِيقُ وسِرُّه لم يُرْفَعِ(٥)
قَدَمَتْ مَنازِلَكِ الحُظوظُ : فمنزِلاً ... أترَعنَ منكِ، ومنزلاً لم تُتْرِعِ
وخَلِيَّةً بالنحل منك عَمِيرةً ... وخليَّةً مَعمورةً (بالتُّبَّعِ)(٦)
وحَظيرةً قد أُودِعَت غُرَرَ الدُّمَى ... وحَظيرةً محرومةً لم تودَعِ(٧)
نظر (الرئيسُ) إلى كمالكِ نظرةً ... لم تَخْلُ من بَصَرِ اللبيبِ الأَرْوَعِ
فرآه منزلةً تعرَّضَ دُونَها ... قِصَرُ الحياةِ، وحالَ وَشْكُ المَصْرَعِ
لولا كمالُكِ فى (الرئيس) ومِثْلِه ... لم تَحْسُنِ الدنيا، ولم تَتَرَعْرَعِ(٨)
اللهُ ثبَّت أرضَه بدعائِهم ... هم حائطُ الدنيا، وركنُ المجمعِ
لو أن كلَّ أخى يراع بالغٌ ... شأوَ (الرئيسِ) وكلَّ صاحبِ مِبضَعِ
ذهب الكمالُ سُدًى، وضاع مَحلُّه ... فى العالَمِ المتفاوتِ المتنوِّعِ

* * *

يانفسُ، مثلُ الشمس أنتِ : أَشِعَّةٌ ... فى عامرٍ، وأَشِعَّةٌ فى بَلْقَعِ

---

(١) حل الحيا : نهض، والمقصود هنا تقديس الروح العالى الذى نفخ الله فى آدم .
(٢) أراد بيوسف : يوسف الصديق، ومعنى تكرم النبوة فيه أنها سمت بنفسه وبلغت بها الكمال لما عف، وأراد بالمرضع : السيد المسيح .
(٣) أراد بالبابلى : السحر اشارة الى قوله «ان من البيان لسحرا» .
(٤) اشارة الى العليقة الملتهبة ــ ٥ ــ فاعل طويت يعود الى النبوة. والخلال : الصفات والمزايا التى يبقى اثرها كما يبقى اثر الخمر بعد ماتزول
(٦) التبع : يعسوب النحل الأعظم، وهو ما يسمونه الملكة
(٧) الدمى : الصور، او التماثيل الجميلة، أشار بما فى الأبيات الثلاثة المتقدمة الى تفاوت النفوس فى الناس ــ ٨ ــ أى لولا كبار النفوس لما ارتقى العالم وصلحت الأنام، والمقصود من الكمال هنا : بلوغ النفس الكمال فى النبوة، أو ما يقرب من الكمال فى بعض العبقريين من الناس، والرئيس منهم .

فإذا طوى اللهُ النهارَ تراجَعَتْ ... شتّى الأشِعةِ ، فالتَقَتْ فى المرجِع
لما نُعِيتِ إلى المنازل غُودِرَتْ ... دَكًّا ، ومثلُكِ فى المنازل ما نُعى
ضَجَّتْ عليكِ معالماً . ومعاهداً ... وبكَتْ فراقكِ بالدموع الهُمَّع(١)
آذَنْتِها بنوًى ، فقالت : لَيْتَ لَمْ ... تَصِلِ الحبالَ ، وليتها لم تَقْطع
ورداء جُثْمانٍ لبِستِ مُرَقَّمٍ ... بيد الشباب على المشيبِ مُرَقَّع
كم بِنْتِ فيه ، وكم خَفِيتِ ، كأنه ... ثوبُ الممثِّل ، أو لباسُ المَرْفع؟ (٢)
أسَئِمتِ من دِيباجِهِ ، فنزعتِه ؟ ... والخَزُّ أكمانُ إذا لم يُنْزَع
فزِعَتْ وما خفِيَتْ عليها غايَةٌ ... لكنَّ مَنْ يَرِدِ القِيامةَ يَفْزع(٣)
ضرَعَتْ بأدمُعِها إليك ، ومادَرَتْ ... أنّ السفينةَ أقلعت فى الأدمع
أنتِ الوفيَّةُ ، لاالذِّمامُ لديكِ مَذْ ... موم ، ولا عهدُ الهوى بمُضَيَّع
أزْمَعتِ ، فانهلَّتْ دموعُكِ رِقَّةً ... ولو استطعتِ إقامةً لم تُزْمِعى
بان الأحبةُ يومَ بَيْنِكِ كلُّهم ... وذَهبتِ بالماضى وبالمتوقَّع

مَيْدَانُ الكُونكُورد

(ميدان الكونكورد (الوفاق) بباريز ، وهو الذى أقدم فيه الملك لويس السادس عشر فى ايام الثورة الفرنساوية)

أمَيدانَ الوِفاقِ ، وكنتَ تُدعى ... بميدان العداوةِ والشِّقاقِ
أتدرِى : أىُّ ذنبٍ أنتَ جانٍ ؟ ... وأىّ دمٍ ذهبتَ بهِ مُراقِ ؟
هَوَى فيك السريرُ ومَنْ عليه ... ومات الثائرون ، وأنتَ باق
أصابوا ، واستراح (لويسُ) منهم ... لذا سُمِّيتَ مَيْدانَ الوفاق

(١) فاعل ضجت عائد الى المنازل اى الاجسام ، ومعالم ومعاهد منصوبتان على التمييز . اراد بالمعالم : ذوى النفوس الصغيرة ، وبالمعاهد : ذوى النفوس الكبيرة — ٢ — المرقع : الكرنفال الذى يلبس الناس فيه ثيابا مزوقة — ٣ — فزعت : تأهبت او استجارت ، والضمير عائد الى اجسام وأراد بالقيامة : ساعة الموت .

أيُّها النِّيلُ

الى الاستاذ مرجليوث مدرس اللغة العربية فى جامعة اكسفورد

أيها الأُستاذ الكريم :

تذكرتُ « أثينا » مدينةَ الحكمة فى الدهور الخالية ، وأياماً غنمناها على رسومها العافية . وأطلالها البالية ، فكأنى أنظر إلى الموتمر ، علماؤه الهالة ، وأنت القمر . أو زُمَرُ الحجيجِ وأنت حادى الزُّمَر ، وأرى الملوكَ فى الحفر ، بُنيانهم مصدوعُ الجُدر ، وبيانهم نور البشر ، نزلنا بهم فإذا الدول خبر ، وإذا الممالك أثر . والطولُ شُغْلُ الفؤادِ والبَصر ، منَّا العبرات ومنها العِبَر ، صَمَت الإنسان ونَطقَ الحجر ، فسبحان العزيز المقتدر القاهرِ فوق عبادِه بالقدَر . كان ذلك والحوادث أجنة ، والأُمور فى أحسن الأَعنَّة . والأَرض بالسلم مطمئنة ، مغتبطة بسلامةِ الشبابِ ، منبسطة بتلاقى الأَحباب . والصَّفْوُ فى الدار والأَكدارُ بالباب ، ثم أخذ الله الأُممَ بذنوبهم فرماهم بمَوانٍ فى الماء ، ضَروسٍ فى الأَرض والسماء ، مَنهومةٍ بالأَموال مُدمِنةٍ للدماء ، نزلتْ بالبريَّةِ فعصفتْ بأَحسن شبابها ونباتها ، ونَقضت موفورَ أمنها وأقواتها ، وهتكتْ فى الثرَى مَصونَ رُفاتها . وخلطتْ فى الخنادقِ أحياءها بأَمواتها . وعدْت على الوحشِ فى فلواتِها ، وعلى الطيرِ فى وكناتِها ، وعلى الرِّياح فى مخترقاتها ، وعلى بَلَم(١) البحار وأَخواتها ، وهَوامِّ القِفَار وحشراتها . وعلى بيوت الله فى ستراتها . والنواقيس فى قِبابها ، والمآذن فى سماواتها . فسبحان الملك الأَكبر ، الذى يَقهر ولا يُقهر ، ويُغيِّر ولا يَتغيَّر ، والذى يقيم القيامة فى ميقاتها

---

١ ــ البلم : صغار السمك .

الشعر كالأحلامِ ؛ تدخل على المسرور الكرى ، وتكثر على المحزون فى السُّرى . وقريحة الشاعر كعَين صاحب الأيام ؛ عندها للحزن عَبرة ، وللسرور عِبرة ؛ وهذه أيها الأستاذ الكريم كلمة قيلت والهموم سارية ، والأقدار بالمخاوف جارية ، والدموع متبارية ، وذِئاب البشر يقتتِلون على الفانية . نظمتها تَغنِّياً بمحاسن الماضى ، وتقييداً لمآثر الآباء ، وقضاءً لحق « النيل » الأسعد الأمجد ، ونسبتها إليك ، عِرفاناً لفضلك على لغة العرب ، وما أنفقت من شباب وكهولة فى إحياء علومها ، ونشر آدابها ، وإلقائها كلما طلعت الشمس خلف الضَّباب دروساً نافعة على أنبل شباب العصر ، فى أعظم جامعات العالم ، فاعلها تقع إليك ، فنتذاكر على النوى تلك الأيام ، ونتنادم من بعد على بِساط الأدب والكلام ، ونسأل الله أن يحقنَ الدماء ، ويقيم جِدارَ السلام .

* * *

مِنْ أىِّ عَهدٍ فى القُرَى تتدَفَّقُ ؟ وبأىِّ كَفٍّ فى المدائن تُغْدِقُ ؟
ومن السماءِ نزلتَ أم فُجِّرتَ من علْيا الجِنان جَداوِلاً تتَرقرق؟
وبأىِّ عَيْنٍ ، أم بأيَّة مُزْنَةٍ(١) أم أىِّ طُوفانٍ تفيض وتَفْهَق ؟(٢)
وبأىِّ نَوْلٍ(٣) أنتَ ناسجُ بُرْدَةٍ للضفَّتيْن ، جَدِيدُها لا يخلق ؟(٤)
تَسْوَدُّ دِيباجاً إذا فارقتها فإذا حضرتَ اخْضَوْضَرَ الإسْتَبْرَق(٥)
فى كلِّ آونةٍ تُبدِّل صِبغةً عجباً ، وأنت الصابغُ المُتأنِّق
أتَت الدهورُ عليكَ ، مَهْلَكَ مُتْرَعٌ(٦) وحِياضُكَ الشُّرق (٧) الشهيَّةُ دُفَّق
تَسْقِى وتُطْعِمُ ، لا إناؤكَ ضائِقٌ بالواردين ، ولا خوانُك يَنفُق(٨)

---

١ ــ المزنة : هى هنا السحابة المطرة ــ ٢ ــ تفهق : فهق الاناء اى امتلأ حتى صار يتصبب .
٣ ــ النول : خشبة الحائك ينسج عليها ــ ٤ ــ يخلق : يبلى .
٥ ــ الاستبرق : الحرير ــ ٦ ــ مترع : ممتلىء ــ ٧ ــ الشرق : الفرقى
٨ ــ تنفق : يفنى ويقل .

والماءُ تَسْكُبُه فيُسْبَكُ عَسْجَدًا(١) والأرضُ تُغْرِقها فيحيا المُغْرَق
تُعيي مَنابِعُك العقولَ ، ويستوى مُتخبِّطٌ فى علمِها ومُحقِّق
أخلَقْتَ راووقَ(٢) الدهورِ ، ولم تزل بلكَ حَمْأةٌ(٣) كالمسك ، لا تتروَّق(٤)
حمراءُ فى الأحواض ، إلاّ أنها بيضاءُ فى عُنُق الثرى تتألَّق
دِينُ الأوائِل فيك دِينٌ مُروءة لِمَ لا يُؤَلَّه مَنْ يَفُوتُ ويَرزُق ؟
لو أن مخلوقاً يُؤَلَّه لم تكن لِسواكَ مَرْتبةُ الأُلوهَةِ تَخْلُق(٥)
جعلوا الهوى لك والوَقارَ عبادةً إنَّ العبادةَ خَشيةٌ وتَعلُّق
دانوا ببحرٍ بالمكارِم زاخرٍ عَذْبِ المشارعِ ، مَدُّهُ لا يُلْحَق
مُتقيِّد بعهودِه ووُعودِه يَجرى على سَنَنِ الوفاءِ ويَصدُق(٦)
يَتقبَّلُ الوادى الحياةَ كريمةً من راحَتَيْكَ عَميمةً تتدفَّق
متقلِّب الجنبيْن فى نَعْمائه يَعْرَى ويُصْبَغُ فى نَدالك فيُورِق
فيبيتُ خِصْبًا فى ثَراه ونِعْمة ويعُمُّه ماءُ الحياةِ الموسِق(٧)
وإليك ـ بَعْدَ اللهِ ـ يَرجِع تحته ما جَفَّ ، أو ما مات ، أو ما يَنْفُق(٨)

* * *

أين الفراعنةُ الأُلى استذرى(٩) بهم
(عيسى) ، و (يوسفُ) ،و(الكَلِيمُ) المصْعَق ؟
المُورِدونَ الناسَ مَنْهَلَ(١٠) حكمةٍ أفْضَى إليه الأنبياءُ ليَستقوا
الرافعون إلى الضحى آباءهم فالشمسُ أصلُهمُ الوَضِيءُ المُغْرِق(١١)
وكأنما بين البِلى وقبورِهم عهدٌ على أنْ لا مِساسَ ، ومَوْثِق

---

١ ـ العسجد : الذهب ـ ٢ ـ الراووق : المصفاة ـ ٣ ـ الحمأة : الطين الأسود ـ ٤ ـ تتروق : من روق الشراب : صفاه ـ ٥ ـ تخلق : أى تكون خليفة وجديرة ـ ٦ ـ السنن : النهج .
٧ ـ الموسق : اسم فاعل من أوسق ، والهمزة فيه للتعدية ، وثلاثيه وسق من وسقت الشاة ونحوها بمعنى لقحت ، أو من وسقت الشيء اذا حملته ـ ٨ ـ ينفق : من نفق الرجل والدابة : ماتا ، يعنى ما مات من الانسان ، وما هلك من الحيوان ـ ٩ ـ استذرى بفلان : التجأ اليه ، واستذرى بالشجرة : أى استظل بها ـ ١٠ ـ المنهل : المورد ـ ١١ ـ المعرق: العريق فى النسب .

فحجابُهم تحت الثرى من هَيْبَةٍ ... كحجابهم فوق الثرى لا يُخرَق

بلغوا الحقيقةَ مِنْ حياة علمُها ... حُجُبٌ مُكَثَّفَةٌ ، وسِرٌّ مُغلَق

وتبيَّنوا معنى الوجودِ ، فلم يَرَوْا ... دونَ الخلودِ سعادةً تَتحقَّق

يَبنون للدنيا كما تَبنِي لهم ... خِرَبًا ؛ غرابُ البَيْن فيها يَنْعَق

فقصورُهم ؛ كُوخٌ ، وبيتُ بَداوةٍ ... وقبورُهم : صرْحٌ أَشَمُّ ، وجَوْسَق(١)

رفعوا لها مِنْ جَنْدَلٍ وصفائح ... عَمَدًا ، فكانت حائطًا لا يُنْتَق(٢)

تتشايمُ الدَّاران فيه : فما بدا ... دُنْيا ، وما لم يَبْدُ أُخرى تَصْدُق

للموتِ سِرٌّ تحتَه ، وجِدارُه ... سُورٌ على السرِّ الخفيِّ ، وخَنْدَق

وكأنَّ منزلهم بأعماقِ الثرى ... بين المحلَّةِ(٣) والمحلَّةِ ؛ فُنْدُقُ

مَوْفورةٌ تحت الثرى أَزْوَادُهم(٤) ... رَحْبٌ بهم بين الكهوف المُطْبِق(٥)

* * *

ولِمَنْ هيا كلُّ قد علا البانى بها ... بين الثريَّا والثَّرى تتنسَّق ؟(٦)

منها المشيَّدُ كالبروجِ ، وبعضُها ... كالطَّوْدِ مُضطَجِعٌ أَشَمُّ مُنَطَّق(٧)

جُدُدٌ كأوَّلِ عهدها . وحِيالَها ... تتقادَمُ الأرضُ الفضاءُ وتَعْتُق(٨)

مِنْ كلِّ ثقْلٍ كاهلُ الدُّنيا به ... تَعِبٌ . ووَجْهُ الأرضِ عنه ضَيِّق

عال على باعِ البِلى ، لا يَهتدِى ... ما يَعتلِى منه وما يَتسلَّق

مُتمكِّنٌ كالطودِ أصلاً فى الثرى ... والفرعُ فى حَرَمِ السماء مُحلِّق

هى من بناءِ الظلمِ ، إلا أنه ... يَبيَضُّ وجهُ الظلمِ منه ويُشْرِق

لم يُرْهِقِ الأُمَمَ الملوكُ بمثلها ... فخرًا لهم يَبْقَى وذكرًا يَعْبَق

---

١ ــ الجوسق : القصر ٢ ــ ينتق : يزعزع ٣ ــ المحلة : المنزل تحت الأرض ٤ ــ الأزواد : جمع زاد وهو الطعام يتخذ للسفر ــ ٥ ــ المطبق : السجن ٦ ــ تتنسق : تنتظم ــ ٧ ــ منطق : مرتفع لا يبلغ السحاب رأسه ــ ٨ ــ تعتق : من عتق الشىء قدم .

فُتِنَتْ بشطَّيْكَ العِبَادُ ، فلم يزل قاصٍ يَحُجُّهُمَا ، ودانٍ يَرْمُق
وتضوَّعَتْ مِسْكَ الدُّهورِ ، كأنما فى كلِّ ناحية بَخورٌ يُحْرَق
وتقابلتْ فيها على السُّرُرِ الدُّمَى(١) مُسْتَرْدِيات(٢) الذلّ لا تَتَفَتَّق(٣)
عَطِلَتْ(٤) ، وكان مكانُهنّ من العُلى (بِلْقِيسُ) تَقْبِسُ من حلاهُ وتَسْرق
وعَلا عليهن التُرابُ : ولم يكن يَزْكُو بِهِنّ سوى العبير(٥) ويَلْبَق(٦)
حُجُراتُها مَوْطوءةٌ . وستورُها مَهتوكةٌ . بيد البِلى تَتخرّق
أوْدَى بزينتها الزمانُ وحَلْيها والحسنُ باقٍ والشبابُ الرَّيِّق(٧)
لو رُدَّ فِرعَونُ الخداعَةَ ؛ لراعه أنّ الغَرانيق(٨) العُلَى لا تَنطق
خلع الزمانُ على الورى أيامَه فإذا الضُّحى لكَ حِصَّةٌ والرَّوْنَق
لكَ من مواسمه ومن أعياده ما تَحْسِرُ(٩) الأبصارُ فيه وتَبْرَق

لا (الفرسُ) أُوتوا مثلَه يوماً . ولا
(بغدادُ) فى ظلِّ (الرشيد) و(جِلَّق(١٠)

فَتْحُ الممالك ، أوقيامُ (المِجَلِّ) ، أو يومُ القبور ، أو الزفافُ المُونِق ؟
كم موكب تَتخايلُ اللفيا به يُجْلَى كما تُجْلَى النجومُ ويُنْسق!
(فرعونُ) فيه من الكتائبِ مُقبِلٌ كالسُّحْب ، قَرْنُ الشمس منها مُفتِق(١١)
تَعْنو(١٢) لعزَّتِه الوجوه ، ووجهُهُ للشمسِ فى الآفاق عانٍ مُطرِق
آبتْ من السفرِ البعيدِ جنودُه وأتتْه بالفتحِ السعيدِ الفَيْلَق(١٣)

---

١ ــ الدمى : جمع دمية ، وهى الصورة المنقشة ٢ ــ مستردیات : لابسات ــ ٣ ــ تتفتق : تتنعم .
٤ ــ عطلت : من عطلت المرأة لم يكن عليها حلى ــ ٥ ــ العبير : اخلاط من الطيب .
٦ ــ يلبق : يليق ــ ٧ ــ الريق من كل شيء : اوله واصله .
٨ ــ الغرانيق : جمع غرنيق ، وهو الشاب الأبيض الجميل ، ويقصد التماثيل .
٩ ــ تحسر : من حسر البصر كل لطول مدى ١٠ ــ جلق : دمشق
١١ ــ مفتق : من فتق قرن الشمس اصاب فتقا من السحاب فبدا منه .
١٢ ــ تعنو : تخضع وتذل ــ ١٣ ــ الفيلق : الكتيبة العظيمة .

ومَشَى المليكُ مُصفَّدِين : خدودُهم ... نعلٌ لفرعونَ العظيم ونُمْرُق(١)
مباركةٌ أعناقُهم ليمينهِ ... يَأْبَى فَيَضْرِبُ . أو يَمُنُّ فَيُعتِق
ونجيبةٍ بين الطفولةِ والصِّبا ... عذراء ، تَنْدَبُها القلوبُ وتَعلَق
كان الزفافُ إليكَ غايةَ حَظِّها ... والحظُّ إن بلغ النهايةَ مُوبِق(٢)
لافَيْتَ أعراساً ، ولافَتْ مَأْتَمًا ... كالشيخِ يَنْعَمُ بالفتاةِ وتُزْهَق
فى كلِّ عامٍ دُرَّةٌ تُلْقَى بِلا ... ثمنٍ إليكَ ، وحُرَّةٌ لا تُصدَق(٣)
حَوْلٌ(٤) تُسائِل فيه كلّ نجيبةٍ ... سَبقتْ إليكَ :متى يحولُ فتَلْحق ؟
والمجدُ عند الغانياتِ رَغيبةٌ ... يُبْغَى كما يُبْغَى الجمالُ ويُعْشَق
إن زوّجوكَ بهنّ فَهْىَ عقيدةٌ ... ومن العقائدِ مَا يلَبُّ(٥) ويَخْمُق
ما أجملَ الإيمانَ !! لولا ضَلَّةٌ ... فى كلِّ دِينٍ بالهدايةِ تُلْصَق
زُفَّتْ إلى ملكِ الملوكِ يَحُثُّها ... دِينٌ ، ويَدْفعها هَوًى وتَشَوُّق
ولربَّما حَسَدَتْ عليكَ مَكانَها ... تِربٌ(٦)تَمَسَّحُ بالعروس وتُحْدِق
مَجْدُوَّةٌ فى الفُلْكِ يَحدو(٧) فُلْكَها ... بالشاطئيْن مُزَغْرِدٌ ومُصفِّق
فى مِهْرِجَانٍ هَزَّتْ الدنيا به ... أعطافَها ، واختالَ فيه المَشْرِق
فرعونُ تحتَ لوائِه ، وبَنَاتُه ... يَجرى بهنّ على السفينِ الزَّوْرَق
حتى إذا بلغتْ مواكبُها المَدَى ... وجرى لغايته القضاءُ الأَسْبق
وكما سماءَ المِهرِجانِ جلالةً ... سيفُ المنية وهو صَلْتٌ(٨) يبرقُ
وتَلفَّتتْ فى اليَمِّ كلُّ سفينةٍ ... وانثال(٩)بالوادى الجميعُ وحدّقوا
ألقتْ إليكَ بنفسها ونفيسها ... وأتتكَ شيِّقةً حواها شَيِّق

---

١ ــ النمرق : الوسادة الصغيرة ٢ ــ موبق : مهلك .
٣ ــ تصدق : من اصدق الرجل المرأة أى سمى لها صداقها
٤ ــ الحول : السنة .
٥ ــ يلبب : من لب أى صار لبيبا ٦ ــ التربب : من ولد معك .
٧ ــ يحدو : من حدا الابل ساقها وغنى لها ٨ ــ الصلت : السيف الصقيل الماضى ٩ ــ انثال : أى انصب .

خلعَت عليكَ حياءها وحياتَها ... أأعزُّ من هذين شيءٌ يُنفَق؟
وإذا تَناهى الحبُّ واتفقَ الفِدى ... فالروحُ فى بابِ الضحيَّة أَلْيَق
ما العَالمُ السُّفلِىُّ إلا طِينَةٌ ... أزليَّةٌ(١) فيه تُضِىءُ وتَغسِق(٢)
هى فيه للخِصْبِ العميمِ خميرةٌ ... يَنْدَى بما حملتْ إليه ، ويَبْشُق(٣)
ما كان فيها للزيادةِ مَوْضِعٌ ... وإلى حماها النقصُ لا يتطرَّق
مُنبِتَّةٌ فى الأرضِ ، تَنتظمُ الثَّرى ... وتنالُ مِمَّا فى السماءِ . وتَعْلَق
منها الحياةُ لنا ، ومنها ضِدُّها ... أبَداً نَمودُ لها . ومنها نُخْلَق
والزَّرعُ سُنْبُلُه يطيبُ ، وحَبُّه ... منها . فيخرج ذا ، وهذا يفلَق
وتَشدُّ بيتَ النحلِ ، فهو مُطنَّبٌ ... وتمدُّ بيتَ النمل ، فهو مروَّق
وتظلُّ بين قوى الحياةِ ، جوائِلاً ... لا تستقِرُّ ، دوائِلاً لا تُمْحَق(٤)
هى كِلْمَةُ اللهِ القديرِ ، ورُوحُه ... فى الكائنات . وسرُّه المستغلِق
فى النجم والقمرين مظْهرُها ، إذا ... طلعَتْ على الدنيا . وساعةَ تَخفُق
والذَّرُّ(٥) والصَّخَراتُ مِمَّا كَوَّرَتْ ... والفيلُ مما صَوَّرَتْ ، والخِرْنِق(٦)
فتنتْ عقولَ الأولين ، فألَّهوا ... من كلّ شىءٍ ما يَرُوع ويَخرُق
سجَدوا لمخلوق ، وظنُّوا خالقاً ... مَنْ ذا يُمَيِّزُ فى الظلام ويَفْرُق؟
دانت (بآبيسَ) الرعيةُ كلُّها ... من يستغلُّ الأرضَ ، أو من يَعزق
جاءوا من المرعى به يمشى ، كما ... تمشى . وتَلْتَفِتُ المهاةُ وترْشقُ
داجٍ كجنح الليل زان جبينهُ ... وَضَحٌ عليه من الأهلَّة أشْرَق(٧)
العسجد(٨) الوهّاجُ وشْىُ جلالِه ... والوردُ مَوْطِئُ خُفِّه ، والزَّنْبَق(٩)

---

١ ــ أزلية : الأزل : القدم ــ ٢ ــ تغسق : تظلم ــ ٣ ــ يبشق : من بشق السيل موضع كذا : خرقه وشقه ــ ٤ ــ تمحق : من محقه اهلكه
٥ ــ الذر : الهباء المنبعث فى الهواء ، الواحدة ذرة ــ ٦ ــ الخرنق : الفتى من الأرنب ٧ ــ الوضح : الغرة ، والوضح : التحجيل فى القوائم
٨ ــ العسجد : الذهب ــ ٩ ــ الزنبق : نبات له زهر طيب الرائحة .

ومن العجائِب بَعْدَ طولِ عبادةٍ ... يُؤتَى به حوضَ الخلودِ فيُغْرَق
ياليتَ شعرى : هل أضاعوا العهدَ ، أم ... حَذِروا من الدنيا عليه وأشفقوا ؟
قومٌ وقارُ الدّين فى أخلاقهم ... والشعبُ ما يَعتاد أو يتخلّق
يَدْعُون خلفَ السِّتر آلهةً لهم ... ملأُوا النَّدِىَّ جلالةً ، وتأبّقوا(١)
واستحجبوا(٢) الكُهّانَ ، هذا مُبلغٌ ... ما يهتِفون به ، وذاك مُصدَّق
لا يُسألون إذا جرت ألفاظُهم ... مِنْ أين للحجر اللسانُ الأذلَقُ ؟
أوكيف تخترق الغيوبَ بهيمةٌ ... فيما يَنوب من الأُمور ويَطْرُق ؟
وإذا همو حَجُّوا القبورَ حسبتهم ... وَفْدَ (العتيقِ)(٣) بهم تَرامَى الأَيْنُق(٤)
يأتون (طيبةَ) بالهَدِىِّ(٥) أمامَهم ... يغشى المدائنَ والقرى ويُطَبِّق
فالبرُّ مشدودُ الزَّواحلِ مُحْدَجٌ(٦) ... والبحرُ ممدودُ الشِّراعِ مُوَسَّق
حتى إذا ألْقَوْا بهيكلها العصا ... وَفَّوا النذورَ ، وقَرَّبوا ، واصَّدَّقوا
وجَرَتْ زوارقُ بالحجيج ، كأنها ... رُقْطٌ تَدافعُ ، أو سهامٌ تَمْرُق(٧)
من شاطئٍ فيه الحياةُ لشاطئٍ ... هو مُضْجَعٌ للسابقين ومِرفق(٨)
غرَبوا غروبَ الشمسِ فيه ، واستوى ... شاهٌ ورُخٌّ(٩) فى الترابِ وبَيْدق(١٠)
حيثُ القبورُ على الفضاء كأنها
قِطَعُ السحابِ ، أو السرابُ الدَّيْمَق(١١)
للحقِّ فيه جَوْلةٌ ، وله سَنًا ... كالصبح من جَنَباتِها يَتَفَلَّق

---

١ ــ الندى : النادى ٢ ــ استحجبوا الكهان : أى ولوهم الحجابة ؛ وهى خطة الحاجب أى البواب ــ ٣ ــ العتيق : الكعبة ــ ٤ ــ الأينق : جمع ناقة ــ ٥ ــ الهدى : ما يهدى الى الحرم من النعم ؛ وقيل : هو جمع الهدى ؛ واحدتها هدية ــ ٦ ــ محدج . من حدج الأحمال : شدها ووسقها
٧ ــ رقط : واحدتها رقطاء وهى الحية ــ ٨ ــ المرفق : المتكأ .
٩ ــ الرخ : قطعة شطرنج يلعب بها ــ ١٠ ــ البيدق : قطعة شطرنج يلعب بها .
١١ ــ الديمق : بياض السراب وترقرقه ؛ وهو اسم للسراب أيضا ؛ ويطلق كذلك على كل شىء ينير ويضىء .

نزلوا بها فمشى الملوكُ كرامةً ... وجثا المُدِلُّ بماله والمُمْلق(١)
ضاقت بهم عَرَصاتُها . فكأنما ... رَدَّتْ ودائعَها الفلاةُ الفَيْهَقُ(٢)
وتَنادم الأحياءُ والموتى بها ... فكأنهم فى الدهر لم يتفرّقوا

* * *

أصلُ الحضارةِ فى صَعيدِكَ ثابتٌ ... ونَباتُها حَسَنٌ عليك مُخلَّق(٣)
وُلِدَتْ . فكنتَ المهدَ ، ثم ترعرعَتْ ... فأظلَّها منكَ الحَفِيُّ المُشْفِق
ملأَتْ ديارَك حكمةً ، مأثورُها ... فى الصخر والبَرْدِى الكريمِ مُنَبَّق(٤)
وَبَنَتْ بيوتَ العلم باذخةَ الذُّرَى ... يسعى لهن مُغَرِّبٌ ومُشَرِّق
واستحدثتْ دِينًا ، فكان فضائلاً ... وبِناءَ أخلاقٍ يطول ويَشْهَق(٥)
مَهَّدَ السبيلَ لكلِّ دِينٍ بعدَه ... كالمسك رَيَّاه بأُخرى تُفْتَق(٦)
يدعو إلى برٍّ ، ويرفع صالِحًا ... ويَعاف ما هو للمروءة مُخْلِق
للناسِ من أسراره ماعُلِّموا ... ولشُعْبةِ الكَهَنوت ما هو أعْمق
فيه محلٌّ للأقانيم(٧) العُلى ... ولجامع التوحيدِ فيه تَعَلُّق
تابوتُ موسى ؛ لا تزال جلالةٌ ... تبدو عليك له ، وريَّا تُنْشَق(٨)
وجمالُ يوسُفَ ؛ لا يزال لواؤُهُ ... حَوْلَيك فى أُفُق الجلال يُرنَّق (٩)
ودموعُ إخوته ؛ رسائلُ توبةٍ ... مَسْطُورُهُنَّ بشاطئيْك مُنَمَّقُ
وصلاةُ مريم ؛ فوقَ زرعك لم يزل ... يَزكو لذكراها النبات ويَسمُق(١٠)
وخُطَى المسيح عليك روحاً طاهرًا ... بركاتُ ربِّك ، والنعيمُ الغَيْدَق(١١)

---

١ ــ المملق : الفقير ٢ ــ الفيهق : الواسع من كل شيء
٣ ــ مخلق : متطيب .
٤ ــ منبق : مسطر ــ ٥ ــ يشهق : من شهق الجبل : ارتفع .
٦ ــ تفتق : من فتق المسك بنيره استخرج رائحته بشيء يدخله عليه .
٧ ــ الأقانيم : جمع أقنوم وهو الأصل والشخص .
٨ ــ تنشق : تشم ٩ ــ يرنق : يخفق ويتحرك ١٠ ــ يسمق : سمق النبات أي طال وعلا ١١ ــ الغيدق : من غيدق المطر : كثر .

وودائعُ (الفاروقِ)(١)عندك ، دينه ... ولواؤُه ، وبيانُه ، والمنطِق
بعث الصحابةَ يَحملون من الهدى ... والحقِّ ما يُحيي العقولَ ويَفتق
فَتْحٌ الفتوح ، من الملائك رَزْدَقٌ(٢) ... فيه ، ومن (أصحاب بدرٍ) رَزْدَق
يبنون لله الكنانةَ بالقنا ... واللهُ من حول البناءِ مُوَفِّق
أحلاسُ(٣) خيل ، بَيْدَ أن حسامَهم ... فى السلم من حذرِ الحوادثِ مُقْلَق
تُطوَى البلادُ لهم ، ويُنْجِدُ جيشُهم ... جيشٌ من الأخلاقِ غازٍ مُورِق(٤)
فى الحقِّ سُلَّ وفيه أُغْمِد سيفُهم ... سيفُ الكريم من الجَهالة يَفْرَق(٥)
والفتحُ بَغْيٌ لا يَهُونُ وَقْعَه ... إلا العفيفُ حسامُه ، المترفِّق
ماكانت «الفسطاطُ» إلا حائطاً ... يأوِى الضعيفُ لركنه والمُرْهَق
وبه تلوذُ الطيرُ فى طلبِ الكرَى ... ويبيتُ «قيصرُ» وهْو منه مُؤَرَّق
«عَمْرٌو» على شطبِ(٦) الحصير مُعصَّبٌ(٧) ... بقلادةِ الله العَلِيِّ . مُطَوَّق
يدعو له «الحاخامُ» فى صلواته ... (موسى) ، ويسأل فيه عيسى البَطْرَق
يانيلُ ، أنت يطيب ما نَعَتَ «الهدى» ... وبمدحةِ (التوراةِ) أحرَى أخلَق
وإليك يُهْدِى الحمدَ خَلْقٌ حازهم ... كَنَفٌ على مَرِّ الدهورِ مُرَهَّق(٨)
كَنَفٌ «كَمَعْنٍ» ، أو كساحة «حاتم» ... خَلْقٌ يُوَدِّعُه ، وخَلْقٌ يَطْرُق
وعليك تُجلَى من مَصونات النُّهَى ... خُرُدٌ ، عرائسُ ، خِدْرُهنّ المُهرَق(٩)
الدرُّ فى لَبّاتهنّ(١٠) مُنَظَّمٌ ... والطيبُ فى حَبراتهنّ مُرَقْرَق
لى فيكَ مدحٌ ليس فيه تكلُّفٌ ... أملاه حُبٌّ ليس فيه تَمَلُّق

---

١ ــ الفاروق : عمر بن الخطاب ٢ ــ الرزدق : الصف من الناس ــ ٣ ــ أحلاس خيل : أى ملازمون ظهورها ــ ٤ ــ مورق : هو هنا بمعنى غانم ــ ٥ ــ يفرق : يحذر ــ ٦ ــ الشطب : السعف الأخضر الرطب من جريد النخل ــ ٧ ــ معصب : متوج ــ ٨ ــ المرهق : من يغشاه الناس والأضياف كثيرا ــ ٩ ــ المهرق : الصحيفة ــ ١٠ ــ لباتهن : واحدتها لبة وهى النحر .

مما يُحمِّلنا الهوى لكَ أفْرُخٌ سنطير عنها ، وهى عندك تُرزَق
تَهْفُو إليهم فى التراب قلوبُنا وتكاد فيه بغير عِرْقٍ تَخْفُق
تُرْجَى لهم ، واللهُ جلَّ بجلالِه منا ومنك بهم أَبَرُّ وأرفق
فاحفظ ودائعَك التى استُودِعْتَها أنت الوفىُّ إذا اؤتمنتَ الأصدق
للأرض يومٌ ، والسماء قيامةٌ وقيامةُ « الوادى » غداةَ تحلّق(١)

نَكْبَةُ دِمَشْق

قيلت فى حفلة أقيمت لاعانة منكوبى سوريا بتياترو حديقة الازبكية فى يناير سنة ١٩٢٦

سلامٌ من صَبا (بَرَدَى)(٢) أرقُّ ودمعٌ لا يُكَفْكَفُ يا دِمَشْقُ
ومعذِرة اليَرَاعةِ والقوافى جلالُ الرُّزْءِ(٣) عن وَصْفٍ يَدِقُّ
وذكرى عن خواطرِها لقلبى إليكِ تلفُّتٌ أبدًا وخَفْقُ(٤)
وبى مما رَمَتْكِ بهِ الليالى جراحاتٌ لها فى القلب عُمْق
دخلتكِ والأصيلُ له ائتلاقٌ(٥) ووجهُك ضاحكُ القسماتِ طَلْق
وتحتَ جِنانِك الأنهارُ تجرى ومِلْءُ رُباك أوراقٌ ووُرْق(٦)
وحولى فتيةٌ غُرٌّ صِباحٌ لهم فى الفضلِ غاياتٌ وسَبْق
على لهواتهم(٧) شعراءُ لُسْنٌ(٨) وفى أعطافِهم خُطباءُ شُدْق(٩)
رُواةُ قصائدِى ، فاعجبْ لشعرٍ بكلِّ محلَّةٍ يَرْوِيه خَلْق

---

١ ــ تحلق : تجف ، من حلقت الابل اذا ارتفع لبنها وجف .
٢ ــ بردى : نهر دمشق ــ ٣ ــ الرزء : المصيبة .
٤ ــ خفق : خفوق ــ ٥ ــ ائتلاق : من ائتلق لمع واضاء ــ ٦ ــ الورق : جمع ورقاء وهى الحمامة ــ ٧ ــ لهوات : جمع لها ، وهى اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم .
٨ ــ لسن : من لسن الرجل فصح ، او تناهى فى الفصاحة والبلاغة .
٩ ــ شدق : جمع اشدق ، اى بليغ مفوه كريم .

غَمزتُ إباءهم حتى تلظَّتْ أنوفُ الأُسْدِ واضطرَم(١) المَدَق(٢)
وضجَّ من الشكيمةِ(٣) كلُّ حُرٍّ أَبِيٍّ من أُمَيَّةَ فيه عِتْق(٤)

* * *

لحاها اللهُ أنباءٌ توالتْ على سَمْعِ الولىِّ بما يَشُقّ(٥)
يُفصِّلها(٦) إلى الدنيا بَرِيدٌ ويُجْمِلُها إلى الآفاق بَرْقُ(٧)
تكادُ لروعةِ الأحداثِ(٨) فيها تخال من الخُرافةِ وَهْى صِدْق
وقيل : معالمُ التاريخ دُكَّت وقيل : أصابها تلفٌ وحَرق
ألستِ ـ دِمَشْقُ ـ للإسلام ظِئْرًا(٩) ومُرْضِعَةُ الأُبُوَّةِ لا تُعَقّ ؟
صلاَحُ الدين ؛ تاجُك لم يُجَمِّل ولم يُوسَم بأزين منه فَرْق
وكلُّ حضارةٍ فى الأرض طالتْ لها من سَرْحِكِ العُلْوِىِّ عِرْق(١٠)
سماؤكِ من حُلَى الماضى كتابٌ وأرضُك من حلى التاريخ رق(١١)
بنيْتِ الدولةَ الكبرى ومُلْكًا غبارُ حضارتَيْه لا يُشَقّ
له بالشامِ أعلامٌ وعُرْسٌ بشائرُه بأندلُسٍ تدَق

* * *

رباعُ الخالدِ ـ ويْحَكِ ـ ما دَهاها ؟ أحقٌّ أنها دَرَستْ ؟ أحَقّ ؟
وهل غُرَفُ الجِنانِ مُنضَّداتٌ(١٢)؟ وهل لنعيمهن كأمسِ نَسْقُ ؟
وأين دُمَى(١٣)المقاصِر(١٤) من حِجالٍ مُهَتَّكَةٍ ، وأستارٍ تُشَقّ

---

١ ـ اضطرم ، من اضطرمت النار : اشتعلت ـ ٢ ـ المدق : قصبة الأنف ـ ٣ ـ الشكيمة من اللجام : الحديدة المعترضة فى فم الفرس
٤ ـ العتق : الكرم وخلوص الأصل .
٥ ـ الولى : المحب والصديق ـ ٦ ـ فصل : بين ـ ٧ ـ يجمل : من اجمل الكلام : فصله وبينه ـ ٨ ـ الاحداث : المصائب ـ ٩ ـ الظئر : المرضعة ـ ١٠ ـ السرح : الشجر العظام ـ ١١ ـ الرق : جلد رقيق يكتب فيه ـ ١٢ ـ منضد : منسق ـ ١٣ ـ الدمى : واحدتها دمية ، وهى الصورة المنقشة ـ ١٤ ـ المقاصير : واحدتها مقصورة وهى الحجر .

بَرزْنَ وفى نواحى الأيْكِ نارٌ وخَلفَ الأيكِ أفراخٌ تُزَقُّ
إذا رُمْنَ السلامةَ من طريق أتتْ من دونه للموت طُرْق
بلَيْلٍ للقذائفِ والمنايا وراءَ سمائِه خَطْفٌ ، وصَعْقُ
إذا عصفَ الحديدُ ؛ احْمَرَّ أفْقٌ على جنباتِه ، وأسودَّ أفق
سَلِى مَنْ راعَ غِيدَك بعدَ وَهْنٍ(١) أبيْن فؤادِه والصخرِ فَرْق ؟
وللمستعمرين — وإن ألانوا — قلوبٌ كالحجارةِ ، لا تَرِقّ
رمالكِ بطَيْشِه ، ورمى فرنسا أخو حربٍ، به صَلَفٌ ، وحُمْق
إذا ما جاءه طُلاَّبُ حَقٍّ يقول : عصابةٌ خرجوا وشَقّوا
دَمُ الثّوارِ تعرفُه فرنسا وتعلم أنه نورٌ وحَقّ
جرى فى أرضِها ، فيه حياةٌ كمُنْهَلِّ السماء ، وفيه رزقُ(٢)
بلادٌ ماتَ فِتْيَتُها لِتحْيا وزالوا دونَ قومِهمُ ليبقوا
وحُرِّرَتِ الشعوبُ على قَناها فكيف على قناها تُسْتَرَق؟(٣)
بنى سوريَّةَ ، اطَّرِحوا الأمانى وألْقُوا عنكمُ الأحلامَ ، ألْقُوا
فمِنْ خِدَعِ السياسة أن تُغَرُّوا بألقاب الإمارةِ وهْىَ رِقُّ(٤)
وكم صَيَدٍ(٥) بدا لك من ذليل كما مالت من المصلوب عُنْق
فُتُوق الملكِ تَحْدُثُ ثمّ تمضى ولا يمضى لمختلفين فَتْق
نَصَحْتُ ونحن مختلفون دارًا ولكنْ كلُّنا فى الهمِّ شرق
ويجمعنا إذا اختلفت بلادٌ بيانٌ غيرُ مختلفٍ ونُطْق
وقفتم بين موتٍ أو حياة فإن رمْتم نعيمَ الدهر فاشْقوا
وللأوطانِ فى دَمِ كلِّ حُرٍّ يَدٌ سلفتْ ودَيْنٌ مُستحِق

---

(١) الوهن : نصف الليل ، أو بعده بساعة — ٢ — منهل السماء : أى قطره — ٣ — تسترق : تستعبد — ٤ — الرق : العبودية — ٥ — الصيد : ميل العنق وهو يضرب للكبر .

ومن يَسقى ويَشربُ بالمنايا ... إذا الأحرارُ لم يُسقوا ويَسقوا ؟
ولا يبنى الممالكَ كالضحايا ... ولا يُدنى الحقوقَ ولا يُحِقُّ
فنى القتلى لأجيالٍ حياةٌ ... وفى الأَسْرَى فِدًى لهمو وعِتْقُ(١)
وللحريةِ الحمراء بابٌ ... بكلِّ يَدٍ مُضَرَّجَةٍ يُدَقُّ
جزاكم ذو الجلالِ بنى دِمَشقٍ ... وعزُّ الشرقِ أوَّلُهُ دِمَشْقُ
نصرتم يومَ مِحنتِهِ أخاكم ... وكلُّ أخٍ بنصرِ أخيه حق
وما كان الدُّروزُ قَبِيلَ(٢) شرٍّ ... وإن أُخِذوا بما لم يَستحِقُّوا
ولكنْ ذادةٌ(٣) ، وفُراةُ ضيفٍ ... كينبوعِ الصَّفا خَشُنوا ورَقُّوا
لهم جبلٌ أشمُّ له شعافٌ ... موارد فى السحاب الجُونِ بُلْق
لكلِّ لَبُوءةٍ ، ولكلِّ شِبْلٍ ... نِضالٌ دونَ غايتِه ورَشْق
كأن مِن السَّمَوْأَلِ (٤) فيه شيئاً ... فكلُّ جِهاتِه شَرَفٌ وخُلْق

رَمَضَانُ وَلَّى

الابيات التى بين قوسين ترجمتها جريدة الطان بقلم المرحوم عثمان باشا غالب

رمضانُ وَلَّى ، هاتِها ياساقى ... مُشتاقةً تسعى إلى مُشتاقِ
ما كان أكثرَه على ألّافِها ... وأقلَّهُ فى طاعةِ الخَلَّاق !!
اللهُ غفَّارُ الذنوبِ جميعِها ... إن كان ثَمَّ من الذنوب بَواق
بالأمس قد كُنَّا سَجِينَىْ طاعةٍ ... واليومَ مَنَّ العيدُ بالإطلاق

---

(١) العتق : الحرية — ٢ — القبيل : جمع قبيلة وهى العشيرة .
(٣) الذادة : جمع ذائد وهو الحامى — ٤ — السموال : هو السموال ابن عادياء اليهودى صاحب القصيدة التى مطلعها :
اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ... فكل رداء يرتديه جميل

ضحِكتْ إليَّ مِن السرور ، ولم تزل بنتُ الكُروم كريمةَ الأعراق
هاتِ اسقِنِيها غيرَ ذاتِ عواقبٍ حتى تُراعَ لصَيْحَة الصَّفَّاق(١)
صِرفاً مُسَلَّطةَ الشُّعاعِ . كأنّما من وَجْنَتَيْكَ تُدار والأحداق
حمراء أو صفراء ، إنّ كريمَها كالغِيدِ ، كلٌّ مَليحةٍ بمذَاق
وحَذارِ من دَمِها الزكِيِّ تُريقُهُ يَكفيكَ ـ ياقاسِي ـ دَمُ العشاق
لا تَسقِنِى إلا دِهاقاً(٢) ، إننى أُسْقَى بكأْسٍ فى الهموم دِهاق
فلعلَّ سلطانَ المدامةِ مُخْرِجِى مِن عالَمٍ لم يَحْوِ غيرَ نِفاق
(وطنى ، أَسِفْتُ عليكَ فى عيدِ المَلا وبكيتُ من وَجْدٍ ، ومن إشفاق)
(لا عيدَ لى حتى أراك بأُمّةٍ شَمَّاءَ راويةٍ من الأخلاق)
(ذهب الكرامُ الجامعون لأمرهم وبقِيتُ فى خَلَفٍ بغير خَلاق)
(أيظلّ بعضُهمُ لبعضٍ خاذِلًا ويقال : شعبٌ فى الحضارة راقِى)؟
(وإذا أراد اللهُ إشقاءَ القُرَى جعلَ الهُدَاةَ بها دُعاةَ شِقاق)

* * *

العيدُ بينَ يَدَيْكَ يابْنَ محمدٍ نَثَرَ السُّعودَ حُلىً على الآفاق
وأتى يقبِّل راحَتَيْكَ ، ويَرتجى أن لا يفوتكما الزمانَ تَلاَق
قابلْتَه بسُعودِ وجهك والسَّنا فازداد من يُمْنٍ ، ومن إشراق
فاهنأْ بطالعِهِ السعيدِ ، يَزينُه عيدُ الفقير ، وليلةُ الأَرزاق
يتنزَّلُ الأَجْرانِ(٣) فى صُبحيْهما جَزْلَيْن عن صَوْم وعن إنفاق
إنى أُجِلُّ عن القتالِ سرائرى إلاّ قِتالَ البؤسِ والإملاق(٤)
وأرى سُمومَ العالَمين كثيرةً وأرى التعاونَ أنجعَ التِّرياق(٥)

---

(١) الصفاق : الديك ـ ٢ ـ الدهاق من الكئوس : الممتلئة .
(٣) الأجران : مثنى أجر أى اجر زكاة الفطر والصوم ـ ٤ ـ الاملاق : من أملق الرجل انفق ماله حتى افتقر ـ ٥ ـ الترياق : دواء مركب يدفع السموم .

قَسَمتْ بَنِيها ، واستبدَّتْ فوقَهم ... دُنيا تَعُقُّ ، لَئِيمةُ الميثاق
واللهُ أتعبها ، وضلَّل كيدَها ... من راحتيْك بوابلٍ غَيْداق(١)
يَأْسُو جِراحَ اليائسين من الورى ... ويُساعِدُ الأنفاسَ فى الأرْماق(٢)
بلغ الكِرامُ المجدَ حين جَرَوْا له ... بسوابقٍ ، وبَلَغْتَه (ببُراق)
ورأَوْا غُبارَك فى السُّها ، وتَراكَضُوا ... مَنْ للنجومِ ، ومَنْ لهم بلَحاق؟
مَوْلاىَ ، طِلْبَةُ مصرَ أن تَبْقَى لها ... فإذا بَقِيتَ فكلُّ خيرٍ باق
سبق القريضُ إليك كلَّ مُهَنِّئٍ ... مِن شاعرٍ ، مُتَفَرِّدٍ ، سَبَّاق
لم يَدَّخِرْ إلَّا رِضاكَ ، ولا اقتنَى ... إلَّا وَلاءَك أنْفَسَ الأعلاق(٣)
إن القلوبَ — وأنتَ ملءُ صَمِيمها — ... بَعَثَتْ تَهانِيَها من الأعماق
وأنا الفتى (الطَّائِىُّ)(٤) فيك ، وهذه ... كَلِمِى هَزَزْتُ بها أبا إسحاق(٥)

مِصْر

(قال وقد كان أعد وليمة الى الكاتب الانجليزى المستر هول كين)

أيها الكاتبُ المصوِّرُ ، صَوِّرْ ... مصرَ بالمنظر الأنيق الخليق
إن مصرًا روايةُ الدهرِ ، فاقرأْ ... عِبرَةَ الدهرِ فى الكتاب العتيق
ملْعبٌ مَثَّل القضاءُ عليه ... فى صِبا الدهر آيةَ (الصِّدِّيق)(٦)
وامِّحَاقٌ(٧) (الكَلِيمِ)(٨) آذَنَ نارًا ... والتجاءُ (البَتُولِ)(٩) فى وقت ضيق

---

(١) الفيداق : الكريم الجواد الواسع الخلق الكثير العطية .
(٢) الارماق : جمع رمق وهو بقية الحياة — ٣ — الاعلاق : جمع علق وهو النفيس من كل شيء ٤ — الطائى : أبو تمام الطائى الشاعر .
(٥) ابو اسحاق : المعتصم بالله — ٦ — الصديق : يوسف عليه السلام
(٧) امحاء : صعق — ٨ — الكليم : موسى عليه السلام — ٩ — البتول : مريم العذراء عليها السلام .

ومنايا (مِنا)، (فكسرى)، فذِى (القَرْ
نَيْنِ) : فالقَيْصَرَيْنِ : (فالفاروق)(١)

دُوَلٌ لم تَبِدْ ، ولكنْ توارت ... خلْفَ سِتْرٍ من الزمان رَقيق
رَوْضَتى ازَّيَّنَتْ ، وأبدَتْ حُلاها ... حين قالوا : رِكابُكم فى الطريق
مثلَ عَذْراءَ من عجائزِ (روما) ... بشَّروها بزَوْرَةِ البطريق
ضَحِكُ الماءِ ، والأقاحى(٢) عليها ... قابلتْه الغصونُ بالتصفيق
زُرْتَها والربيعُ فَضْلاً ، فخفَّت ... نحوَ رَكْبَيْكُما خُفوقَ المشوق
فانزلا فى عيون نرجِسها الغضِّ ... صِياناً ، وفوق خَدِّ الشقيق(٣)

الْبَحْرُ الْأَبْيَضُ الْمُتَوَسِّطُ

أىُّ الممالكِ ؟ أيُّها ... فى الدهرِ مارفعتْ شِراعَك؟
يا أبيضَ الآثارِ ، والصَّـ ... ـفَحَاتِ ، ضُيِّعَ مَنْ أضاعَك
إنَّ البيانَ ، وإنَّ حُسْـ ... ـنَ العقلِ ؛ ما زالا متاعَك
أبدًا تُذَكِّرنا الذيـ ... ـن جَلَوْا على الدنيا شُعاعك
وبَنَوْا منارَك عالياً ... مُتَأَلِّقًا ، وبَنَوْا قِلاعك
وتحكَّموا بلك فى الوجو ... دِ ، تَحَكُّمًا كان ابتداعَك
حتى إذا جئتَ الأنا ... مَ بأهل حكمتِه أطاعَك
واليومَ عَقَّ ، كأنما ... ينسى جميلَك واصطناعَك
فابْلَعْ ــ فَدَيْتُكَ ــ كلَّ ما ... ثلك ، فالملا ينوى ابتلاعك

---

(١) الفاروق : عمر بن الخطاب رضى الله عنه ــ ٢ ــ الأقاحى : جمع أقحوانة وهو نبات له زهر أبيض فى وسطه كتلة صفيرة صفراء .
(٣) الشقيق : زهر .

وقال عندما زار قسم الأزهار والثمار فى المعرض بباريس سنة ١٩٠١ :

رزق اللهُ أهلَ باريسَ خيرًا ... وأرى العقلَ خيرَ ما رُزِقوه
عندهم للثمارِ والزّهرِ ممّا ... تُنجِب الأرضُ مَعْرِضٌ نَسقوه
جنّةٌ تَخلِب العقولَ ، وروضٌ ... تجمع العينُ منه ما فرقوه
من رآه يقول : قد حُرموا الفر ... دوسَ ، لكنْ بسحرهم سرقوه
ماترى الكَرْم قد تشاكلَ ، حتّى ... لو رآه السُّقَاةُ ما حقّقوه ؟
يُسْكِرُ الناظرين كَرْمًا ، ولمّا ... تَعْتَصِرْهُ يَدٌ ، ولا عتّقوه
صوّروه كما يشاءُون ، حتّى ... عَجِبَ الناسُ : كيف لم يُنْطِقُوه ؟
يجدُ المتّقى يدَ الله فيه ... ويقول الجَحودُ : قد خَلَقوه

بَارِيسُ

جَهْدُ الصَّبابةِ ما أُكابِدُ فيكِ ... لو كان ما قد ذُقْتُه يكفيكِ
حتّامَ هِجرانِى ؟ وفيمَ تَجنُّبِى ؟ ... وإلامَ بى ذُلُّ الهوى يُغرِيكِ ؟
قد مُتُّ من ظَمَإٍ ، فلو سامَحْتِنِى ... أن أَشتهى ماء الحياةِ بفِيكِ ! !
أَجِدُ المنايا فى رضاكِ هى المُنَى ... ماذا وراء الموتِ ؟ ما يُرْضيكِ ؟
يابنتَ مَخضوبِ الصوارمِ والقنا ... بَرِئتْ بَنانُكِ من سلاح أبيكِ
فخضابُ تلك ، من العيونِ وِقايةٌ ... وخضابُ ذاك من الدمِ المسفوكِ
جَفْناكِ ، أيُّهما الجرىءُ على دمى ؟ ... بأبى هُمَا مِنْ قاتلٍ وشَريكِ ! !
بالسيفِ ، والسحرِ المُبينِ ، وبالطِّلَى ... حَمَلا عَلَىَّ ، وبالقَنا المَشبوكِ(١)

---

(١) الطلى : الخمر .

بهما وبى سقمٌ ، ومِنْ عَجَب الهوى عُدْوَانُ مُنْكَسِرٍ على مَنْهوك
رِفقاً بمُسْبِلَةِ(١) الشئونِ(٢)قريحةٍ(٣) تسلو عن الدنيا ولا تَسْلوك
أَبكيتها ، وقعدتِ عن إنسانِها(٤) يا لَلرِّجالِ لِمُغْرَق متروك
ضَلَّت كَرَاها(٥)فى غَياهِب(٦)حالكٍ ضَلَّ الصباحَ عليه صوتُ الديك
رقَّ النسيمُ على دُجاه لِأَنَّنِى ورَثَى لحالى فى السماء أَخوك(٧)
قاسيتُه ، حتى انجلى بالصبح عن سِرِّى المَصُونِ ، ومَدْمَعِى المهتوك
سُلَّت سيوفُ الحىِّ ، إلَّا واحدًا إفْرِنْدُه(٨) فى جَفْنِهِ يَحْميك
جَرَّدْتِه فى غيرِ حقٍّ ، كالأُلَى سَلُّوا سيوفَهمُ على أَهليك
طلعتْ على حرَمِ المَمالكِ خيلُهم نارًا سَنابِكُها(٩) على (البلجيك)
البأْسُ والجبروتُ فى أَعْرافِها(١٠) والموتُ حولَ شَكيمها(١١) المَعْلوك(١٢)
عَرِيتْ (لياجَ)عن الحصونِ ،وَجَرَّدَتْ (نامورَ) عن فُولاذِها المشكوك(١٣)
تمشى على خَطَّ الملوكِ وخَتْمِهم وعلى مَصُونِ مَواثِقٍ وصُكُوك(١٤)
والحربُ لاعقلٌ لها فتسومها ما يَنبغى من خُطَّةٍ وسلوك
دَكَّت حصونَ القوم إلَّا مَنْقِلاً من نَخْوَةٍ ، وحَمِيَّةٍ ، وفُتوك
وإذا احتمى الأَقوامُ باستقلالهم لاذوا بركنٍ ليس بالمدْكوك
ولقد أَقول وأَدمُعى مُنْهَلَّةٌ : (باريرُ) ، لم يعرفْكِ مَنْ يَغْزوكِ

---

(١) مسبلة : من اسبل الدمع ، اى ارسله ـ ٢ـ الشئون : الدموع
(٣) قريحة : اى ذات قرحة ، وهى الجرح ـ ٤ ـ انسانها : انسان العين ، وهو المثال يرى فى سوادها ٥ ـ كراها : نومها ٦ ـ غياهب : جمع غيهب وهو الظلمة .
(٧) اخوك : يعنى البدر ـ ٨ ـ الافرند : جوهر السيف ووشيه .
(٩) سنابكها : جمع سنبك ، وهو طرف الحافر ـ ١٠ ـ أعرافها : الواحد عرف ، وهو شعر عنق الفرس .
(١١) شكيمها : جمع شكيمة ، وهى الحديدة المعترضة فى فم الفرس
(١٢) المعلوك : من علك الفرس اللجام : لاكه وحركه فى فمه .
(١٣) المشكوك : اى المشدود ـ ١٤ ـ اى انها انتهكت المعاهدات .

ما خِلْتُ جَنَّاتِ النعيم ولا الدُّمَى(١) تُرْمَى بمشهود النهار(٢) سَفوك
زعموكِ دارَ خلاعةٍ ، ومَجانةٍ ودَعارةٍ : يا إفْكِ ما زعموك !
إن كنتِ للشهواتِ رِبًّا ؛ فالعُلا شَهَوَاتُهُنَّ مُرَوَّيَاتٌ فيك
تلِدِينَ أعلامَ البيانِ ، كأنهم أصحابُ تيجانٍ ، ملوكٌ أرِبك
فاضت على الأجيال حكمةُ شِعرِهم وتفجَّرَتْ كالكوثر المَعْروك(٣)
والعلمُ فى شرقِ البلادِ وغربِها ما حجَّ طالبُه سوى ناديك
العصرُ ؛ أنتِ جمالُه . وجلالُه والركنُ من بُنْيَانِه المَسْمُوك(٤)
أخذَتْ لواءَ الحقِّ عنكِ شُعوبُه ومشَتْ حَضارتُه بنور بَنِيك
وخِزانَةُ التاريخِ ؛ ساعةُ عَرْضِها للفَخْرِ ؛ خيرُ كنوزِها ماضيك
من العجائبِ أنواديكِ الشَّرَى(٥) ومَراتع الغزلانِ فى واديك
يامكتبى قبلَ الشبابِ . ومَلْعبى ومَقِيلَ أيامِ الشباب النُّوك(٦)
ومراحَ للذَّاتى . ومَغْداها على أُفُقٍ كجنّاتِ النعيم ضَحُوك
وسماءَ وَحْيِ الشِّعر من مُتدفِّقٍ سَلِسٍ على نَوْلِ(٧) السماء مَحُوك(٨)
لما احتملتُ لكِ الصَّنيعةَ ؛ لم أجد غيرَ القوافى ما به أجزيك
إن لَّم يَقُولِكِ بكل نفسٍ حُرَّةٍ فاللهُ جلّ جلالُه واقيك

وقال فى صاحب أهوج كثير الحركة والكلام :

لنا صاحبٌ قد مُسَّ إلا بقيَّةً فليس بمجنون ، وليس بعاقل
له قَدَمٌ لا تستقرُّ بموضع كما يتنزَّى(٩) فى الحصى غيرُ ناعل

---

(١) الدمى : جمع دمية . وهى الصورة المنقشة — ٢ — يعنى الحرب .
(٣) ماء معروك : أى مزدحم عليه — ٤ — المسموك : المرتفع .
(٥) الشرى : ماسدة بجانب الفرات يضرب بها المثل ٦ — النوك : جمع ابوك . وهو الأحمق . وقيل : العاجز الجاهل — ٧ النول : خشبة الحائك ينسج عليها — ٨ — محوك : من حاك أى نسج .
(٩) يتنزى : يثب .

إذا ما بدا فى مجلسٍ ظُنَّ حافلاً من الصَّخَب العالى ؛ وليس بحافل
ويُمطرنا من لفظهِ كلَّ جائدٍ ويُمطرنا من رَيْلِه(١) شرَّ سائل
ويُلقى على السُّمَّارِ كفًّا دِعابُها كعَضَّةِ بَرْدٍ فى نواحى المفاصل

وقال يشيع صديقه الدكتور محجوب ثابت وهو مسافر ؛ وفيها وصف لبعض الأماكن المقدسة :

(محجوبُ) ؛ إن جئتَ « الحجا زَ » ، وفى جوانحك الهوى له
شوقاً ، وحباً بالرسو ل ، وآلهِ أزكى سُلاله
فلَمحتَ نَضْرَةَ (بَانِه) وشممتَ كالرَّيْحان (ضالَه)
وعلى (العتيق)(٢) مَشَيْتَ تند ظر فيه دمعَك وانهماله
ومضى السُّرى بك حيثُ كا ن الروحُ يسرى والرِّساله
وبلغتَ (بيتًا) بالحجا ز ؛ يُبارك البارى حِياله
اللهُ فيه جلا الحرا مَ لخلقه ، وجلا حلاله
فهناك طِبُّ الروحِ ، طِـ ـبُّ العالَمين من الجهاله
وهناكَ أطلالُ الفصَا حةِ ، والبلاغةِ ، والنَّباله
وهناك أزكى مسجَدٍ أزكى البريَّة قد مشى له
وهناك عُذْرِىُّ الهوى وحديثُ (قَيْسٍ) (٣) والغزاله
وهناك مُجْرِى الخيل ، يجرى فى أعنتها خياله
وهناك مَنْ جمعَ السَّماحةَ ، والرجاحة ، والبساله(٤)

---

(١) الريل : اللعاب ؛ من رال الصبى ريلا اى جرى لعابه .
(٢) العتيق : الحرم المكى ـ ٣ ـ هو قيس بن الملوح المعروف بمجنون بنى عامر ، وله أحاديث يرجع اليها فى الأغانى ، ومنها حديث الغزالة الآنفة.
(٤) البسالة : الشجاعة .

وهناك خَيَّمَت النُّهَى والعلمُ قد ألقى رِحاله
وهناك سَرْحُ حضارةٍ اللهُ فَيَّأنا ظِلالَه
إنّ الحسينَ بنَ الحسـ ـينِ أميرَ مَكَّةَ والإياله
قمرُ الحجيجِ إذا بدا دارُ الحجيجِ عليه هاله
أنتَ العليلُ ، فلُذ به مُستشفيًا ، واغْنَم نَواله
لا طِبَّ إلا جَدُّه شافى العقولِ من الضَّلاله
قَبِّل ثراه ، وقُلْ له عنّى ، وبالِغْ فى المقاله
أنا يا ابنَ أحمدَ بعدَ مَدْ حى فى أبيك بخير حاله
أنا فى حِمَى الهادى أبيـ ـك ، أُحِبُّهُ ، وأُجِلُّ آلَه
شوقى إليك على النَّوى شوقُ الضرير إلى الغزالة(١)
يا ابنَ الملوك الراشديـ ـن ، الصالحين ، أولِى العَداله
إن كان بالملك الجلا لةُ ، فالنبىُّ لكم جلاله
أوَليس جدُّكمُ الذى بلغَ الوجودُ به كماله ؟

طُوكيو

وصف نكبة اليابان الاخيرة بالزلزال الشهير

قِف (بطوكيو) ، وطُف على (يوكاهامَه)
وسل القريتيْن : كيف القيامه ؟
دنت الساعةُ التى أُنْذِرَ النا سُ ،وحَلَّتْ أشْراطُها(٢)والعلامه

---

(١) الغزالة : الشمس . — ٢ — الأشراط : المفرد شرط : العلامة .

قِفْ، تأمَّلْ مَصارعَ القوم ، وانظُرْ هل ترى من ديار عادٍ دِعامه؟
خُسِفَت بالمساكن الأرضُ خَسْفًا وطوَى أهلُها بِسَاطَ الإقامه(١)
طوَّفَتْ بالمدينتين المنايا وأدارَ الردَى على القوم جامَه(٢)
لا تَرى العينُ منهما أين جالت غيرَ نِقْضٍ(٣) ، أو رِمَّةٍ ، أو حُطامه(٤)
حازَهم من مراجِل(٥) الأرضِ قبرٌ فى مدى الظَّنِّ ـ عُمْقُه ألفُ قامه
تحسبُ الميْتَ فى نواحيه يُحيِي نفخةَ الصور أن تَلُمَّ عِظامه
أصبحوا فى ذَرا الحياة ، وأمسَوْا ذهبَتْ رِيحُهم وشالوا نَعامه(٦)
ثِقْ بما شئتَ من زمانكِ ، إلَّا صحبةَ العيشِ ، أو جِوارَ السلامه
دولةُ الشرق وهى فى ذِرْوَة العزِّ تَحارُ العيونُ فيها فخامه
خانها الجيشُ وهْوَ فى البرِّ دِرْعٌ والأساطيلُ وهْىَ فى البحر لامه(٧)
لو تأمَّلْتَها عشيَّةَ جاشتْ خِلْتَها فى يد القضاء حمامه
رجْعُها رجَّةً أكبَّتْ على قَرْ نَيْهِ (بوذا) ، وزلزلتْ أقدامه
استعذنا بالله من ذلك السَّيْـ ـلِ الذى يكسحُ البلادَ أمامه
مَن رأى جَلْمَدًا يَهُبُّ هُبوباً وحميماً(٨) يَمُجُّ سحَّ الغمامه؟
ودخاناً يَلُفُّ جُنْحًا بجُنْحٍ(٩) لا ترى فيه مِنْصَميها اليَمامه ؟(١٠)
وهَزِيماً كما عَوى الذئبُ فى كـ ـلِّ مكانٍ ، وزَمْجَرَ الضِّرغامه؟

* * *

أتَت الأرضُ والسماءُ بطوفا نٍ يُنَسِّى طوفانَ نوحٍ وعامه

---

(١) اى ارتحلوا ــ ٢ ــ الجام : الكاس ــ ٣ ــ النقض : اسم البنـاء المنقوض .
(٤) الحطامة : ما تحطم من الشيء المحطوم ، اى ما تكسر منه .
(٥) مراجل : جمع مرجل ، وهو القدر من الحجارة والنحاس .
(٦) اى ارتحلوا وتفرقوا
(٧) اللامة : الدرع ــ ٨ الحميم : الماء الحار ــ ٩ ــ جنح الليل : طائفة منه ــ ١٠ ــ هى زرقاء اليمامة المشهورة بقوة البصر .

فترى البحرَ جُنَّ ، حتى أجاز(١) الـــــبرَّ . واحتلَّ مَوْجُه أعلامه
مُزْبِدًا ، ثائرَ اللُّجاجِ . كجيشٍ قوَّضَ العاصفُ الهَبوبُ خِيامه
فُلْكُ نوحٍ تعوذُ منه بنوحٍ لو رآته ، وتستجير زِمامه
قد تخيَّلْتُهم مَتابيلَ سحرٍ من قراعِ القضاءِ صَرْعَى مُدامه
وتخيّلتُ مَنْ تخلَّف منهم ظَنَّ ليلَ القيامِ ذاك . فنامه
أبراكينُ تلكَ . أم نَزَواتٌ(٢) من جراحٍ قديمةٍ مُلْتامه ؟
تجد الأرضُ راحةً حيثُ سالتْ راحةُ الجسم من وراء الحجَامه(٣)
ما لها لا تَضِجُّ مما أقلَّتْ من فساد ، وحُمِّلَت من ظُلامه ؟
كلما لُبِّسَتْ بأهل زمانٍ شهِدَتْ من زمانهم آثامه
استووا بالأذى ضِرِيًّا ، وبالشـ ـرِّ وُلوعا ، وبالدماءِ نَهامه
ليْسَتْ هذه الحياةُ علينا عالَمَ الشَّرِّ : وَحْشَه ، وأنامه
ذاك من مُؤنساتِه الظُّفْرُ والنّا بُ ، وهذا سلاحُه الصَمْصَامه
سَرْهُ من أُسامةَ البَطْشُ والفتـ ـكُ ، فسَمِّى وليدَه بأُسامه(٤)
لَؤُمَتْ منهما الطباعُ ، ولكن وَلَدُ العاصِيَيْنِ شرٌّ لآمه !(٥)

طَابَعُ الْبَرِيد

(العيد القضى ـ ١٠ سبتمبر سنة ١٩٠٠ ـ
لطابع البوستة فى جنيف ـ سلام على لسان البريد)

أنا من خمسة وعشرين عاما لم أُرِحْ فى رِضاكمُ الأقْداما
أركبُ البحرَ تارةً . وأجوبُ الـ ـبَرَّ طَوْرًا . وأقطعُ الأيّاما

---

(١) اجاز الموضع : سلكه ـ ٢ ـ نزوات الجرح : سوراته ونزفاته .
(٣) الحجامة : الفصد .
(٤) أسامة : الاسد ٥ ـ العاصيين : آدم وحواء .

ويُوافى النفوسَ مِنّى رسولٌ ... لم يكن خائنًا ، ولا نَمّاما
يَحمِلُ الغِشَّ والنصيحةَ ، والبغـ ... ـضَ والحُبَّ ، والرِّضَى والمَلاما
ويَعِى ما تُسِرُّه من كلامٍ ... ويُؤدِّى كما وعَاهُ الكلاما
ولقد أُضْحِكُ العَبُوسَ بيومٍ ... فيه أُبْكِى المُنَعَّمَ البسّاما
وأُهنِّى على النوَى وأُعزِّى ... وأُفِيدُ الحِرْمانَ والإعدامَا
وجزَائِى عن خدمتى ووَفائى ... ثمنٌ لا يُكلِّف الأقواما
رُبَّ عبدٍ قد اشترانى بمالٍ ... وغُلامٍ قد ساقَ مِنّى غُلاما
عرفَ القومُ فى (جنيفا) مَحلِّى ... وجَزَوْنى عن خدمتى إكراما
جامَلونى إذ تَمَّ لى رُبْعُ قَرْنٍ ... مِثْلَما جامَلوا الملوكَ العِظاما
ويوبيلُ الملوكِ يَلْبَثُ يوماً ... ويوبيلى يدوم فى الناس عاما

الطَّيّارُونَ الْفَرَنْسِيُّون

قُمْ (سليمانُ) ؛ بِساطُ الريح قاما ... مَلكَ القومُ من الجوِّ الزِّماما
حينَ ضاقَ البرُّ والبحرُ بهم ... أسْرَجوا الريحَ ، وساموها اللِّجاما(١)
صارَ ما كان لكم مُعْجِزةً ... آيةً للعلم آتاها الأنامَا
قدرةٌ كنتَ بها مُنْفَرِدًا ... أصبحَتْ حِصَّةَ مَنْ جَدَّ اعتزاما
(عينُ شمسٍ) قام فيها مارِدٌ ... من عفاريتكَ يُدْعَى (شاتهاما)
يملأُ الجوَّ عَزيمًا كُلَّمَا ... ضرب الريحَ بسَوْطٍ والغَماما
مَلِكُ الجوِّ تليه عُصْبَةٌ ... جمعتْ شَهْمًا ، ونَدْباً ، وهماما(٢)

(١) سام : من سام فلانا الأمر : كلفه اياه — ٢ — الندب : الخفيف فى الحاجة الظريف النجيب ، لأنه اذا ندب اليها خف لقضائها .

اسْتَوَوْا فوقَ « مَناطيدهمُ » ما يُبالونَ : حياةً ، أم حِماما
وقبوراً فى السَّمواتِ العُلا نزَلوا ، أم حُفَرات ورَغاما(١)
مُطْمئِنِّين نفوساً ، كلَّما عبَسَت كارثةٌ زادوا ابتساما
صهوةَ العِزِّ اعتلوْا ، تحسبهم جَمْعَ أملاكٍ على الخيل تَسامى
رفعوا « لَوْلَبَها » ، فاندفعَتْ هل رأيتَ الطيرَ قد زَفَّ وحاما ؟(٢)
شال(٣) بالأذناب كلٌّ ، ورَمَى بجَناحَيْهِ كما رُعْتَ النَّعاما
ذهبتْ تَسْمُو ، فكانت أعْقُبًا(٤) فنسوراً ، فصقوراً ، فحماما
تَنْيَرِى فى زَرَقِ الأُفْقِ ، كما سبحَ الحُوتُ بدَأْماءٍ وعاما(٥)
بمْضُها فى طلبِ البغضِ ، كما طاردَ « النَّسرُ » على الجوِّ القُطاما(٦)
ويراها عالَمٌ فى زُحَلٍ(٧) أرسلتْ من جانب الأرضِ سِهاما
أو نجوماً ذاتَ أذناب بدتْ تُنْذِرُ الناسَ نُشوراً وقِياما(٨)
أترى القوّة فى جُؤجُؤِهِ(٩) وهو بالجؤجؤ ماضٍ يَترامى؟
أم تراها فى الخوافى(١٠)خَفِيَتْ أم مَقَرُّ الحَوْلِ(١١)فى بعض القُدَامى؟(١٢)
أم ذُناباه إذا حرّكه يَزِنُ الجسمَ هُبوطاً وقِياما ؟
أم بعينيه إذا ما جالتا تكشفان الجوَّ غيثًا أم جَهاما ؟(١٣)
أم بأظفارٍ إذا شبّكها نفذت فى الريح دفْعًا واستلاما ؟
أم أمدَّتْهُ بروحٍ أمُّه يوم ألقته وما جاز الفطاما ؟

---

(١) الرغام : التراب — ٢ — زف الطائر : رمى بنفسه او بسط جناحيه.
(٣) شالت الناقة بذنبها : رفعته — ٤ — أعقبا : جمع عقاب ، وهو طائر من الجوارح
(٥) الدأماء : البحر — ٦ — القطاما : الصقر — ٧ — زحل : كوكب من الخنس ، سمى به لبعده وتنحيسه ٨ — نشورا : من نشر الله الموتى : احياهم ٩ — الجؤجؤ من الطائر : الصدر ١٠ — الخوافى : ريشات اذا ضم الطائر جناحيه خفيت ، وقيل : هى الأربع اللواتى بعد المناكب .
(١١) الحول : القوة والقدرة على التصرف — ١٢ — القدامى : جمع قادمه ، وهى عشر ريشات فى مقدم الجناح ١٣ — الجهام : السحاب الذى لاماء فيه .

فتلقّاه أبٌ ، كم من أبٍ دونَه فى الناس بالوُلْدِ اهتماما !
فَلَكِىٌّ هو ، إلّا أنه لم يَنَلْ فَهْمًا ، ولم يُعْطَ الكَلاما
طِلْبةٌ قد رامها آباؤنا وابتغاها من رأى الدهرَ غُلاما
أسقطَتْ «إيكارَ» فى تَجْرِبَةٍ «وابنَ فِرْناسٍ» ، فما استطاعا قِياما
فى سبيلِ المجدِ أوْدَى نَفَرٌ شهداءُ العلمِ أعلامُهُمْ مَقاما
خلفاءُ الرُّسْلِ فى الأرض همو يَبْعَثُ اللهُ بهم عاماً فعاما
قطرةٌ من دمهم فى مُلْكه تملأُ الملكَ جمالاً ونظاما

* * *

رَبِّ ، إن كانت لخيرٍ جُعِلَتْ فاجعل الخيرَ بناديها لزاما
وإن اعتزّ بها الشرُّ غدًا فتعالَتْ تُمطِرُ الموتَ الزُّؤاما
فاملأ الجوَّ عليها رُجُمًا رحمةً منكَ ، وعدلاً ، وانتقاما

* * *

يا «فرنسا» ، لا عَدِمنا مِنَنًا لكِ عند العلم والفنّ جُساما
لَطف اللهُ «بباريسَ» ، ولا لَقِيَتْ إلّا نعيمًا وسلاما
رَوَّعَتْ قلبى خُطوبٌ رَوَّعَتْ سامِرَ الأحياء فيها والنِّياما
أنا لا أدعو على «سِينٍ» طَغَى إنَّ «للسِّينِ» — وإن جار — ذِماما
لستُ بالناسى عليه عِيشَةً كانت الشهدَ ، وأحباباً كراما
اجعلوها رُسْلَكم أهلَ الهوى تحملُ الأشواقَ عنكم والغراما
واستعيروها جَناحاً طالما شَغَفَ الصَّبَّ وشاقَ المستَهاما
يحمِلُ المُضْنَى إلى أرض الهوى «يَمَنًا» حَلَّ هَوَاهُ ، أم «شَآما»

* * *

أركبُ الليثَ ، ولا أركبُها وأرى لَيْثَ الشَّرَى أوفى ذِماما

غَدَرَتْ «جيرونَ» . لم تَحْفِلْ به وبما حاوَلَ مِنْ فَوْزٍ وراما
وقعتْ ناحيةً . فاحترقت
مِثْلَ قُرْصِ الشَّمسِ بالأُفْقِ اضطراما
راضَها باليُمْنِ مِنْ طَلْعَتِه خيرُ مَنْ حَجَّ . وَمَنْ صَلَّى . وصاما
كخليلِ الله ، فى حَضْرته خَرَّتِ النارُ خُشُوعاً واحتراما

* * *

ما (لروحى) صاعداً ماينتهى؟ أتُراه آثرَ الجوَّ . فَرَاما ؟
كلَّما دارَ به دوْرَتَه أبدَت الريحُ امْتِثالا وارْتِسامًا
أنا لو زِلْتُ الذى قد ناله ماهَبطْتُ الأَرضَ أرضاها مُقاما
هل ترى فى الأرضِ إلا حَسَداً ورياءً . ونِزاعاً . وخِصاما ؟

* * *

مُلْكُ هذا الجوِّ فى مَنْعَتِه طالما للنَّجمِ والطَّيْرِ استقاما
حَسَدَ الإنسانُ سِرْبَيْهِ(١) بما أُوتِيا فى ذِرْوَةِ العزِّ اعتصاما
دخلَ الغُشَّ على «أَنْسُرِهِ» أتُرى يغشى من النَّجمِ السَّنَاما(٢)؟
أيُّها الشرق ، انْتَبِهْ من غفلةٍ ماتَ مَنْ فى طُرُقاتِ السَّيل نَاما
لا تقولَنَّ : عِظامِىٌّ أنا فى زمانٍ كان للناسِ عِصاما
شاقت العلياءُ فيه خَلَفًا ليس يَأْلُوها طِلاباً واغتناما
كلَّ حينٍ منهمو نابغةٌ يفضُل البدرَ بهاءً وتماما

* * *

خالِقَ العُصْفورِ . حَيَّرْتَ به أُمَمًا بادوا وما نالوا المرَاما
أفْنَوا النَّقْدَيْنِ فى تقليدِه وهو كالدِّرهمِ ريشاً وعِظاما

---

(١) السرب : القطيع من الظباء والنساء وغيرها .
(٢) السنام : حدبة فى ظهر البعير .

وَصْفُ مَرْقَصٍ

وقال يصف « البال » الخديوى الذى أقيم سنة ١٩٠٣ بسراى مـــابدين

طال عليها القِدَم فهى وجودٌ عَدَمْ
قد وُئِدَتْ فى الصِّبا(١) وانبعثَتْ فى الهَرَم
بالغَ فِرعونُ فى كَرْمتِها من كرَم
أهرَق عُنقودَها تَقْـــدِمةً للصنم
خَبَّـــأَها كاهِنٌ ناحِيةً فى (الهَرَم)
اكتُشِفَتْ فامَّحَتْ(٢) غيرَ شَذًا (٣) أو ضَرَم(٤)
أو كخيال لها بعد متابٍ ألمّ(٥)
نَمَّ بها دَنُّها وهْىَ عليه أنمّ
بى رَشَأٌ ناعمٌ(٦) ما عرف العمرَ هَمّ
أخرجها اللهُ كال زَّهرة ، والحسنُ كِمّ(٧)
تخطُر عن عادلٍ لم يُرَ إلّا ظَلَم
تَبْسِمُ عن لؤلؤٍ قَدْرَه مَنْ قَسَم
كرَّمه فى النَّوَى هذَّبه فى اليتم (٨)
مُضطهَدٌ خَصْرُها جانِبُه مُهْتَضَم
طاوعَ مِنْ صَدْرِها أىٌّ قَوِىٌّ حَكَم

---

(١) وئدت : من واد ابنته دفنها فى القبر وهى حية — ٢ — امحى الشىء ذهب إثره .

٣) الشذا : قوة ذكاء الرائحة . — ٤ — الضرم : الاشتعال

(٥) أى كخيال الخمر اذا الم بالنائب عنها ٦ — رشا : الرشا ولد الظبية الذى قد تحرك ومشى .

(٧) الكم : غطاء النور — ٨ — اليتم مصدر : يقال : درة يتيمة أى ثمينة لا نظير لها .

حَمَّله ثِقْلَه ثُمَّ عليه ادَّعم(١)
تسأَل أترابَها مُومِئَةً بالعَنم(٢)
أىُّ فتًى ذٰلِكُ نَّ العربىّ العَلَم ؟
يشربها ساهرًا ليلتَه لم يَنَم
قُلْنَ : تجاهَلْتِه ذلك ربُّ القلم
شاعرُ مصرَ الذى لو خَفِى النَّجمُ لَم
قلتُ لها : ليتَ لم نُرْمَ وفى نُتَّهَم
عاذلَتِى فى الطِّلى(٣) لو أنصفتْ لم أُلَم
إن عَبِسَ العيشُ لى عُذْتُ بها فابتسم
يشربُها كابرٌ(٤) بين ضلوعى أشَمّ
يبذلُ ، إلَّا النُّهَى يَهتِك ، إلَّا الحُرَم
يُكْسِبُها خُلْقَه يَمزجُها بالشِّيم
يَمنعها حلمَه إن دفعتْه احتشم
تلك شموسُ الدّجَى أم ظَبياتُ الخِيَم ؟
تُقبِلُ فى موكبٍ شَقَّ سناه الظُّلَم
خِلْتُ بأنواره قرْنَ ذُكاءٍ نَجَم(٥)
مقصِدُها سُدَّةٌ آلَ إليها العِظَم
حيث كبارُ المَلا بعضُ صغارِ الخدم
قد وقفوا للمَها فانسربتْ(٦) من أمَم(٧)

---

(١) ادعم : ارتكز ٢ ــ العنم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب ــ ٣ ــ الطلى : الخمر ــ ٤ ــ الكابر : الكبير ، والكابر : الرفيع الشأن والشرف .
(٥) ذكاء : الشمس ٦ ــ انسربت : يقال انسرب الظبى اذا دخل فى سربه ــ ٧ ــ من أمم : أى من قريب .

تخطِر مِن جمعهم بين ليوثٍ بُهَم(١)
خارجةٌ مِن شَرًى داخلةٌ فى أَجَم
ناعِمةٌ لم تُرَعْ لاهيةٌ لم تَجم
انتثرت لؤلؤًا فى المُهَجاتِ انتظم
تَمرَح فى مَأْمَنٍ مثلَ حَمَامِ الحَرَم
مُؤتلِفٌ بِربُها حيث تلاقى الشأم
مندفعاتٌ على مختلفاتِ النَّغم
بين يَدٍ فى يَدٍ أو قَدَم فى قَدَم
تذهب مَشْيَ القطا ترجع كَرَّ النَّسَم
تبتث أنَّى بَدَتْ ضوءَ جبينٍ وفَم
تُعْجِل خطوًا تَنِي(٢) فاتنة بالرَّسَم(٣)
تجمع مِنْ ذَيلها تتركه لَمْ يُلَمّ
ترفُل فى مُخْمَلٍ نَمّ ولمّا يَتِمّ
تَتبعُ - إلّا الهوى تَقْرَبُ ، إلّا التُّهَم
فاجتمعتْ فالتقتْ حولَ خِوانٍ نُظِم
مُنْتَهَبٍ كلّما ظُنّ به النقصُ تَمّ
مائدةٌ مَدّها بحرُ نوالٍ خِضَمّ
تحسَبها صُوِّرَتْ من شهوات النُّهم
لم تُرَ فى (بابلٍ) ما عُهِدَتْ فى (إرَم)
(حاتِمُ) لو شامَها أقلعَ عما زَعَم

---

(١) بهم : واحدها بهمة وهو الشجاع — ٢ — تنى : تتأنى .
(٣) الرسم : حسن المشى .

(مَعْنُ) لو انتابها أدركَ معنى الكرم
أشبَهُ بالبحر ، لا يُحْرِجُها مُزْدَحَم
قام لديها المَلا ببلغ ألفين ثَم
مفترحاً ما اشتهى ملتقياً ما رَسَم
لو طَلَب الطيرَ من أيكتِه ما احترم(١)
يامِلِكًا لم تضِق ساحتُه بالأُمَم
تجمعُ أشرافَها من عَرَبٍ أو عَجَم
تُخْطِر مَنْ أمَّها بين صنوف النِّعَم
سادةُ أفريقيا لُجَّتِها والأُكَم
أنت رشيدُ العُلَى فى المَلأَيْنِ احْتكِم(٢)
ليلتُكم قدْرُها فوقَ غوالى القِيَم
مُشرِقةٌ ، مثلُها فى زمنٍ لم يَقُم
لا برح الصفوُ فى ظِلِّكمو يُغْتَنَم
ما شربوها وما طال عليها القِدَم

تُوت عَنْخ آمُونَ وحضَارَةُ عَصْرِه

دَرَجَتْ على الكنزِ القُرونْ وأتتْ على الدَّنِّ السُّنونْ(٣)
خيرُ السيوفِ مضى الزما نُ عليه فى خيرِ الجفون(٤)

---

(١) احترم الشيء : منعه ــ ٢ ــ الملأين : العرب والعجم
(٣) الدن ، باطية الخمر ــ ٤ ــ الجفون : الأغماد .

فى منزلٍ كمُحَجَّب الـ غَيْبِ استَسَرَّ عن الظنون(١)
حتى أتى ، العلمُ الجمو رُ فغضَّ خاتَمَه المَصون
والعلم (بَدْرِىٌّ)(٢) ، أحـ لَّ لأهله ما يصنعون
هتك الحِجالَ(٣) على الحضا رةِ ، والخُدورَ على الفنون
واندسَّ كالمِصباح فى حُفَرٍ مِنَ الأجْداثِ جُون(٤)
خُجَرٌ مُمَرَّدَةٌ(٥) المعا قِلِ فى الثَّرى ، شُمُّ الحُصون
لا تَهتدى الريحُ الهَبو بُ لها ، ولا الغيثُ الهَتون
خانت أمانةَ جارِها والقبْرُ كالدّنيا يَخون

* * *

يا ابنَ الثواقبِ من (رَعٍ) وابنَ الزّواهِرِ من (أمُونْ)(٦)
نَسَبٌ عريقٌ فى الضُّحى بَذَّ القبائلَ والبُطون
أرأيتَ كيف يَئُوب من غَمْرِ القضاءِ المُغْرَقون ؟
وتَدولُ آثارُ القُرو نِ ، على رَحَى الزَّمنِ الطَّحون ؟
حُبُّ الخلودِ بَنَى لكم خُلُقًا به تَتفرّدون
لم يأخذِ المتقدِّمو ن به ولا المتأخّرون
حتى تسابقتم إلى الإ حسان فيما تعمَلون
لم تَتركوه فى الجلي لِ ولا الحقيرِ من الشئون
هذا القيامُ ، فقل لنا : الـ يَوْمُ الأخيرُ متى يكون ؟
البعثُ غايةُ زائلٍ فانٍ ، وأنتم خالدون

---

(١) استسر : توارى — ٢ — بدرى : نسبة الى بدر ، وفى الأثر أن أهل بدر مغفورة لهم هفواتهم — ٣ — الحجال : جمع حجلة وهو ستر العروس فى جوف البيت .

(٤) جون : سود — ٥ — ممرده : مطولة — ٦ — رع وامون : معبودان مصريان قديمان .

السَّبْقُ مِن عاداتِكم أتُرى القيامةَ تسبِقون ؟
أنتم أساطينُ الحضا رةِ والبُناةُ المحسِنون
المتقِنون ، وإنما يُجزَى الخلودَ المتقنون

* * *

أنَزَلْتَ حُفرةَ هَالكٍ أم حجرةَ الملكِ المَكينْ ؟
أم فى مكانٍ بينَ ذا لكَ يُدهش المتأمّلين ؟
هو من قبور المُتْلَفـ ـين ، ومن قصور المُترَفين
لم يبقَ غالٍ فى الحضا رةِ لم يَحُزْهُ ، ولا ثَمين
ميْتٌ تُحيط به الحيا ةُ ، زمانُه معه دَفين
وذخائرٌ من أعْصُرٍ ولَّ تْ ، ومن دُنيا ودين
حملَتْ على العَجَبِ الزَّما نَ وأهلَه المستكبرين
فتلفَّتَتْ (باريسُ) تَحْ سَبُ أنها صنعُ البنين

* * *

ذهبٌ ببطنِ الأرضِ لم تذهبْ بلَمْحَتِه القُرون
استحدثتْ لك جَنْدَلاً وصفائحًا منه القُيُون(١)
ونَواوِسًا(٢) وَهّـاجَةً لم يتّخذها الهامدون
لو يفطنُ المولى لها سَرَحوا الأنامِلَ يَنبِشُون
وتنازعوا الذهبَ الذى كانوا له يتفَاتَنون

* * *

أكفانُ وَشْيٍ فُصِّلتْ برقائق الذهب الفَتِين(٣)
قد لفَّها لَفَّ الضَّما دِ مُحَنِّطٌ آسٍ رَزين
وكأنهنّ كمائمٌ وكأنكَ الوردُ الجَنين

(١) القيون : الصناع ـ ٢ ـ نواوس : توابيت ـ ٣ ـ الفتين : المحرق .

ويكلُّ رُكن صورةٌ وبكلِّ زاوية رَقِين(١)
وترى الدُّمَى ، فتخالها انْ تَنْثَرَتْ على جَنباتِ زُون(٢)
صُوَرٌ تُريكَ تَحَرُّكًا والأَصلُ فى الصُّوَرِ السُّكون
ويمرُّ رائعُ صَنْتِها بِالحِسِّ كالنُّطق المُبين
صحبَ الزمانَ دِهانُها حينًا عهيدًا بعدَ حين(٣)
غَضٌّ على طول البِلَى حَيٌّ على طول المَنُون
خَدَعَ العيونَ ولم يَزَلْ حتى تَحَدَّى اللَّامِسين
غِلمانُ قَصْرِك فى الرُّكا بِ يُناولونَ ، ويَطْرَدون(٤)
والبوقُ يهتِفُ ، والسُّها مُ تَرِنُّ ، والقوسُ الحَنون
وكلابُ صيدِكَ لُهَّثٌ والخيلُ جُنَّ لها جُنون
والوحشُ تَنْفِرُ فى السُّهو لِ ، وتارةً تَئِبُ الحُزُون
والطيرُ تَرسُفُ فى الجِرا حِ ، وفى مَناقِرِها أنين
وكأنَّ آباءَ البريَّـ ـةِ فى المدائن مُحضَرون
وكأنَّ دُولةَ (آلِ شم سِ) عن شِمالكَ واليَمين(٥)

* * *

مِلكَ الملوكِ ، تحيَّةً ووَلاءَ مُحتفِظ أمين
هذا المقامُ عرفتُه وسبقتُ فيه القائِلين
ووقفتُ فى آثارِكم أزِنُ الجلالَ وأستبين
وبنيتُ فى العشرينَ من أحجارِها شِعْرِى الرَّصين
سالتْ عيونُ قصائدى وجَرى من الحجَرِ المَعين

---

(١) الرقين : الرقيم وهو الكتاب — ٢ — الزون : معرض الأصنام
(٣) العهيد : القديم — ٤ — يطردون : يزاولون الصيد
(٥) آل شمس : الفراعنة .

أقعدتْ جيلاً الهوى وأقمتْ جيلاً آخَرين
كنتمْ خيالَ المجدِ يُرْ فعُ للشبابِ الطامحين
وكم استعرتَ جلالَكم لمحمَّد والمالكين(١)
تاجٌ تنقَّلَ فى الخيا لِ ؛ فما استقر على جَبين
خَرَزاتُه السيفُ الصقيـ ـلُ يَشُدُّه الرمحُ السَّنين

* * *

قلْ لى : أحينَ بدا الثّرى لكَ ؛ هل جزعتَ على العَرِين ؟
آنَسْتَ مُلْكًا ليس بالشا كى السِّلاحِ . ولا الحَصين
البَرُّ مغلوبُ القنا والبحرُ مَسلوبُ السفِين
لما نظرتَ إلى الديا رِ صدَفتَ بالقلب الحزين(٢)
لم تلقَ حولكَ غيرَ (كرْ تَرَ) . والنِّطاسِيُّ المُعين
أقبلتَ من حجُبِ الجلا لِ على قبيلٍ مُعرضِين
تاجُ الحضارة حين أشر قَ لم يجدْهم حافِلين
واللهُ يعلم لم يَرَوْ هُ من قرونٍ أربعين

* * *

قَسَماً بمن يُحيى العظا مَ . ولا أزيدُكَ من يَمين
لو كان مِنْ سَفَرٍ إيا بُكَ أمسِ ، أو فتحٍ مُبين
أو كان بعثُكَ من دبيـ ـبِ الرُّوح ، أو نَبْضِ الوَتين
وطلعتَ من وادِى الملو كِ ، عليكَ غارُ الفاتحين
الخيلُ حولَكَ فى الجِلا لِ العَسْجَدِيَّةِ يَنْشنين(٣)

---

(١) الخديو محمد توفيق الأول — ٢ — صدفت : أعرضت .
(٣) الجلال : جمع جل وهو غطاء الفرس .

وعلى نِجادِكَ هالتا نِ من القَنا ، والدَّارعين
والجندُ يدفعُ فى ركا بكَ بالملوكِ مُصَفَّدين
لرأيتَ جِيلاً غيرَ جي لِك ، بالجبابرِ لا يَدِين
ورأيتَ محكومِين قد نصبوا ، ورَدُّوا الحاكمين
روحُ الزَّمانِ ونَظْمُه ومسبيلُه فى الآخرين
إن الزمانَ وأهلَه فرَغَا من الفردِ اللعين
فإذا رأيتَ مَشايخًا أو فِتيةً للك ساجدين
لاقو الزمانَ ، تَجدْهمو عن رَكْبِه مُتخلِّفين
هم فى الأواخرِ مَوْلِدًا وعقولُهم فى الأولين !

دِمَشْق

قم ناجِ جِلَّقَ(١) ، وانْشُدْ رسمَ مَن بانوا
مَشَتْ على الرَّسم أحداثٌ وأزمان
هذا الأديمُ(٢) كتابٌ لا كِفاء له رَثُّ الصحائفِ، باقٍ منه عُنوان
الدِّينُ والوَحْيُ والأخلاقُ طائفةٌ منه . وسائرُه دُنْيا وبُهتان
ما فيه إن قُلِّبَتْ يوماً جواهرُهُ إلّا قرائحُ مِن رادٍ وأذهان(٣)
بنو أُمَيَّةَ للأنباءِ مافتحوا وللأحاديثِ ما سادوا وما دانوا(٤)
كانوا ملوكاً ، سَريرُ الشرقِ تَحْتَهُمُ فهل سألتَ سريرَ الغرب : ما كانوا؟
عالِينَ كالشمسِ فى أطراف دولتِها فى كلِّ ناحيةٍ مُلكٌ وسلطان

---

(١) جلق : دمشق — ٢ — الأديم : الارض — ٣ — الراد : الراديوم .
(٤) مادانوا : ماغلبوا من الامم وقهروا .

ياويحَ قلبيَ ! مهما انتاب أرْسُمَهُم سَرى به الهمُّ ، أو عاودتهُ أشْجان
بالأمس قمتُ على (الزهراء) (١) أندُبُهم
واليومَ دمعي على (الفَيْحَاءِ) هَتَّان(٢)
في الأرضِ منهم سماواتٌ ، وألْوِيَةٌ ونَيِّراتٌ ، وأنواءٌ ، وعقبان
معاذَ العزِّ قد مالَ الرُّغام(٣) بهم لو هانَ في تُرْبِهِ الإبْرِيزُ ماهانوا
لولا دِمَشْقُ لمَا كانت (طُلَيْطِلةٌ) ولا زَهتْ ببني العبّاسِ بَغْدان(٤)
مررتُ بالمسجدِ المحْزونِ أسألُه هل في المُصَلَّى أوالمحرابِ (مَرْوان)؟
تَغيَّرَ المسجدُ المحزونُ ، واختلفَتْ على المنابرِ أحرارٌ وعِبدان
فلا الأذانُ أذانٌ في منارته إذا تعالى . ولا الآذانُ آذان

* * *

آمنتُ باللهِ ، واستثنيتُ جَنَّتَه دمشقُ رَوْحٌ . وجَنَّاتٌ ، وريْحان
قال الرفاقُ وقد هبَّتْ خمائلُها : الأرضُ دارٌ لها (الفيحاءُ) بستان
جَرَى وصفَّقَ يلقانا بها (بَرَدَى) (٥) كما تلقَّاك دونَ الخُلْدِ رضوان
دخلتُها وحواشيها . زُمُرُّدَةٌ والشمسُ فوق لُجَينِ الماءِ عِقْبان(٦)
والحورُ في (دُمَّر)(٧) ، أو حولَ (هامَتِها)
حورٌ(٨) كَوَاشِفُ عن ساقٍ ، وولدان
و (رَبْوَةُ) الوادِ في جِلبابِ راقصةٍ الساقُ كاسِيَةٌ ، والنحرُ عُريان
والطيرُ تَصدحُ من خلف العيونِ بها وللغيونِ كما للطَّير ألحان

---

(١) الزهراء : قصر خلفاء بني أمية بالأندلس ـ ٢ ـ الفيحاء : دمشق .
(٣) الرغام : التراب ٤ ـ بغدان : احدى لغات كثيرة في بغداد .
(٥) بردى : نهر دمشق .
(٦) العقيان : الذهب الخالص ـ ٧ ـ دمر : ضاحية دمشق .
(٨) الحور : شجر عظيم يشبه السرو .

وأقبلتْ بالنَّبات الأَرضُ مُختلِفًا أفوافُه ، فهْوَ أصباغٌ وألوان(١)
وقد صَفَا (بَرَدَى) للرِّيح ، فابترَدَتْ (٢)
لدى ستورٍ - حَواشيهنَّ أفنان
ثم انثنت لم يزل عنها البلال (٣) ، ولا جفَّتْ من الماء أذيالٌ وأردان(٤)
خَلَّفتُ (لُبنانَ) جنّاتِ النعيم ، وما نُبِّئْتُ أن طريقَ الخلدِ لُبنان
حتى انحدرتُ إلى فيحاء وارفةٍ فيها النَّدَى ، وبها (طَيٌّ) (وشَيْبان)(٥)
نزلتُ فيها بفِتْيانٍ (٦) جَحَاجِحَةٍ آباؤهم فى شبابِ الدَّهرِ غَسَّان(٧)
بِيض الأَسِرَّةِ (٨) ، باقٍ فيهُمُ صَيَدٌ (٩)
من (عبد شمسٍ)(١٠) وإن لم تَبْقَ تِيجان
يافتيةَ الشام ، شكرًا لا انقضاءَ له لو أن إحسانَكم يَجزيه شُكران
مافوقَ راحاتِكم يومَ السماحِ يَدٌ ولا كأوطانكم في البشر أوطان
خميلةُ اللهِ وشَّتْها يَدَاهُ لكم فهل لها قَيِّمٌ منكم وجَنَّان ؟ (١١)
شِيدُوا لها الملكَ ، وابنوا ركنَ دَولتها فالملكُ غرسٌ ، وتجديدٌ ، وبنيان
لو يُرجعُ الدهرُ مفقودًا له خَطرٌ لآبَ بالواحد المبكِيِّ ثَكلان
المُلكُ أن تعملوا ما اسْطَعْتُمو عملاً وأن يَبِينَ على الأعمالِ إتقان
الملكُ أن تُخرَجَ الأموالُ ناشِطةً لمطلبٍ فيه إصلاحٌ وعُمران
الملكُ تحتَ لسانٍ حوله أدبٌ وتحتَ عقلٍ على جَنْبَيْهِ عِرفان

---

(١) افوافه : جمع فوف بالضم ، نوع من الثياب ، والمراد هنا الزهر .
(٢) ابتردت : اغتسلت — ٣ — البلال : اى البلل — ٤ — اردان : جمع ردن وهو الكم .
(٥) طى وشيبان : قبيلتا حاتم ومعن ٦ — جحاجح : جمع جحجح وهو السيد المسارع الى المكارم — ٧ — غسان : ابو قبيلة باليمن ، منهم ملوك غسان وكانوا ملوكا للشام .
(٨) الأسرة : الوجوه ٩ — الصيد : رفع الراس كبرا ، ١٠ — عبد شمس يعنى بنى امية ١١ — جنان : بستانى .

الملكُ أن تتلافَوْا فى هوى وطنٍ تفرّقت فيه أجناسٌ وأديان

* * *

نصيحةٌ مِلْؤها الإخلاصُ ، صادِقةٌ والنُّصحُ خالصُه دِينٌ وإيمان
والشِّعر مالم يكن ذكرى وعاطفةً أو حكمةً ؛ فهو تقطيع وأوزان
ونحن فى الشرق والضُّحى بنورَحِم ونحن فى الجُرح والآلام إخوان

أختُ أمينَة

وقال وقد رأى فى الفلك وهى ترجع به الى مصر طفلة فيها من كريمته امينة مشابهة :

هذه نورُ السفينة هذه شِبْهُ (أمينهْ)
هذه صورتُها مُذْ بثةٌ عنها مُبينه
هذه لؤلؤةٌ عند ى لها مِثْلٌ ثمينه
من بناتِ الرومِ ، لكن لم تكن عندى مَهينه
أنا مَنْ يترك للدي ان فى الدنيا شُئونه
يامَلاكَ الفُلْكِ ،لى صِنْـ ـوٌكِ فى تلك المدينه(١)
أنتِ فى الفُلْك بَهاءٌ وهْو فى (حُلْوَانَ) زِينه
ناجِهِ ، واذكرْ له وجْـ ـدَ أبيه ، وحَنِينَه
وأغِذْهُ : أننى فى الـ ـبحر مذْ دُسْتُ عَرِينه
لستُ بالنفس ضَنيناً وبه نفسى ضَنينه
أسأل الرحمٰنَ يُرْعِيـ ـكَ وإيّاهُ عُيونَه

(١) الصنو : الأخ .

أَنْدَلُسِيَّةٌ

نظمها في منفاه بأسبانيا وفيها يحن للوطن العزيز
ويصف كثيرا من مشاهده ومعاهده .

يابانتح (الطلْحِ)(١) ،أشباهُ عَوَادِينا(٢) نَشْجى لِرَادِيكَ ، أم نَأْسَى لوادينا ؟
ماذا تقُصُّ علينا غيرَ أنّ يداً قصَّتْ جَناحك جالت فى حواشينا؟
رمى بنا البينُ أيْكاً غيرَ سامِرنا ـ أخا الغريب ـ وظِلاً غيرَ نادينا
كلٌّ رَمَتْه النّوى : رِيشَى(٣) الفِراقُ لنا سَهْمًا ، وسُلّ عليكَ البينُ سِكِّينا
إذا دعا الشوقُ لم نَبرحْ بمُنْصَدِع من الجناحين عنّى لا يُلَبِّينا
فإن يكُ الجِذْعُ يا ابنَ الطَّلْحِ فرّقنا إنّ المصائبَ يجمعْنَ المُصابينا
لم تألُ ماءك تَحْنانا ، ولا ظمأً ولا ادِّكاراً(٤) ، ولاشجْوا أفانينا(٥)
تَجُرُّ من فنَنٍ(٦) ساقاً إلى فَنَنٍ وتسحبُ الذيلَ تربادُ المؤاسينا
أساةُ(٧)جسمِكَ شتّى حين تطلبهم فمَنْ لروحك بالنُّطْس(٨) المُداوينا؟

* * *

آها لنا نازِحَىْ أيْكٍ(٩) بأندَلُسٍ وإن حَلَلْنَا رفيقًا(١٠) من رَوَابينا !!
رَسْمٌ وقفنا على رَسْمِ الوفاء له نَجيش بالدّمع ، والإجلالُ يَثْنينا
لِفِتْيَةٍ لا تنال الأرضُ أدمُعَهم ولا مَفارقَهم إلّا مُصَلِّينا (١١)
لو لم يسودوا بدينٍ فيه مَنْبَهةٌ(١٢) للناسِ ؛ كانت لهم أخلاقُهم دينا

---

(١) الطلح نوع من الشجر ، سمى به واد بظاهر اشبيليا كان ابن عباد شديد الولع به ـ ٢ ـ عوادينا : عوادى الدهر النازلة بنا ، وهى مصائبه .
(٣) ريش : من راش السهم ألصق عليه الريش ـ ٤ ـ ادكارا ،تذكرا.
(٥) افانين : أجناس ـ ٦ ـ الفنن : الغصن المستقيم .
(٧) الأساة : الأطباء .
(٨) النطس : الأطباء الحذاق ـ ٩ ـ الأيك : الشجر الكثيف الملتف .
(١٠) الرفيف : الخصب ـ ١١ ـ يقصد بهم ملوك الاندلس
(١٢) منبهة : أى شرف ورفعة .

لم نَسْرِ من حرَمٍ إلّا إلى حَرَم ... كالخمر من (بابلٍ) سارت (لدارينا)(١)
لما نَبا الخلدُ نابت عنه نُسْختُه ... تَماثُلَ الوردِ (خيريًّا) و (نسْرينا)(٢)
نسْقِى ثراهُمْ ثَنَاءً ، كلَّما نُثِرتْ ... دُموعُنا نُظِمتْ منها مراثيا
كادت عيونُ قوافينا تُحَرِّكُه ... وكِدْنَ يوقِظْنَ فى التُّرْبِ السلاطينا
لكنّ مصرَ وإن أغضتْ على مِقَةٍ(٣) ... عَيْنٌ من الخُلْدِ بالكافور تَسقيا
على جوانبِها رَفَّتْ تَمائِمُنَا ... وحولَ حافاتِها قامتْ رَواقينا(٤)
ملاعِبٌ مَرِحَتْ فيها مَآرِبُنا ... وأربُعٌ أنِسَتْ فيها أمانينا
ومَطْلَعٌ لِسُعودٍ من أوَاخِرِنا ... ومَغْرِبٌ لجُدُودٍ من أوَالينا(٥)
بِنَّا ، فلم نَخْلُ من رَوْحٍ(٦) يُراوِحُنا ... من بَرِّ مصرَ ، ورَيْحَانٍ يُغادِينا
كأمِّ موسَى ، على اسمِ الله تكْفُلُنا ... وباسمِهِ ذهبتْ فى اليَمِّ تُلقِينا(٧)
ومصرُ كالكَرْمِ ذى الإحسان : فاكهةٌ ... لحاضِرينَ ، وأكوابٌ لبَادينا

* * *

يا سارِىَ البرقِ يَرمِى عن جوانِحنا ... بعدَ الهدوء ، ويهمِى عن مآقينا
لما تَرقرق فى دمع السماء دماً ... هاج البكا ، فخَضبْنَا الأرضَ باكِينا
الليلُ يشهد لم نَهتِك دَيَاجِيَهُ ... على نيامٍ ، ولم نهتِف بسالينا
والنَّجمُ لم يَرَنا إلّا على قدمٍ ... قيامَ ليل الهوى ، للعهد راعِينا
كزفْرَةٍ فى سماء الليل حائرةٍ ... مِمَّا تُرَدِّدُ فيه حين يُضْوِينا

---

(١) بابل ودارينا مدينتان مشهورتان بجودة الخمر ٢ — خيريا ونسرينا : نوعان من الزهر — ٣ — المقة : المحبة — ٤ — الرواقى : واحدها راقية ، وهى التى ترقى الصبى اذا كان به سحر — ٥ — الجدود : الحظوظ .
(٦) الروح : الرحمة والرزق .
(٧) شبه مصر — حين ضاقت به على الرغم منها فركب البحر وخرج الى المنفى — بأم موسى عليه السلام حين القته فى اليم صبيا وسألت الله ان يكفله .

باللهِ إن جُبتَ ظلماءَ العُبابِ على ... نَجائبِ النُّورِ مَحْدُوَّا (بجرينا)
تَرُدُّ عنك يداه كلَّ عاديةٍ ... إنساً يَعِثْنَ فسادًا ، أو شياطينا
حتى حَوَتْكَ سماءُ النيلِ عالية ... على الغيوث ، وإن كانت مَيامينا
وأحرزتكَ شُفوفُ اللَّازوَرْدِ على ... وَشْيِ الزَّبَرْجَدِ من أفْوافِ وادينا(١)
وحازكَ الريفُ أرجاءً مُؤَرَّجَةً ... رَبَتْ خمائِلَ ، واهتزَّت بساتينا
فقِف إلى النيل ، واهتف فى خمائِله ... وانزل كما نزل الطلُّ الرَّياحينا
وآسِ ما بَاتَ يَذْوِى من منازلنا ... بالحادثات ، ويَضْوَى من مغانينا

* * *

ويا مُعَطِّرَةَ الوادى سرَتْ سَحَرًا ... فطابَ كلُّ طرُوحٍ من مرامينا
ذكيَّةَ الأَيل ، لو خِلْنَا غِلالتها ... قميصَ يوسفَ لم نُحْسَبْ مُغالينا
جَشمتِ ثَوْكَ السُّرَى حتى أنيْتِ لنا ... بالوَرْدِ كُتْبًا ، وبالرَّيَّا عناوينا
فلو جزيناكِ بالأرواحِ غاليةً ... عن طيب مَسْراكِ لم تنهضْ جَوازينا
هل من ذيولكِ مسْكىٌّ نُحَمِّلُه ... غرائبَ الشوق وَشْيًا من أمالينا ؟
إلى الذين وجدنا وُدَّ غيرِهمُ ... دُنْيَا ، ووُدُّهمو الصافى هو الدينا

* * *

يا من تَغَارُّ عليهم من ضمائرنا ... ومن مَصون هواهم فى تناجِينا
ناب الحنينُ إليكم فى خواطِرنا ... عن الدَّلال عليكم فى أمانينا
جئنا إلى الصبر ندعوه كعادتنا ... فى النائبات ، فلم يأخذ بأيدِينا
وما غُلبنا على دمعٍ ، ولا جَلَدٍ ... حتى أتتنا نَواكُمْ من صَياصِينا(٢)

---

١ ــ الشفوف : واحدها شف : الثوب الرقيق ، واللازورد : حجر صاف شفاف أزرق ، والافواف : يريد بها الخمائل ٢ ــ الصياصى : الحصون وكل ما امتنع به .

ونابِغِي (١) كأنّ الحشرَ آخرُه تُميتُنا فيه ذكراكم وتُحيِينا
نَطوى دُجَاه بجُرحٍ من فراقِكمو يكاد فى غلَس الأسحار يَطوِينا
إذا رَسا النجمُ لم ترْقأْ مَحاجِرُنا حتى يزولَ ، ولم تهدأ تراقِينا
بتنا نقاسِى الدواهى من كواكِبه حتى قعدنا بها حَسْرَى تُقاسِينا
يبدو النهارُ فيخفيه تجلُّدُنا للشامتين ، ويأْسُوه تأسِّينا

* * *

سَقْيًا لعهدٍ كأكنافِ الرُّبَى رِفةً (٢) أنّى ذهبنا . وأعطافِ الصِّبا لِينا
إذِ الزمانُ بنا غَيْناءُ زاهِيةٌ تَرِفُّ أوقاتُنا فيها رَياحينا
الوصلُ صافِيَةٌ ، والعيشُ ناغِيَةٌ والسعدُ حاشيةٌ ، والدهرُ ماشينا
والشمسُ تَختال فى العِقْيان، تَحْسبها (بِلقيسَ) تَرْفُلُ فى وَشْيِ اليمانِينا
والنيلُ يُقبِل كالدنيا إذا احتفلتْ لو كان فيها وفاءٌ للمُصافِينا
والسعدِ لوْ دامَ ، والنعمَى لوِ اطَّردتْ والسيلِ لَو عَفَّ ، والمقدارِ لَوْ دِينا
ألقى على الأرض ـ حتى ردَّها ذَهبًا ـ ماءً لمَسنا به الإكْسِيرَ ، أو طِينا
أعداه من يُمْنِه (التابوتُ) ، وارتسَمَتْ
على جوانبه الأنوارُ من سِينا
له مَبالغُ ما فى الخُلْقِ من كرَمٍ عهدُ الكرامِ ، وميثاقُ الوفيِّينا
لم يَجرِ للدهرِ إعذارٌ (٣) ولا عُرُسٌ إلّا بأيّامِنا ، أو فى لياليِنا
ولا حوى السعدُ أطْغَى فى أعِنَّتِه منّا جِيَاداً ، ولا أرْحَى مياديِنا
نحن اليواقيتُ ، خاض النارَ جَوهَرُنا ولم يهُنْ بيَدِ التَّشْتيتِ غالِينا
ولا يَحُول لنا صِبْغ ، ولا خُلُقٌ إذا تلوّن كالحِرْباء شانِينا

---

١ ــ يريد به الليل الذى ملوّه الهم والارق اشارة الى قول النابغة :
كلينى لهم يا اميمة ناصب وليل اقاسيه بطىء الكواكب
٢ ــ الرفة : النضرة ــ ٣ ــ الاعذار : طعام يتخذ لسرور حادث

لم تنزل الشمسُ ميزاناً ، ولاصعدَتْ ... في مُلْكِها الضخمِ عرشاً مثلَ وادينا
ألم تُؤَلِّهْ على حافاتِه ، ورأتْ ... عليه أبناءَها الغُرَّ الميامينا ؟
إن غازلتْ شاطئيه في الضحى لبِسا ... خمائلَ السُّنْدُسِ المَوْشِيَّةِ الغِينا(١)
وبات كلُّ مُجاجٍ(٢) الوادِ من شجَرٍ ... لوافظَ القزِّ بالخيطان ترمِينا
وهذه الأرضُ من سَهْلٍ ومن جبلٍ ... قبل (القياصر) دِنَّاها (فراعينا)
ولم يَضَعْ حجَرًا بانٍ على حجرٍ ... في الأرضِ إلّا على آثار بانِينا
كأن أهرامَ مصرٍ حائطٌ نهضت ... به يَدُ الدهرِ ، لا بنيانُ فانِينا
إيوانُه الفخمُ من عُليا مقاصرِه ... يُفْنِي الملوك ، ولا يُبْقِي الأَواوِينا(٣)
كأنها ورمالا حولها التَطمتْ ... سفينةٌ غَرِقتْ إلّا أساطينا(٤)
كأنها تحت لألاءِ الضُّحَى ذَهباً ... كنوزُ (فِرْعَوْن) غَطَّيْنَ الموازينا

* * *

أرضُ الأُبُوةِ والميلادِ طيَّبها ... مَرُّ الصِّبا في ذيول من ثصابِينا
كانت مُحَجَّلةً فيها مواقِفُنا ... غُرًّا مُسَلْسَلَةَ المَجْرى قوافينا
فآبَ مِنْ كُرَةِ الأيامِ لاعِبُنا ... وثابَ مِنْ سِنَةِ الأحلامِ لاهِينا
ولم نَدَعْ لليالي صافياً ، فدَعتْ ... (بأن نغَصَّ ، فقال الدهرُ : آمينا)
لو استطعنا لخُضْنَا الجوَّ صاعِقةً ... والبرَّ نارَ وَغًى ، والبحرَ غِسْلِينا(٥)
سَعْيًا إلى مصرَ نقضِي حقَّ ذاكرنا ... فيها إذا نَسِيَ الوافي ، وباكِينا
كَنْزٌ (بحُلوان) عندَ اللهِ نطلبُهُ ... خيرَ الودائِعِ من خير المؤَدِّينا(٦)
لو غاب كلُّ عزيز عنه غَيْبَتَنا ... لم يَأْتِهِ الشوقُ إلّا من نواحينا
إذا حمَلْنا لمصرٍ أو له شَجَنًا ... لم ندْرِ : أيُّ هوى الأُمَّيْن شاجِينا ؟

---

١ ــ الغين : واحدها اغين : الخضر ٢ ــ المجاج : ما تمجه الارض من شجر وغيره أى ما تخرجه ــ ٣ ــ جمع ايوان ــ ٤ ــ الاساطين : واحدتها اسطوانة ، وهى السارية ٥ الغسلين : الصديد ٦ ــ اشارة الى المرحومة والدة الناظم .

وَصْفُ الْغَوَّاصَة ونَكبَةُ الباخِرةِ لُوزِيتَانْيا

قال فى حادثة نسف غواصة المانية للباخـــرة لوزيتانيا :

رأيت على لَوْحِ (الخيالِ)(١) يتيمةً ... قضى يومَ (لوسيتانيا) أبَواها
فيالك من حالٍ أمينَ مُصَدَّقٍ ... وإن هاج للنفس البُكا وشَجَاها
غَوَاهًا عليها ، ذاقَت اليُتْمَ طِفلةً ... وقُوِّضَ رُكْناها ، وذَلَّ صِباها
وليت الذى قاست من الموت ساعة ... كما راح يَطْوى الوالدَيْن طواها
كفَرْخٍ رمى الرامى أباهُ فغالهُ ... فقامت إليه أُمُّهُ فرماها
فلا أبَ يَسْتَذْرِى(٢) بظلّ جناحِه ... ولا أُمَّ يَبغى ظِلَّها وذَراها(٣)
ودبَّابةٍ(٤) تحتَ العُباب بمَكمَنٍ ... أمينٍ ، تَرى السارى وليس يَراها
هى الحوتُ ، أوفى الحوت منها مَشابِهٌ ... فلو كان فولاذًا لكان أخاها
أبَتْ لأصحابِ السَّفين غوائِلا ... والأمُّ نابأ حينَ تَفْغرُ فاها
خَئُونٌ إذا غاصتْ ، غدورٌ ، إذا طَفت ... مُلَعَّنةٌ فى سَبْحها وسُراها
تُبَيِّتُ(٥) سُفْنَ الأبرياء من الوغى ... وتَجنى على من لا يخوض رَحاها
فلو أدركت تابوت موسى لَسَلَّطَتْ ... عليه زُباناها(٦) ، وحرَّ حُمَاها
ولو لم تُغَيِّبْ فُلْكَ نُوحٍ وتحْتَجِبْ ... لما أمِنَتْ مَقذوفَها ولَظَاها
فلا كان بانيها ، ولا كان رَكْبُها ... ولا كان بحرٌ ضمَّها وحواها
وأُفٌّ على العلم الذى تَدَّعونه ... إذا كان فى علم النفوس رَدَاها

---

١ ــ الخيال : السينما توغراف ــ ٢ ــ يستذرى : يستظل ــ ٣ ــ الذرى بالفتح : الفناء ــ ٤ ــ الدبابة : يعنى بها الغواصة ــ ٥ ــ يقال : بيت العدو اذا أوقع به ليلا من دون أن يعلم ــ ٦ ــ زبانا العقرب : قرناها .

جِسْرُ البُسْفُور

هذه القصيدة اهتم بها المغفور له السلطان
عبد الحميد وطلبها وقراها باهتمام

أمير المؤمنين ، رأيتُ جسرًا ... أمرُّ على الصراطِ ، ولا عليْهِ
له خشبٌ يجوع السوسُ فيه ... وتمضى الفأرُ لا تَأْوِى إليه
ولا يتكلَّفُ المِنْشارُ فيه ... سوى مرِّ الفطِيمِ بساعديْه
وكم قد جاهد الحيوانُ فيه ... وخَلَّف فى الهزيمة حافِريْه
وأسمعُ منه فى عينى جُباةً(١) ... تراهم وَسْطَه وبجانِبَيْه
إذا لاقيتَ واحِدهم تَصدَّى ... كعِفْريتٍ يُشيرُ براحَتَيْه
ويمشى (الصدرُ)(٢) فيه كلَّ يوم ... بموكِبه السَنِىِّ وحارِسَيْه
ولكن لا يمرُّ عليه إلَّا ... كما مرَّتْ يَداه بعارِضَيْه
ومن عجبٍ هو الجسرُ المعلَّى ... على البسفور ، يجمع شاطِئَيْه
يُفيدُ حكومةَ السلطانِ مالاً ... ويُعطيها الغنى من مَعْدِنيْه
بجود العالَمون عليه . هذا ... بعَشْرتِه ، وذاك بعَشْرَتَيْه
وغايةُ أمرِه أنّا سمِعنا ... لسانَ الحال يُنشِدُنا لديه
(أليس من العجائب أنَّ مثلى ... يَرَى ما قلَّ مُمتنِعا عليه) ؟
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعًا ... وما من ذاك شىءٌ فى يديه) ؟

---

١ ــ جباة : جمع جابى وهو المحصل ــ ٢ ــ يريد به الصدر الأعظم ، وهو كبير الوزراء

كتاب بعث به إلى المرحوم حسين واصف باشا ، يستهديه لكرمة ابن عانى بالمطرية شجيرات ، وكان مشهوراً باقتناء الرياحين والعناية بتربيتها ·

إلى حسينٍ حاكمِ القَنالِ ... مثالِ حُسْنِ الخُلْق فى الرِّجال
أُهْدِى سلاماً طيّبًا كخُلْقِه ... مع احترامٍ هو بعضُ حَقِّه
وأحفظ العهدَ له على النَّوَى ... والصدقَ فى الودّ له وفى الهوى
وبَعدُ فالمعروفُ بين الصَّحبِ ... أنَّ التهادِى من دواعى الحبِّ
وعندك الزَّهرُ ، وعندى الشِّعرُ ... كلاهما فيما يقال نَذْرُ
وقد سَمعتُ عنك من ثِقاتِ ... أنك أنتَ مَلِكُ النباتِ
زهرُك ليس للزهور رَوْنَقُه ... تكاد من فَرْطِ اعتناءٍ تَخلُقه
ما نظرتْ مثلَكَ عينُ النرجسِ ... بعد ملوك الظرف فى الأندلسِ
ولى من الحدائق الغنّاء ... رَوْضٌ على (المطْرِيَّةِ) الفيْحاءِ
أتيتُ أستهدى لها وأسألُ ... وأرتضى النَّزْر ولا أثقّلُ
عشرَ شُجيْرَاتٍ من الغوالى ... تَندُر إلّا فى رياض الوالى
تزكو وتزهو فى الشتا والصيف ... وتجمع الألوانَ مثلَ الطيْفِ
تُرسلها مُؤمّنًا عليها ... إن هلكَتْ لى الحقُّ فى مِثليْها
والحق فى الخرطوم أيضا حقّى ... والدرسُ للخادم كيف يسقِى
وبعد هذا لى عليك زورَهْ ... لكى تدور حول روْضِى دوْرَهْ
فإن فعلت فالقوافى تفعلُ ... ما هو من فعل الزهور أجملُ
فما رأيتُ فى حياتى أزْينا ... للمرء بين الناس من حُسْنِ الثَّنَا

باب النسيب

خَدَعُوها

خدعوها بقولهم : حسناءُ والغوانى يَغُرُّهُنّ الثّناءُ
أتُراها تناست اسمِيَ لمّا كثُرت فى غرامِها الأسماءُ ؟
إن رأتنى تميل عنى ، كأن لَّم تلكُ بينى وبينها أشياءُ !
نظرةٌ ، فابتسامةٌ ، فسلامٌ فكلامٌ ، فموعدٌ ، فلقاءُ
يومَ كُنّا — ولا تسلْ : كيف كُنّا ؟ — نتهادَى من الهوى ما نشاءُ
وعلينا من العَفافِ رقيبٌ تَعِبَتْ فى مِراسه الأهواءُ
جاذبتنى ثوبِى العصِيَّ وقالت : أنتمُ الناسُ أيُّها الشعراءُ
فاتقوا اللهَ فى قلوبِ العذارَى فالعذارى قلوبُهنّ هواءُ

أخذ البيت الرابع فزاد قوله :

نظرةٌ ، فابتسامةٌ ، فسلامٌ فكلامٌ ، فموعدٌ ، فلقاءُ
ففراقٌ يكون فيه دواءٌ أو فراقٌ يكون منه الداءُ

وقال :

لا السُّهْدُ يَطويه ولا الإغضاءُ لَيْلٌ عِدادُ نُجُومِه رُقَباءُ
داجِى عُبابِ الجُنْحِ ، فَوْضَى فُلْكُه ما للهموم ولا لها إرْساءُ
أغزالة الإشراق ، أنتِ من الدُّجى ومن السُّهادِ إذا طلعْتِ شِفاءُ
رفقًا بجفْنٍ كلّما أبْكَيْتِهِ سال العَقيقُ(١) به ، وقام الماءُ

---

١ ــ العقيق : كناية عن الدم

ما مَدَّ هُدْبَيْهِ ليصطادَ الكرى ... إلَّا وطيفُكِ فى الكرى العَنْقَاءُ
مَنْ لى بهنَّ لياليًا نَهِل(١) الصِّبا ... مما أَفَضْنَ وَعَلَّتْ(٢) الأهواءُ ؟
أَلَفْنَ أوطارى ؛ فعَيْشِىَ والمُنَى ... فى ظلِّهنَّ الكأْسُ والصَّهباءُ

وقال :

سُوَيْجعَ النيلِ ؛ رِفْقًا بالسُّوَيْداء ... فما تُطيق أَنينَ المفردِ النائى(٣)
لله وادِكما يَهْوَى الهوى عَجَبٌ ... تركتَ كلَّ خَلِىٍّ فيه ذا داء
وأنتَ فى الأَسْرِ تشكو ماتُكابده ... لصخرةٍ من بنى الأعجام صَمَّاء
اللهَ فى فَنَنٍ تلهو الزمانَ به ... فإنما هو مشدودٌ بأَحشائى
وفى جوانحك اللَّاتى سمحْت بها ... فلو ترفَّقْت لم تسمح بأَعضائى
ماذا تريد بذى الأَنّاتِ فى سهرى؟ ... هٰذى جفونِى تَسْقِى عهدَ إغفائى
حَسْبُ المضاجعِ منى ماتعالج من ... جَنْبى ، ومن كَبِدٍ فى الجَنْب حَرَّاء
أُمْسِى وأُصْبِحُ مِنْ نَجْوالدفى كَلَفٍ ... حتى لَيعْشَقُ نُطقى فيك إصغائى
الليلُ يُنهِضنى من حيث يُقعِدنى ... والنَّجمُ يَملأُلى ،والفكرُ صَهبائى
آتى الكواكبَ لم أَنقل لها قَدَمًا ... لاينقضى سهرى فيها وإسرائى
وألحظُ الأَرضَ ،أَطْوِى مايكون إلى ... ما كان مِنْ آدمٍ فيها وحَوّاء
مُؤيَّدًا بك فى حِلّى ومُرْتَحَلِى ... وما هما غيرُ إصباحى وإمسائى
تُوحِى إلىَّ الذى تُوحِى ، وتسمع لى ... وفى سماعك بعد الوحى إغرائى

قال أبو نواس :

ياوَيْحَ أَهْلِىَ ؛ أَبْلَى بينَ أَعيُنِهم ... على الفراشِ ، ولا يَدْرُون مادائى

---

١ — نهل ، من نهلت الابل : شربت اول الشرب — ٢ — علت ، من عل الرجل : شرب شربة ثانية — ٣ — سويجع : تصغير سناجع . والسويداء حبة القلب

وطلب إليه تشطير هذا البيت فقال :

ياويحَ أهلىَ ، أبلَى بين أعينهم ويَدْرُجُ الموتُ فى جسمى وأعضائى
وينظرون لجنْبٍ لا هدوء له على الفراشِ ، ولا يدرون ما دائى

وقال :

منكَ ياهاجرُ دائى وبكفَّيْكَ دَوائى
يا مُنَى ؛ روحى ، ودنيا يَ ، وسُؤْلى ، ورَجائى
أنت إن شئتَ نعيمى وإذا شئتَ شقائى
ليس مِنْ عُمْرِىَ يومٌ لا ترى فيه لِقائى
وحياتى فى التَّدانى ومماتى فى التَّنائى
نَمْ على نسيان سُهدى فيك ، واضحكْ من بُكائى
كلُّ ما ترضاه يا مَوْ لاىَ يرضاه وَلائى
وكما تعلم حُبِّى وكما تدرى وَفائى
فيك يا راحة روحى طال بالواشى عَنائى
وتوارَيْتُ بدمعى عن عيون الرُّقَباء
أنا أهواكَ ، ولا أرْ ضَى الهوى مِن شُرَكائى
غِرْتُ ، حتى لَتَرى أر ضِىَ غَيْرَى من سمائى
ليتنى كنتُ رِداءً لك ، أو كنت رِدائى
ليتنى ماؤك فى الغُ لَّةِ ، أولَيْتَكَ مائى

وقال :

لقد لامنى ياهندُ فى الحب لائمٌ . مُحِبٌّ إذا عُدَّ الصِّحابُ حبيبُ
فما هو بالواشى على مذهب الهوى ولا هو فى شَرع الوداد مُريب

وصفتُ له مَنْ أنتِ ، ثم جرى لنا حديثٌ يَهُمُّ العاشقين عجيب
وقلت له : صبرًا ؛ فكلُّ أخِي هَوى على يَدِ مَنْ يَهْوى غدًا سيتوب

وقال :

على قدرِ الهوى يأتى العِتابُ ومَنْ عاتبتُ يَقْلِيه الصِّحابُ
أَلومُ مُعذِّبى ، فأَلومُ نفسى فأُغضِبها ويُرضيها العذاب
ولو أنى استطعتُ لتبتُ عنه ولكنْ كيف عن روحى المتاب؟
ولى قلب بأَن يهْوَى يُجَازَى ومالِكُه بأَن يَجْنِى يُثاب
ولو وُجد العِقابُ فعلتُ ، لكن نِفارُ الظَّبْى ليس له عِقاب
يلوم اللائمون وما رأَوْه وقِدْماً ضاع فى الناس الصَّواب
صَحَوْتُ ، فأَنكر السُّلْوان قلبى علىّ ، وراجع الطَّرَب الشباب
كأَنَّ يَد الغرامِ زِمامُ قلبى فليس عليه دون هَوًى حِجاب
كأَنَّ روايةَ الأَشواقِ عَوْدٌ على يَدِهِ وما كمل الكتاب
كأَنَّى والهوى أَخَوا مُدامٍ لنا عهدٌ بها ، ولنا اصطحاب
إذا ما اعْتَضْتُ عن عشقٍ بعشق أُعِيدَ العهدُ ، وامتد الشَّراب

وقال :

أريدُ سُلوَّكم ، والقلبُ يأْبَى وأَعتِبُكم ، وملءُ النفس عُتْبَى
وأَهجركم ، فيهجرنى رُقادى ويُضْوِينى الظلامُ أسىً وكرْبا(١)
وأَذكركم برؤيةِ كلِّ حُسْنٍ فيصبو ناظرى ، والقلبُ أَصْبَى(٢)
وأَشكو من عذابى فى هواكم وأَجزيكم عن التعذيبِ حُبّا
وأَعلمُ أَن دَأْبَكُمُ جفائى فما بالى جعلتُ الحبَّ دأْبا ؟

---

١ ــ يضوينى : يضعفنى ، من اضواه الأمر : اضعفه ٢ ــ والقلب أصبى : أى أشد صبوة .

ورُبَّ مُعاتَبٍ كالعيش، يُشكى ... وملءُ النفس منه هَوًى وعُتْبى
أتَجزيني عن الزُّلْفَى نِفارًا ؟ ... عَتَبْتُكَ بالهوى، وكفاكَ عَتْبا
فكلُّ ملاحةٍ فى الناس ذنبٌ ... إذا عُدَّ النِّفارُ عليكَ ذنبا
أخذتُ هواكَ عن عينى وقلبى ... فعينى قد دَعَتْ ؛ والقلبُ لَبّى
وأنتَ من المحاسن فى مِثال ... فديتكَ قالَباً فيه وقَلْبا
أُحِبُّكَ حين تثنى الجِيدَ تِيهًا ... وأخشى أن يصيرَ التِّيهُ دَأْبا
وقالوا : فى البديلِ رضاً ورَوْحٌ ... لقد رُمْتُ البديلَ، فرمتُ صَعْبا
وراجعتُ الرشادَ عَساى أسلو ... فما بالى مع السُّلوانِ أصْبى ؟
إذا ما الكأسُ لم تُذْهِبْ همومى ... فقد تَبَّتْ يدُ الساقى، وتَبّا
على أنى أعَفُّ مَن احتساها ... وأكرمُ مِنْ عَذارَى الدير شربا
ولى نفسٌ أُرَوِّضُها فتزكو ... كزهر الورد نَدَّوْهُ فهبّا

وقال :

رَوِّعوه ؛ فتولَّى مُغْضَبا ... أعلِمتم كيف ترتاعُ الظِّبا ؟
خُلِقت لاهِيةً ناعمة ... رُبَّما رَوَّعها مرُّ الصَّبا
لى حبيبٌ كلَّما قيل له ... صَدَّقَ القولَ، وزكَّى الرِّيَبا
كذب العُذَّالُ فيما زعموا ... أمَلِى فى فاتِنى ما كذبا
لو رَأَوْنا والهوى ثالثُنا ... والدُّجى يُرْخِى علينا الحُجُبا
فى جِوار الليل، فى ذِمَّتِه ... نذكر الصبحَ بأنَّ لا يقربا
مِلءُ بُرْدَيْنا عفافٌ وهوى ... حفظ الحسنَ، وصنتُ الأدبا
يا غزالاً أهِلَ(١) القلبُ به ... قلبىَ السَّفْحُ وأحْنى ملْعبا

---

١ ـ أهل به : عمر

لك ما أحببتَ مِنْ حَبَّتِه مَنهلاً عَذباً ، ومَرْعًى طَيِّبا
هو عندَ المالكِ الأَوْلَى به كَيف أشكو أنه قد سُلِبا ؟
إن رأى أبقى على مملوكه أو رأى أتلفه واحتسبا
لكَ قدٌّ سجدَ البانُ له وتمنّتْ لو أقلَّتْه الرُّبى
ولِحاظٌ ؛ من معانى سحرِه جمع الجمنُ سهاماً وظُبى(١)
كان عن هذا لقلبى غُنيَةٌ ما لقلبى والهوى بعد الصِّبا ؟
فطرتى لا آخُذ القلبَ بها خُلِقَ الشاعِرُ سَمحًا طَرِبا
لو جَلَوْا حُسْنَكَ أو غَنَّوْا به «لِلَبِيدٍ» فى الثمانين صَبا(٢)
أيها النفسُ ، تجلّدين سُدًى هل رأيتِ العيشَ إلا لَعِبا ؟
جَرِّبى الدنيا تَهُنْ عندكِ ؛ ما أهونَ الدنيا على من جرّبا !!
نلتِ فيما نِلْتِ من مَظهرها ومُنِحْتِ الخلدَ ذكرًا ، ونَبَا

وقال والمعنى لشاعر تركى :

ما تلكَ أهدابى تَنَظَّـ ـمَ بينها الدمعُ السَّكوبْ
بلْ تلك سُبحةُ لؤلؤٍ تُحْصَى عليكَ بها الذنُوب

وقال :

لا والقوامِ الَّذِى ، والأَعينِ اللَّاتى ما خُنْتُ رَبَّ القَنا والمَشْرَفيَّاتِ
ولا سَلوْتُ ، ولم أَهْمُمْ ، ولاخطرَتْ بالبالِ سَلْوَاكِ فى ماضٍ ولا آت
وخاتَمُ الملكِ للحاجات مُطَّلَبٌ وثَغْرُكِ المتمنَّى كلُّ حاجاتى

---

١ ــ الظبى : جمع ظبة وهى حد السيف ــ ٢ ــ هو لبيد بن ربيعة الشاعر الذى قال حين بلغ الثمانين وقد شكا ثقل السمع وتهدم الشيخوخة :

ان الثمانين ــ وبلغتهـــا ــ قد احوجت سمعى الى ترجمان

وقال :

لَحظها لَحظها ، رُوَيْدًا رُوَيْدا كم إلى كم تكيد للروح كيْدا ؟
كُفَّ أو لا تكُفَّ ؛ إنّ بجنبي لَسِهامًا أرْسَلْتَها لن تُرَدّا
تصِلُ الضربَ ما أرى لك حدّا فاتّقِ اللهَ ، والتزِمْ لك حدّا
أو فصُغ لى من الحجارة قلبا ثم صُغ لى من الحدائدِ كِبْدا
واكفِ جَفْنَىَّ دافقًا ليس يرْقا واكْفِ جَنْبَىَّ خافِقا ليس يَهْدا
فمن الغَبْنِ أن يصير وعيدًا ما قطعتُ الزمانَ أرجوه وعْدا

وقال :

الرُّشْدُ أجملُ سِيرة يا أحمدُ ودُّ الغوانى مِنْ شَبابِكَ أبعدُ
قد كان فيك لِوُدِّهنّ بَقِيَّةٌ واليومَ أوْشَكَتِ البقيةُ تَنْفَدُ
« هاروتُ » شِعْرِكَ بعدَ « ماروتِ » الصبا أعيا ، وفارقه الخليلُ المُسعِد
لما سَمِعْنَكَ قُلْنَ : شعرٌ أمْرِدُ ياليت قائلَهُ الطَّرِيرُ الأمرَدُ
ما لِلْوَاهِى الناعماتِ وشاعرٍ جعل النسيبَ حبالةً يتصيّد ؟
ولكَمْ جمعتَ قلوبَهن على الهوى وخدَعْتَ مَنْ قَطَعَتْ ومَنْ تتودّد
وسَخِرْتَ من واشٍ ، وكِدْتَ لعاذِلٍ واليومَ تنشُدُ من يَشِى ويُفَنِّد
أئذا وَجَدْت الغِيدَ آلهةَ الهوى وإذا وجدت الشِّعْرَ عزَّ الأغيد ؟

وقال :

إن الوُشاةَ — وإن لم أحْصِهم عَددا — تعلموا الكَيْدَ من عينيك والفَنَدا (١)

---

١ — الفند : الكذب وكفر النعمة

لا أَحْلفَ اللهُ ظنّى فى نواظرِهم ماذا رأتْ بِىَ ممّا يبعثُ الحسدا؟
هم أغضبوكَ فراح القدُّ مُنْثَنِيًا والجفنُ مُنكسرًا ، والخدُّ مُتّقدا
وصادفوا أُذُنا صَغْواءَ ليِّنةً فأسمعوها الذىَ لم يُسمِعوا أحدا
لولا احتراسِىَ من عينَيْك قلتُ : ألا فانظر بعينيك ، هل أبقَيْتَ لى جَلَدَا؟
اللهَ فى مُهْجَةٍ أيْتَمْتَ واحدَها ظلمًا ، وما اتّخذَتْ غيرَ الهوى ولدا
ورُوحِ صبٍّ أطالَ الحبُّ غُرْبَتَها يخافُ إن رَجَعَتْ أن تُنكرَ الجسدَ
دع المواعيدَ ؛ إنى مِتُّ مِنْ ظمَإٍ وللمواعيدِ ماءٌ لا يَبُلُّ صَدى
تدعو ، ومَنْ لِىَ أن أسعى بلا كَبِدٍ؟ فمن يُعيرِىَ من هذا الورى كَبِدا؟

وقال :

يشْتَ شكواى ؛ فذابَ الجليدُ وأشفق الصخرُ ، ولان الحديدْ
وقلبُك القاسى على حاله هيهاتَ ! بلْ قَسْوَتُه لى تَزيد

وقال :

يَمُدُّ الدُّجَى فى لَوْعتى ويَزيدُ ويُبدِئُ بَثّى فى الهوى ويُعيدُ
إذا طال واستعصى فما هى ليلة ولكنْ ليالٍ مالهنّ عَديدُ
أرِقْتُ وعادتنى لذكرى أحِبَّتى شُجونٌ قِيامٌ بالضلوع قُعودُ
ومَنْ يَحْمِلِ الأشواقَ يتعَب ، ويَختلفْ
عليهِ قديمٌ فى الهوى ، وجديد
لقِيتَ الذى لم يَلْقَ قلبٌ من الهوى
لكَ اللهُ يا قلبى ، أأنت حديد ؟
ولم أَخْلُ من وجدٍ عليك ؛ ورِقّةٍ إذا حلَّ غِيدٌ ، أو ترحّل غِيدُ

وروْضٍ كما شاءَ المُحِبُّون ، ظِلُّهُ ... لهم ولأسرارِ الغرامِ مَديدُ
تُظَلِّلُنا والطيرَ فى جَنَّاتِهِ ... غصونٌ قيامٌ للنسيم سجود
تميل إلى مُضْنَى الغرامِ ، وتارةً ... يعارضها مُضْنَى الصَّبا فتَحيد
مَشَى فى حواشِيها الأصيلُ ، فذُهِّبَتْ ... ومارتْ عليها الحلْيُ وهْىَ تَميد
وقامت لديها الطَّيْرُ شتَّى ، فآنِسٌ ... بأهلٍ ، ومَفقودُ الأليفِ وَحيد
وباكٍ ولا دمعٌ ، وشاكٍ ولا جوًى ... وجَذْلانُ يَشْدُو فى الرُّبَى ويُشيد
وذى كِبْرَةٍ لم يُعْطَ بالدهر خِبْرَةً ... وغُرْيان كاسٍ تَزْدَهيه مُهود
غَشِيناهُ والأيَّامُ تَنْدَى شَبِيبَةً ... ويَقْطُر منها العيشُ وهْوَ رَغيد
رَأَتْ شفقًا يَنْعَى النهارَ مُضَرَّجًا ... فقلتُ لها : حتى النهارُ شَهيد
فقالت : وما بالطير ؟ قلتُ : سكينةٌ ... فما هى ممّا نبتغى ونَصيد
أُحِلَّ لنا الصيدان : يومَ الهوى مَهًا ... ويومَ تُسَلُّ المُرْهَفاتُ أُسودُ
يُحَطِّم رُمْحٌ دوننا وَمُهَنَّدٌ ... ويَقْتُلنا لَحْظٌ ، ويأْسِر جِيدُ
ونحكم حتى يقبلَ الدهرُ حُكْمَنا ... ونحن لسلطان الغرام عبيد
أقول لأيام الصّبا كلّما نأَتْ : ... أما لكَ ياعهدَ الشباب مُعيد ؟
وكيف نَأَتْ والأمسُ آخرُ عهدِها ؟ ... لَأَمْسُ كباقى الغابراتِ عهيد(١)
جَزِعْتُ ، فراعتنى من الشَّيْبِ بَسْمةٌ ... كأنّى على دَرْبِ المشيبِ (لَبيد)
ومن عبَث الدنيا وما عبثت سدًى ... شَبَبْنا وشِبنَا والزَّمانُ وَليدُ

وقال :

هام الفؤادُ بشادنٍ ... أَلِفَ الدَّلالَ على المدَى
أبْكِى ، فيضحكُ ثَغْرُه ... والكِمُّ يفتحه النَّدى(٢)

---

١ ــ العهيد : القديم ــ ٢ ــ الكم بكسر الكاف : الغلاف الذى ينشق عن الثمر .

وقال عن شاعر تركى :

للعاشقين رِضاكَ واْ حُسنَى ، ولى هَجْرٌ وصدُّ
ذُكِروا ، فكانوا سُبْحَةً وأنا العلامةُ ، لا تُعدّ

وقال :

فى مقلتيك مَصارعُ الأَكبادِ اللهَ فى جنبٍ بغير عِماد
كانت له كَبِدٌ ، فحاق بها الهوى قُهِرتْ ، وقد كانت من الأَطواد
وإذا النفوسُ تطَوَّحَتْ فى لذَّةٍ كانت جنايتُها على الأَجساد
نَشْوى ، وما يُسْقِيْنَ إلَّا راحتى وَسْنَى ، وما يَطْعَمْن غير رُقادى
ضَعْفى ، وكم أَبْلَيْنَ من ذى قوة مَرْضَى ، وكم أَفْنيْنَ من عواد
يا قاتلَ اللهُ العيونَ ؛ فإنها فى حَرِّ ما نَصْلَى الضعيفُ البادى
قاتلنَ فى أَجفانهنّ قلوبَنا فصَرَعْنَها ، وسلِمْنَ بالأَغماد
وصبَغْنَ من دمها الخدودَ تَنَصُّلاً ولقِينَ أَرباب الهوى بسَواد

وقال :

قفْ باللَّواحظِ عندَ حَدِّكْ يكفيكَ فتنةُ نارِ خَدِّك
واجْعلْ لِغِمْدِكَ هُدْبَةً إن الحوادث مِلءُ غِمْدِك
وصُنِ المحاسن عن قلو ب لا يَدَيْنِ لها بجُنْدِك
نظرتْ إليكَ عن الفُتو رِ ، وما اتَّقَتْ سَطَواتِ حَدِّك
أعلى رِواياتِ القَنَا ما كان نِسْبتُه لقَدِّك
نال العواذلُ جهدَهم . وسمعْتَ منهم فوق جهْدك
نقلوا إليكَ مقالةً ما كان أَكْثَرُها لعبدك

قسمًا بما حمّلتنى فحملتُ من وَجْدِى وصَدِّك
ما بى السهامُ الكُثْرُ من جَفْنَيْكَ ، لكنْ سهمُ بُعدِك

وقال :

مُضْنَاك جفاهُ مَرْقَدُه وبكاه ورَحْمَ عُوَّدُهْ
حيرانُ القلبِ مُعَذَّبُهُ مَقْروحُ الجَفْنِ مُسهَّدُه
أودَى حَرَفًا إلا رَمَقًا يُبقيه عليك وتُنْفِدُهُ
يستهوى الوُرْق تأوُّهه ويُذيب الصخرَ تَنهُّدُهُ
ويُناجى النجمَ ويُتعبه ويُقيم الليلَ ويُقْعِدُهُ
ويُعلم كلَّ مُطَوَّقةٍ شَجَنًا فى اللوحِ تُرَدِّدُهُ
كم مدّ لِطَيْفِكَ من شَرَكٍ وتأدَّب لا يتصيَّدُهُ
فعساك بغُمْضٍ مُسعِفهُ ولعلّ خيالَك مُسعِدُهُ
الحسنُ ، حَلَفْتُ بيُوسُفِهِ (والسُّورَةِ) إنك مُفرَدُهُ
قد وَدَّ جمالَك أو قَبَساً حوراءُ الخُلْدِ وأمْرَدُه
وتمنّت كلٌّ(١) مُقطَّعةٍ يَدَها لو تُبْعَثُ تَشهدُهُ
جَحَدَتْ عَيْنَاك زَكِيٌّ دَمِى أكذلك خدُّك يَجْحَدُه؟
قد عزّ شُهودِى إذ رمَتا فأشَرْتُ لخدِّك أشْهِدُه
وهَممتُ بجيدِك أشرَكُه فأبَى ، واستكبر أصْيَدُه
وهززْتُ قَوَامَك أعْطِفهُ فنَبا ، وتمنَّع أمْلَدُه
سببٌ لرِضاك أمَهِّده ما بالُ الخصْرِ يُعَقِّدُه ؟

---

١ ــ يعنى بكل مقطعة يدها الخ .. صواحبات يوسف الصديق اللواتى ورد ذكرهن فى السورة

بيني فى الحبُّ وبينَك ما لا يَقدِرُ واشٍ يُفْسِدُه
ما بالُ العاذِلِ يَفتح لى بابَ السُّلْوانِ وأُوصِدُه ؟
ويقول : تكاد تُجَنُّ به فأقول : وأُوثِكُ أعْبُدُه
مَوْلاىَ ورُوحِى فى يَدِه قد ضَيَّعها سَلِمتْ يَدُه
ناقوسُ القلبِ يَدُقُّ لهُ وحنايا الأَضْلُعِ مَعْبَدُه
قسماً بثنايا لؤلؤها قَسم الياقوت مُنَضَّدُه
ورُضابٍ يُوعَدُ كَوْثَرُهُ مَقتولُ العِشْقِ ومُشْهَدُه
وبخالٍ كاد يُحَجُّ له لو كان يُقَبَّل أَسْوَدُه
وقَوامٍ يَرْوِى الغُصْنُ له نَسَبًا ، والرُّمْحُ يُفَنِّدُه
وبخَصْرٍ أَوْهَنَ مِنْ جَلَدِى وعَوَادِى الهجر تُبِدُّه
ماخُنْتُ هواكَ ، ولاخطرَتْ سَلْوَى بالقلب تُبَرِّدُه

وقال :

بالله يانَسَماتِ النيل فى السَّحَرِ هل عندَكُنَّ عن الأَحباب مِنْ خبَر؟
عرفتكُنَّ بعَرْفٍ لا أُكَيِّفُه لا فى الغَوَالى ، ولا فى النَّوْرِ والزَّهَر
من بعض ماسح الحسنُ الوجوهَ به بينَ الجبينِ : وبينَ الفَرْقِ والشَّعَر
فهل عَلِقْتُنَّ أثناء السُّرَى أَرَجًا من الغدائر ، أو طيبا من الطُّرَر ؟
هِجْتُنَّ لى لَوْعةً فى القلبِ كامنةً والجُرْحُ إنْ تعْتَرِضْه نَسْمَةٌ يَثُر
ذكرتُ مصرَ ، ومَنْ أهوى ، ومجلسَنا على الجزيرة بين الجسر والنَّهَر
واليومُ أَشْيَبُ ، والآفاقُ مُذْهَبَةٌ والشمسُ مُصْفرَّةٌ تجرى لمُنْحَدَر
والنخلُ مُتَّشِحٌ بالغيم ، تحسبُهُ هِيفَ العرائسِ فى بيضٍ من الأُزُر
وما شجانىَ إلَّا صوتُ ساقيةٍ تستقبل الليلَ بين النَّوْح والعَبَر

لم يترك الوجدُ منها غيرَ أضْلُعِها ... وغيرَ دَمعٍ كصَوْب الغَيْثِ مُنْهَمِر
بخيلة بِمآقيها . فلو سُئلتْ ... جَفْنًا بُعين أخا الأشواقِ لم تُعِر
فى ليلة من ليالى الدهر طَيِّبَةٍ ... محا بها كلَّ ذنبٍ غيرِ مُغْتَفَر
عَفَّتْ . وعفَّ الهوى فيها ، وفاز بها ... عَفُّ الإشارةِ ، والألفاظِ ، والنظر
بتْنَا ، وباتَتْ حَناناً حولَنا ورِضًا ... ثلاثةٌ بين سمْعِ الحبِّ والبصر
لا أكذِبُ اللهَ ، كان النجمُ رابعَنا ... لو يُذْكرُ النجمُ بعد البدر فى خبر
وأنصفَتْنا ، فظُلْمٌ أن نُجازِيَها ... شكوى من الطول . أو شكوى من القِصَر
دَعْ بعد رِيقَةِ مَنْ هَوَى ومَنْطِقِه ... ماقيل فى الكأْس ، أوماقيل فى الوتر
ولا تُبالِ بكنزٍ بعد مَبْنِمِه ... أغلى اليواقيت ما أُعْطِيتَ والدُّرَر
ولم يَرُعْنِى إلَّا قولُ عاذِلةٍ ... ما بالُ أحمدَ لم يَحلُمْ ولم يَقِر؟
هلا ترفَّع عن لَهْوٍ وعن لَعِبٍ ؟ ... إن الصغائرَ تُغْرِى النفسَ بالصَّغَر
فقلتُ : للمجد أشعارى مُسَيَّرةٌ ... وفى غوانى العُلا — لافى المَها — وَطَرى
مصرُ العزيزةُ ، مالِى لا أودِّعُها ... وداعَ مُحتفِظٍ بالعهد مُدَّكِرِ
خلَّفْتُ فيها القَطا مابين ذى زَغَبٍ ... وذى تمائمَ لم ينهض ولم يَطِرِ
أسلمتُهم لعيون الله تحرسُهم ... وأسلمونى لظلِّ الله فى البشر

وقال .

عَرضوا الأمانَ على الخواطرْ ... واستعرضوا السُّمْرَ الخواطرِ(١)
فوقفتُ فى حَذَرٍ ، ويأْ ... بَى القلبُ إلا أن يُخاطِر

---

١ — السمر : الرماح . والخواطر : المهتزات ، يقال : خطر الرمح اذا اهتز ، وهى هنا كناية عن القدود

يا قلب شأنك والهوى هذى الغصونُ وأنت طائر
إن التى صادتْك تسـ ـمى بالقلوب لها النواظر
يا ثغرَها ، أمسيتُ كالـ ـغوّاص ، أحْلُم بالجواهر
يالحظَها ، مَنْ أمُّها ؟ أو مَنْ أبوها فى الجآذِر ؟
يا شعرَها ، لا تَسْعَ فى هتكى ؛ فشأنُ الليلِ ساتر
يا قَدَّها ، حتّام تغـ ـدو عاذِلاً وتروح جائر ؟
وبأىِّ ذنبٍ قد طعنـ ـتَ حَشايَ يا قدَّ الكبائر ؟

وقال :

فى ذى الجفونِ صوارمُ الأقدار راعى البريّةَ يا رَعاكِ البارى
وكفى الحياةُ لنا حوادثَ ، فافْتِنى مَلأَ النجومِ وعالَمَ الأقمار
ما أنتِ فى هٰذى الحلى إنْسِيَّة إنْ أنتِ إلا الشمسُ فى الأنوار
زهراء بالأُفُق الذى من دونه وثْبُ النُّهى ، وتطاوُلُ الأفكار
تتهتّكُ الألبابُ خَلْفَ حجابها مهما طلَعتِ ، فكيف بالأبصار ؟
يازينة الإصباحِ والإمساء ، بل يارَوْنَقَ الآصال والأسحار
ماذا تحاول من تنائينا النَّوى ؟ أنتِ الدُّنى وأنا الخيالُ السارى
ألقى الضُّحى ألقاكِ ، ثم من الدّجى سُبُلٌ إليك خَفيَّةُ الأغوار
وإذا أنِسْتُ بوحدتى فلأنّها سبحى إليكِ ، وسُلَّمِى ، ومَنارى
إيهٍ زمانى فى الهوى وزمانَها ما كنتما إلا النَّميرَ الجارى
مُتسَلْسلا بين الضبابة والصّبا مُتَرقرِقاً بمسارحِ الأوْطار
نظر الفراقُ إليكما ، فطواكما إن الفراق جَهَنَّمُ الأقدار

وقال :

لك أن تلومَ ، ولى من الأعذار ... أن الهوى قَدَرٌ من الأقدار
ماكنتُ أسْلَمُ للعيون سلامتى ... وأبيحُ حادثةَ الغرام وَقارى
وطَرٌ تَعَلَّقَه الفؤادُ وينقضى ... والنفسُ ماضيةٌ مع الأوطار
ياقلبُ ،شأنُك ،لاأمُدُّكَ فى الهوى ... أبدا ، ولا أدعوك للإقصار
أمرى وأمرُك فى الهوى بيدِ الهوى ... لو أنه بيَدِى فككْتُ إسارى
جارِ الشبيبةَ ، وانتفع بجوارها ... قبلَ المشيب ، فما له من جار
مَثَلُ الحياة تُحَبّ فى عهد الصِّبا ... مَثَلُ الرياضِ تحَبُّ فى آذار(١)
أبدًا (فروقُ) من البلاد هى المنى ... ومناىَ منها ظبيةٌ بسِوار
ممنوعةٌ إلا الجمالَ بأسْره ... محجوبةٌ إلّا عن الأنظار
خُطُواتُها التقوى ، فلا مَزْهُوّةٌ ... تمشى الدّلال ، ولا بذات نِفار
مرّتْ بنا فوق الخليج ، فأسفرتْ ... عن جَنّة ، وتلفتت عن نار
فى نِسْوَةٍ يُورِدْنَ مَنْ شِئْن الهوى ... نظرا ، ولا ينظرْن فى الإصدار
عارضتُهنّ ، وبين قلبى والهوى ... أمرٌ أحاول كتْمَه وأُدارى

وقال :

أتغلبنّى ذاتَ الدلالِ على صبرى؟(٢) ... إذن أنا أولى بالقناع وبالخِدْر
تقِيةٌ ، ولى حِلمٌ إذا ما ركِبتُه ... رددتُ به أمرَ الغرامِ إلى أمرى
وما دَفْعِىَ اللُّوّامَ فيها سآمةٌ ... ولكنّ نفسَ الحرّ أزجرُ للحرّ
وليلٍ كأنّ الحشْرَ مطلعُ فجرِه ... تراءتْ دموعى فيه سابقةَ الفجر

---

١ — آذار : شهر مارس وهو أول فصل الربيع ٢ — هذا الشطر من المطلع للمرحوم محمود سامى باشا البارودى ، نظمه ثم أمسكه ، فأكمله الشاعر واضاف اليه هذه الابيات .

سرَيْتُ به طيفًا إلى مَنْ أُحِبُّها ... وهل بالسُّها فى حُلَّةِ السُّقمِ من نُكر
طرقْتُ حِماها بعدَ ما هبَّ أهلُها ... أخوضُ غِمارَ الظنِّ والنظرِ الشزْر
فما راعنى إلَّا نساءٌ لِقينَنى ... يبالِغن فى زَجْرى ، ويُسرفن فى نَهرى
بقلْن لمن أهوى وآنَسْنَ رِيبةً : ... نرى حالةً بين الصَّبابة والسِّحر
إليكنّ جاراتِ الحمى عن ملامَتى ... وذَرْنَ قضاء الله فى خَلْقه يجرى
وأخْرَجنى دمعى ، فلما زجرتُه ... رددتُ قلوبَ العاذِلاتِ إلى العُذْر
فساءلْنها : ماالسمى ؟ فسمَّتْ ، فَجئْننى ... يَقُلْنَ : أماناً للعذارى من الشِّعر
فقلتُ : أخافُ اللهَ فِيكُنَّ ، إننى ... وجدتُ مقالَ الهُجْرِ يُزْرَى بأن يُزْرِى
أخذتُ بحَظٍّ من هواها وبينِها ... ومَنْ يَهْوَ يَعْدِلْ فى الوصال وفى الهجر
إذا لم يكن للمرء عن عيشةٍ غِنىً ... فلا بدَّ من يُسر ، ولا بد من عُسر
ومن يَخبُرِ الدنيا ويشربْ بكأسِها ... يجدْ مُرَّها فى الحلو ، والحلوَ فى المرّ
ومن كان يغزو بالتِّعِلَّات فقرَه ... فإنى وجدتُ الكَدَّ أقتلَ للفقر
ومن يستعنْ فى أمرِه غيرَ نفسه ... يَخُنْه الرفيقُ العون فى المسلك الوعْر
ومن لم يُقِم ستراً على عيبِ غيره ... يعِش مستباحَ العِرْضِ ، مُنهَتِكَ السِّتر
ومن لم يُجمِّل بالتواضع فضلَه ... يَبِنْ فضلُه عنه ، ويَعْطَلْ من الفخر

وقال :

قلبٌ يذوب ، ومدمعٌ يجرى ... ياليلُ ، هل خبرٌ عن الفجر
حالت نجومُك دون مطلعه ... لا تبتغى حِوَلاً ، ولا يسرى
وتطاولَتْ جُنْحًا ، فخُيِّل لى ... أن الصباحَ رهينةُ الحشر
أرسيتَها وملكتَ مذهبَها ... بدُجُنَّةٍ كسريرة الدّهر
ظُلَمٌ تَجىءُ بها وتُرجعُها ... والموجُ منقلبٌ إلى البحر

ليت الكرى (موسى) فيَوردَها (فِرْعَون) هذا السُّهدِ والفِكر

* * *

ولقد أقول لهاتفي سحرًا يَبكى لغيرِ نَوًى ولا أَسْر
والروضُ أخرسُ غيرَ وسوسةٍ خَفَقَ الغصونِ ، وجِرْيَةِ الغُدْر
والطيرُ مِلءُ الأَيْكِ ، أرؤُسُها مثلُ الثمار بدت من السِّدْر
ألقى الجناحَ ، وذاءَ بالصدر ورَنا بصَفْرَاوَيْن كالتِّبر
كلَم السهادُ بيوتَ هدْبِهما وأقام بين رُسومِها الحُمْر
تهدَا جوانِحه ، فتحسبهُ من صَنْعة الأيدى أو السِّحْر
وتثور ، فهْوَ على الغصون يَدٌ عَلِقتْ أناملُها من الجمر

* * *

يا طيرُ ، بُثَّ أخاك ما يَجرى إنّا كِلانا مَوْضِعُ السِّرّ
بى مثلُ مابِك من جَوًى ونوًى أنا فى الأنام ، وأنتَ فى القُمْر(١)
عَبث الغرامُ بنا وروّعنا أنا بالمَلام ، وأنت بالزَّجْر
يا طيرُ ، لا تجزَعْ لحادثةٍ كلُّ النفوسِ رهائنُ الضرّ
فيما دهاك لو اطّلعتَ رَضًى شرٌّ أخفُّ عليك من شَرّ
ياطيرُ ، كَدْرُ العيشِ لو تدرى فى صفوه ، والصفْوُ فى الكَدْر
وإذا الأُمورُ استُصعِبتْ صَعُبَتْ ويهون ما هوّنتَ من أمْر
يا طيرُ ، لو لُذْنا بمصْطَبَرٍ فلعلّ رُوحَ اللهِ فى الصَّبْر
وعسى الأمالُ العذابُ لنا عونٌ على السلوان والهجر

---

١ ـ القمر : جمع قمرية وهى ضرب من الحمام .

وقال :

بَدَأَ الطيفُ بالجميلِ وزَارا ... يا رسولَ الرِّضى وُقِيتَ العِثارا
خذ من الجفن والفؤاد سبيلا ... وتَيَمَّمْ من السُّوَيْداء دارا
أنت إن بتَّ فى الجفون فأهلٌ ... عادةُ النورِ ينزل الأبصارا
زار ، والحربُ بين جفنى ونومى ... قد أعدّ الدُّجى لها أوزارا
حَسَنٌ ياخيالُ صُنْعُك عندى ... أجملُ الصنعِ ما يُصيبُ افتقارا
ما لربِّ الجمالِ جارٌ على القلـ ... ـبِ ، كأن لم يكن له القلبُ جارا ؟
وأرَى القلبَ كلما ساء يَجزِ ... ه عن الذنب رقّةً واعتذارا
أجريحُ الغرامِ يطلب عطفاً ... وجريحُ الأنام يطلب ثارا ؟
أيها العاذلون ، نِمتم ، ورام السُّـ ... ـهدُ من مقلتىَّ أمراً ، فصارا
آفةُ النُّصحِ أن يكونَ لَجاجاً ... وأذى النصحِ أن يكون جِهارا
ساءلتنى عن النهار جفونى ... رحِمَ اللهُ ياجفونى النهارا
قلن : نَبكيه؟ قلت : هاتى دموعاً ... قلْن :صبراً ،فقلت:هاتى اصطبارا
يا ليالىَّ ، لم أجِدْكِ طوالاً ... بعد ليلى ، ولم أجدْك قِصارا
إن مَنْ يحملُ الخطوبَ كِباراً ... لا يُبالى بحملهن صِغارا
لم نُفِقْ منك يازمانُ فنشكو ... مُدْمنُ الخمر لا يُحِس الخُمارا
فاصرف الكأسَ مُشفِقًا ، أوفواصِلْ ... خرج الرشدُ عن أكُفِّ السُّكارى

وقال :

أبثُّكَ وَجْدى ياحَمامُ ، وأودِعُ ... فإنك دونَ الطَّيرِ للسرِّ مَوْضِعُ
وأنت مُعينُ العاشقين على الهوى ... تئِنُّ فنُصْغِى ، أو تحنُّ فنَسْمَع
أراك يَمانِيًّا ، ومصرُ خميلتى ... كلانا غريبٌ ، نازحُ الدارِ ، مُوجَع

هما اثنان : دانٍ فى التغرُّب آمنٌ ... ونائٍ على قربِ الديار مُرَوع
ومن عجبِ الأشياءِ أبكى وأشتكى ... وأنت تُغَنِّى فى الغصونِ وتَسْجَع
لعلك تُخفى الوجدَ ، أو تكتمُ الجَوى ... فقد تُمْسِك العينان والقلبُ يَدْمَع
شجاكَ صِغارٌ كالجُمانِ ومَوْطِنٌ ... نَدٍ مثلُ أيامِ الحَدَاثَةِ مُمْرِعُ
إذا كان فى الآجال طولٌ وفسحةٌ ... فما البينُ إلا حادثٌ مُتَوَقَّع
وما الأهلُ والأحبابُ إلَّا لآلِئٌ ... تُفرِّقُها الأيامُ ، والسِّمْطُ يجمع
أمُنكِرَتى ، قلبى دليل وشاهدى ... فلا تُنكريه ، فهْو عندَكِ مُودَع
أسيرُكِ ، لو يُفْدَى فَلَتْه بجمعها ... جوانحُ فى شوقٍ إليه وأضْلُع
رماه إليكِ الدهرُ من حالِقِ الهوى ... يُذالُ على سفح الهوانِ ويُوضَع
ومن عجبٍ ؛ يأسَى إذا قلت : مُتْعَبٌ ... ويطرَبُ إن قلت : الأسيرُ المُمنَّع
لقيتِ عليماً بالغوانى ، وإنما ... هو القلبُ ، كالإنسانِ يُغرَى ويُخْدَع
وأعلم أن الغدرَ فى الناس شائعٌ ... وأن خليلَ الغانياتِ مُضيَّع
وأن نِزاعَ الرُّشدِ والغَىِّ حالةٌ ... تجىءُ بأحلامِ الرِّجال وتَرْجع
وأنَّ أمانىَّ النفوسِ قواتلٌ ... وكثرتُها من كثرة الزَّهرِ أصْرَع
وأن دُعاةَ الخير والحقِّ حربُهم ... زمانٌ بهم من عهد سُقْراطَ مُولَع

وقال :

تأْتِى الدَّلالَ سجيَّةً وتصنُّعا ... وأراك فِى حالَىْ دَلالِكَ مُبْدِعا
تِهْ كيف شئت ؛ فما الجمالُ بحاكم ... حتى يُطاع على الدلال ويُسْمَعا
لك أن يُرَوِّعَك الوشاةُ من الهوى ... وعلىّ أن أهوى الغزالَ مُرَوَّعا
قالوا : لقد سَمع الغزالُ لمَن وشَى ... وأقول : ما سَمع الغزالُ ، ولا وعَى

أنا مَنْ يحبُّك فى نِفارك مؤنساً ... ويُحبُّ تِيهَكَ فى نِفارك مطمعا
قدّمتُ بين يدىَّ أيامَ الهوى ... وجعلتُها أملاً عليكَ مُضيَّعا
وصدقتُ فى حبِّى ، فلست مُبالياً ... أن أمْنَحَ الدنيا به أو أُمْنَعا
يامَنْ جرى من مُقلتيْهِ إلى الهوى ... صِرفاً ، ودار بوَجنتيْه مُشَعْشَعاً (١)
اللهَ فى كبدٍ سَقَيْتَ بأربَع ... لو صبَّحوا (رضْوى) بها لتصدّعا (٢)

وقال :

رُدَّت الروحُ على المُضْنَى معكْ ... أحسنُ الأيام يومٌ أرجَعَك
مَرَّ من بُعدِك ما رَوَّعَنى ... أتُرى يا حُلْوُ بُعدى روّعك ؟
كم شكوتُ البيْن بالليل إلى ... مَطلع الفجر عسى أن يُطْلِعَك
وبعثتُ الشوقَ فى ريح الصَّبا ... فشكا الحُرقةَ مما استودَعك
يانعيمى وعذابى فى الهوى ... بعذولى فى الهوى ما جَمّعَك ؟
أنت روحى ، ظَلَم الواشى الذى ... زَعَم القلبَ سَلا ، أو ضيَّعَك
مَوْقِعى عندَك لا أعلمُه ... آهِ لو تعلمُ عندى موقِعَك !!
أرْجَفوا أنك شاكٍ مُوجَعٌ ... ليت لى فوق الضَّنا ما أوجعك
نامت الأعينُ ، إلا مُقلة ... تسكُب الدمعَ ، وترعى مضجَعك

وقال مشطِّرًا حيث اجتمع بعض الأُدباء فى مجلس ، فذكر أحدهم بيتاً للبَهاء زهير وهو :

يقول : أُناسٌ : لو وصفت لنا الهوى
فوالله ما أدرى الهوى كيف يوصف ؟

---

١ ــ المشعشع : الشراب يمزج بالماء ٢ ــ رضوى : اسم جبل .

فقال :

يقول أُناسٌ : لو وصفت لنا الهوى
لعل الذى لا يعرفُ الحبَّ يَعرف
فقلت : لقد ذُقْتُ الهوى ، ثم ذُقْتُهُ
فوالله ما أدرى الهوى كيف يوصف ؟

وقال :

علّموه كيفَ يجفو فجفا ظالمٌ لاقيْتُ منه ماكفى
مسرفٌ فى هجره ما ينتهى أتُراهم علّموه السَّرَفا ؟
جعلوا ذنبى لديْه سَهَرى ليتَ بَدْرِى إذ دَرَى الذنبَ عفا
عرف الناسُ حقوقى عنده وغريمى ما درى . ما عَرفا
صحّ لى فى العمرِ منه موعِدٌ ثم ما صدّقتُ حتى أخلفا
ويرى لى الصبرَ قلبٌ مادَرى أنّ ما كلفنى ما كلفا
مُستهامٌ فى هواه مُدْنَفٌ يترضّى مستهاماً مُدْنَفًا
يا خليلىّ . صِفا لى حيلة وأرى الحيلةَ أن لا تَصِفا
أنا لو ناديتُه فى ذِلّةٍ هى ذى روحى فخذها ؛ ما احتفى

وقال :

جئْتَنَا بالشعورِ والأحداقِ وقسمن الحظوظَ فى العشاقِ
وهَزَزْنَ القَنا قُدوداً ، فأبلى كل قلبٍ مُستضعَفٍ خَفّاقِ
حبذا القسمُ فى المحبين قِسمى لو يلاقون فى الهوى ما ألاق
حيلتى فى الهوى وما أتمنى حيلة الأذكياء فى الأرزاق

لو يُجازَى المحبُّ عن فَرْطِ شوْقٍ لَجُزيتُ الكثيرَ عن أشواقى .
وفتاةٍ ما زادها فى غريبِ الـ ـحسن إلا غرائب الأخلاق
ذقت منها حلواً ومراً ، وكانت لذّةُ العشق فى اختلاف المذَاق
ضرَبتْ موعداً ، فلما التقينا جانبتنى تقول : فِيمَ التلاقى ؟
قلت : ماهكذا المواثيقُ ، قالت : ليس للغانياتِ من ميثاق
عَطَفتْها نَحافتى . وشجاها شافعٌ بادرٌ من الآماق
فأرتنى الهوى ، وقالت : خَشِينا والهوى شُعبةٌ من الإشفاق
يافتاةَ العراقِ ، أكتمُ مَنْ أنـ ـتِ ، وأكنى عن حبكم بالعراق
لى قوافٍ تَعِفُّ فى الحبّ إلا عنكِ ، سارت جوائبَ الآفاق
لا تَمنَّى الزمانُ منها مزيداً إن تمنيتُ أن تفكّى وَثاقى
حمّلينى فى الحبِّ ما شئتِ إلّا حادثَ الصدّ ، أو بلاء الفراق
واسمحى بالعناق إن رضى الدّلُّ وسامحت فانياً فى العناق

وقال :

مُضْنًى وليس به حَراكْ لكنّ يخِفُّ إذا رآكْ
ويَميل من طربٍ إذا ما مِلْتَ ياغصنَ الأراكْ
إن الجمالَ كساك من ورَق المحاسن ما كساكْ
ونبَتّ بين جوانحى والقلبُ من دَمِه سقاكْ
حُلوَ الوعودِ ، متى وفاكْ ؟ أتُراكَ مُنْجزَها تُراكْ ؟
من كلِّ لفظٍ لو أذِنـ ـتَ لأجله قبّلتُ فاكْ
أخذَ الحلاوةَ عن ثَنا ياكِ العِذَاب ، وعن لَمَاكْ

ظلماً أقول : جَنَى الهوى لم يجْنِ إلا مُقْلتاك
غدَتا منيَّةَ مَنْ رَأَيْـ ـتَ ، ورُحْتَ مُنْيَةَ منْ رآك

وقال :

فدَتْكَ الجوانحُ من نازلِ وأهلاً بطيْفكَ من واصِل
بَذلت له الجفنَ دون الكرى ومَنْ بالكرى للشجِي الباذِل ؟
وقلت : أراك برغم العذول فنابَ السُّهادُ عن العاذل
فوَيْحَ المتيَّمِ !! حتّى الخيالُ إذا زارَ لم يَخْلُ من حائل
يَحِنُّ إليك ضلوعٌ عَفَتْ من البيْن فى جَسَدٍ ناحل
وقلبٌ جَوٍ عندها خافقٌ تعَلَّقَ بالسَّنَدِ المائل
ومِنْ عَبَثِ العشقِ بالعاشقين حنينُ القتيل إلى القاتل
غفلتُ عن الكأْسِ حتّى طغت ولى أدبٌ ليس بالغافل .
وشَفَّتْ ، وماشفَّ منى الضميرُ وأين الجماد من العاقل ؟
يَظَلُّ نَدِيَ يُسْقَى بها ويشربُ من خُلُقى الفاضل
أبدّدُها كرماً كلما بدَتْ لىَ كالذهب السائل

وقال :

لامَ فيكم عذولُه وأطالا كمْ إلى كمْ يُعالج العُذّالا ؟
كلّ يوم لهم أحاديثُ لَوْمٍ بدأتْ راحةً ، وعادتَ مَلالا
بعثت ذكرَكم ، فجاءتِ خِفافاً وانقضت هجرَكم ، فراحت ثقالا
أيها المُنكِرُ الغرامَ علينا حَسْبُكَ اللهُ ، قد جَحدت الجمالا
آيةُ الحسن للقلوب تجلّت كيف لاتعشق العيون امتثالا ؟

لكَ نُصحى ، وماعليكَ جدالى آفةُ النصحِ أن يكون جدالا
وهَب الرشدَ أننى أنا أسلو ما من العقل أن تَروم محالا

وقال :

باتَ المَنَّى والدجى يبتلى والبَرْحُ لا وانٍ وما مُنجَلِى
والشُّهْبُ فى كلِّ سبيلٍ له بموقف اللوَّام والعُذَّل .
إذا رعاها ساهيًا ساهرا رَعيْنَهُ بالحَدَق الغُفَّل
ياليلُ ، قد جُرْتَ ، ولم تعدِلِ ما أنت يا أسودُ إلَّا خَلِى
تاللهِ لو حُكِّمْتَ فى الصبح أن تفعل أحجمْتَ فلم تفعل
أوشِمتَ سيفاً فى جيوش الضحى ما كنتَ للأعداء ما أنت لى
أبِيتُ أُسقَى ويُدير الجوى والكأسُ لا تفنى ولا تمتلى
الخَدُّ من دمعى ومن فَيْضه يشرب من عين ومن جَدْول
والشوقُ نارٌ فى رَماد الأسَى والفكرُ يُذكِى ، والحشَا يَصطلى
والقلب قَوّامٌ على أضْلُعى كأنه الناقوسُ فى الهيكل

وقال :

أنا إن بذلتُ الروحَ كيف ألامُ لمّا رمَتْ فأصابَتِ الآرامُ ؟
عَمَدَتْ إلى قلبى بسهمٍ نافذٍ فيه لمحتومِ القضاء سِهام
ياقلبُ ، لا تجزع لحادثة الهوى واصبِر ، فما للحادثاتِ دَوام
عرَفَتْ قلوبُ الناس قبلكَ : ماالجوى؟ وأذاقَها قدرٌ له أحكام
تجرى العقولُ بأهلها ، فإذا جرى كبَتِ العقولُ وزلَّتِ الأحلام
ماكنتُ أعلمُ ـ والحوادثُ جَمَّةٌ ـ أن الحوادثَ مُقْلَةٌ وقَوام

جَنَيا على كبدى وما عرَّضتُها كبدى ، عليكِ من البرىء سلام
ولقد أقولُ لمن يَحُثّ كُئُوسَها قعدتْ كُئُوسُك والهمومُ قِيام
لم تجرِ بين جوانحى إلّا كما جرَتِ الدِنانُّ بها وسال الجَام

وقال :

هل تَيَّمَ البانُ فؤادَ الحَمام فناح فاستبكى جفونَ الغمام ؟
أم شَفَّه ما شفَّنى فانثنى مُبَلْبَلَ البالِ شريدَ المنام ؟
يَهُزُّه الأَيكُ إلى إلفه هَزَّ الفِراشِ المُدْنَفَ المستهام
وتُوقِدُ الذكرى بأحشائه جمراً من الشوق حثيث الضِّرام
كذلك العاشقُ عند الدجى يا للهوى مما يثير الظلام !
له إذا هبَّ الجوى صَرْعةٌ من دونها السحرُ وفعلُ المدام
ياعادِىَ البينِ ، كفى قسوةً روّعتَ حتى مُهجات الحَمام
تلك قلوب الطيرِ حَمَّلْتَها ما ضعفتْ عنه قلوبُ الأَنام
لا ضرب المقدورُ أحبابَنا ولا أعادينا بهذا الحُسام
يا زمنَ الوصل ، لأَنت المنى وللمُنَى عِقْد ، وأنت النظام
لله عيشٌ لى وعيشٌ لها كنتَ به سمحاً رخِىَّ الزِّمام
وأُنْسُ أوقاتٍ ظفرنا بها فى غفلة الأيام ، لو دُمْتَ دام
لكنه الدهرُ قليلُ الجَدَى مُضيعُ العهدِ ، لئيمُ الذِّمام
لو سامَحَتْنا فى السلام النَّوَى لطال حتى الحشرِ ذاك السلام
ولانْقضَى العمران فى وقفة نسلو بها الغمضَ ونسلو الطعام
قالت وقد كاد يَميد الثرى من هَدَّةِ الصبر وهَوْلِ المقام

وغابت الأعينُ فى دمعها ونالت الألسن إلّا الكلام :
يابينُ ، ولّى جَلدى فاتَّئِدْ ويا زمانى ، بعضُ هذا حرام
فقلت والصبرُ يجارى الأسى واللبُّ مأخوذٌ ، ودمعى انسجام :
إن كان لى عندك هذا الهوى بِأَيِّمَا قلت كتمت الغرام

وقال :

صريعُ جفنيك ينفى عنهما التهما فما رميت ولكن القضاء رمى
اللهَ فى روح صَبٍّ يَغشيان بها مَوارِدَ الحتْفِ لم ينقل لها قدما
وكُفَّ عن قلبه المعمودِ نَبْلَهما أليس عهدُك فيه حبَّةٌ ودما ؟
سلوا غزالاً غزا قلبى بحاجبه أما كفى السيفُ حتى جرّد القلما؟
واستخبروه : إلى كم نارُ جَفْوَتِه؟ أما كفى ما جنت نارُ الخدودِ أما؟
واستوهبوه يداً فى العمر واحدةً ومَهِّدا عُذْرَه عنى إذا حرما
ولا ترَوْا منه ظلماً أن يُضيِّعنى من ضيَّع العرَضَ المملوكَ ماظلما

وقال :

ذاد الكرى عن مقلتيك حمامُ لبّاه شوقٌ ساهرٌ وغرام
حيزانُ ، مشبوبُ المضاجعِ ، ليلُه حربٌ ، وليلُ النائمين سلام
بين الدّجي لكما وعاديةِ الدّجى مهجٌ تُؤلِّفُ بينها الأسقام
تتعاونان ، وللتعاون أُمّةٌ لا الدهرُ يخذلها ولا الأيام
يا أيها الطيرُ الكثيرُ سميرُه هل ريشةٌ لجناحه فيُقام ؟
عانقتَ أغصاناً ، وعانقتُ الجوى وشكوتَ ، والشكوى علىَّ حرام
أمُحَرَّمَ الأجفانِ إدناءُ الكرى يَهْنِيكَ ما حرُمتْ حين تنام

حاوَلْن منه إلى خيالك سُلَّما لو سامَحَتْ بخيالك الأَحلام
فأْذَنْ لِطَيْفِك أن يُلِمَّ مُجامِلاً ومُؤمِّلٌ من طيفك الإلمام

وقال :

شغلَتْه أشغالٌ عن الآرام وقضى اللُّبانةَ من هوًى وغرامِ
ومَضَى يجرُّ على الهوى أذيالَه ويلومُ حاملَه مع اللُّوّام
ويذُمُّ عهدَ الغانياتِ كذاقِهِ بعد الشِفاءِ يذمُّ عهدَ سَقام
لا تعجلَنَّ وفى الشباب بقيَّةٌ إن الشبابَ مَزَلَّة الأَحلام
كانت إنابتُك المُرِيبَةُ سَلْوة نسجَتْ على جُرحٍ بجنبك دامى
إن الذى جعل القلوبَ أعِنَّةً قاد الشبيبةَ للهوى بزِمام
يا قلبَ أحمدَ — والسهامُ شديدةٌ — ماذا لقِيتَ من الغزال الرامى؟
تَدْرى، وتسألنى تجاهلَ عارفٍ: أرَنَا بعينٍ أم رمَى بسهام؟
مازلتَ تركَبُ كلَّ صعبٍ فى الهوى
حتى ركِبْتَ إلى هواك حِمامى
وإذا القلوبُ استرسلت فى غَيِّها كانت بليَّتُها على الأجسام

وقال :

به سِحْرٌ يُتَيِّمُهُ كلا جَفْنَيْكَ يَعْلَمُهُ
هما كادا لمهجتهِ ومنكَ الكيدُ مُعظَمه
تعذِّبه بسحرِهما وتُوجِدُه ، وتُعدِمه
فلا هَارُوتَ رَقَّ له ولا مَارُوتَ يَرْحَمُه
وتَظلِمُه فلا يشكو إلى من ليس يَظلِمه
أسرَّ ، فماتَ كتماناً وباح ، فخانه فمُه

فويْحَ المُدنَفِ المعمـــــودِ، حتّى البثُّ يُحرَمه
طويلُ الليل ، ترحمُه هواتِفُه وأنجُمه
إذا جدّ الغرَامُ به جرَى فى دَمعِه دمُه
يكاد لطول صحبتِه بعادِى السُّقْم يُسقمُه
ثَنَى الأعنَاقَ عُوّدُه وألقى العذرَ لُوّمُه
قضى عشقًا سوى رَمَقٍ إليكَ غدا يقدّمه
عسى إن قيل: ماتَ هوًى تقول : اللهُ يرحمُه
فتحيا فى مَراقِدها بلفظٍ منكَ أعْظُمُه

* * *

بروحى البانُ يومَ رَنَا عن المقدورِ أعْصَمُه
ويومَ طُعِنْتُ من غُصُن مُعَلِّمُه مُنَعِّمُه
قضاءُ اللهِ نظرتُه ولطفُ اللهِ مَبْسِمُه
رمى، فاستهدفَتْ كبدى بِىَ الرّامى وأسْهمُه
له من أضلُعى قاعٌ ومن عَجَبٍ يسلِّمه
ومن قلبى وحَبَّتِه كِناسٌ باتَ يَهْدِمُه
غزالٌ فى يديه التِّـ ـهُ بينَ الغِيدِ يَقْسِمُه

وقال :

مَنْ صَوَّرَ السِّحْرَ المُبينَ عيونا وأحلّه حَدقاً لها وجفونا ؟
نَظرتْ ،فحُلْتُ بجانبى ،فاستهدفَتْ كبدى ، وكان فوادىَ المغْبونا
ورَمَتْ بسهم جال فيه جَوْلَةً حتى استقرّ ، فَرَنَّ فيه رَنينا
فلَمَسْتُ صدرى مُوجساً ومُرَوِّعاً ولَمَستُ جَنْبِى مُشْفِقا وضَنِينا

يا قلبُ ، إن من البَواتر أعْيُنًا ... سُودًا ، وإنّ من الجآذِر عِينا
لا تأْخذنّ من الأُمور بظاهرٍ ... إنّ الظواهرَ تَخْدعُ الرائينا
فلكم رَجَعتُ من الأَمِنّة سالماً ... وصدرْتُ عن هِيفِ القدودِ طَعِينا
وخَميلةٍ فوق الجزيرة مَسَّها ... ذَهَبُ الأَصيل حواشيًا ومُتونا
كالتِّبر أُفْقًا ، والزَّبرْجَدِ ربْوَة ... والمِسْكِ تُرْبًا ، واللُّجَيْن معِينا
وقف الحيا من دونها مُسْتَأْذِناً ... ومشى النسيمُ بظلّها مأْذونا
وجرى عليها النيلُ يَقْذِفُ فضّة ... نثراً ، ويَكسِر مَرْمَراً مَسْنونا
يُغرى جواريَهُ بها ، فَيجئْنها ... ويُغِيرُهُنّ بها ، فيَسْتَعْلِينا
راع الظلامُ بها أُوانسَ تَرْتَمِى ... مثلَ الظباء من الرُّبَى يَهوِينا
يخطرُن فى ساح القلوب عواليًا ... ويَمِلْنَ فى مَرْأَى العيون غصُونا
عِفْنَ الذيولَ من الحرير وغيره ... وسَحَبْنَ ثَمّ الآسَ والنَّسْرينا
عارضتُهن ولى فؤادٌ عُرْضةٌ ... لهوى الجآذِرِ دانَ فيه ودِينا
فنظرن لا يَدرِين : أَذْهبُ يَسْرَةً ... فيَحِدْنَ عَنّى ، أم أَميلُ يمينا ؟
ونَفَرْنَ من حَوْلى وبينَ حَبائلى ... كالسِّرب صادفَ فى الرَّواح كَمِينا
فجمعتُهن إلى الحديثِ بدأْتُه ... فغضبن ، ثم أعدته فرضينا
وسمعتُ من أهوى تقول لِتِرْبِها : ... أَحْرَى بأَحمدَ أن يكون رزينا(١)
قالت : أَراه عندَ غايةِ وَجْدِه ... فلعلّ ليلى ترحمُ المجنونا

وقال :

أَذْعَنَ للحُسن عَصِىُّ العِنانْ ... وحاولتْ عيناك أَمْراً فكان
يعيش جفناك لبَثُّ المُنَى ... أَو الأَسى فى قلب راجٍ وعان

---

١ — التِّرب بالكسر : ما ولد معك ، وأكثر مايستعمل فى المؤنث ، يقال هذه ترب فلانة اذا كانت على سنها .

يامُسرفاً فى التِّيهِ ماينتهى أخافُ أن يَفْنى علينا الزمان
ويا كثيرَ الدَّلّ فى عِزِّه لاتنس لى عزّى قُبَيْلَ الهَوان
ويا شديدَ العُجْبِ ـ مهلًا ؛ فما مِنْ مُنكرٍ أنك زينُ الحِسان

وقال :

ياحسنَه بين الحِسانْ فى شكله إن قيل : بانْ
كالبدرِ تأخذه العيو نُ وما لهنّ به يَدان
مَلك الجوانحَ والقوا دَ فنى يديه الخافقان
ومناىَ منه نظرةٌ فعسى يُشير الحاجبان
فعَسى يُزَكّى حُسْنَه مَنْ لا لَه فى الحسن ثان
فدعوه يَعْدِلُ أو يَجو رُ ؛ فإنه مَلكَ العِنان
حَقّ الدلالُ لمن له فى كل جارحة مكان

وقال :

ياناعمًا رقدت جُفونُه مُضناكَ لا هَدا شُجونُه
حملَ الهوى لك كلَّه إن لم تُعنْه فَمَنْ يُعِينُه؟
عُدْ مُنْعِمًا ، أو لا تَعُدْ أَوْدَعْتَ سرَّكَ مَنْ يصُونُه
بينى وبينكَ فى الهوى سببٌ سيجمعُنا مَتينه
رشأٌ يُعابُ الساحرو ن وسحرُهم ، إلّا جفونُه
الروحُ مِلْكُ يمينه يَفديه ما مَلَكَتْ يَمِينهُ
ما البانُ إلّا قدُّه لو تَيَّمَتْ قلبًا غصونُه
ويزينُ كلَّ يتيمة فمُه ، وتحسبُهَا تَزينُه
ما العمرُ إلا ليلةٌ كان الصباحَ لها جَبينُه
بات الغرامُ يَدِينُنا فيها كما بتنا نَدينه

بين الرقيب وبيننا وادٍ تُباعدُه حُزونُه
نَغْتابُه ونقول : لا بَقِيَ الرقيبُ ولا عيونُه

وقال :

صحا القلبُ ، إلَّا من خُمارِ أمانى يجاذبُنى فى الغِيدِ رَثَّ عِنانى
حَنانيْكَ قلبى ، هل أعيدُ لك الصِّبا؟ وهل للفَتَى بالمستحيل يَدان ؟
تحنُّ إلى ذاكَ الزمانِ وطيبِه وهل أنتَ إلا من دم وحَنان ؟
إذا لم تصُن عهدًا ، ولم تَرعَ ذمةً ولم تذَّكِرْ إلْفا ؛ فلستَ جَنانى
أتذكر إذ نُعْطِى الصَّبابةَ حقَّها ونشربُ من صرفِ الهوى بدِنان؟
وأنتَ خَفوقٌ ، والحبيبُ مباعدٌ وأنت خفوقٌ ، والحبيبُ مدان ؟
وأيامَ لا آلو رِهاناً مع الهوَى وأنتَ فؤادى عند كل رِهان
لقد كنتُ أشكو من خُفوقِك دائبًا فولَّى ، فيالهفى على الخفقان
سقاكَ التَّصابى بعد ما علَّك الصِّبَا فكيف ترى الكأسين تختلِفان ؟
وما زلتُ فى رَيْعِ الشباب ، وإنما يشيبُ الفتَى فى مصرَ قبلَ أوان
ولا أكذبُ البارى ، بنى اللهُ هيكلى صنيعة إحسانٍ ، ورِقَّ حِسان
أدينُ إذا اقتادَ الجمالُ أزمّتى وأعنو إذا اقتادَ الجميلُ عِنانى

وقال :

اللهَ فى الخلق من صَبٍّ ومن عانِى تفنى القلوبُ ويبقَى قلبُكِ الجانى
صونِى جمالَكِ عنّا إنَّنا بَشَرٌ من التراب ، وهذا الحسنُ روحانى
أو فابتغِى فَلَكا تأْوِينَه مَلَكًا لم يتَّخِذ شَرَكًا فى العالم الفانى
يَنساب فى النور مَشغوفاً بصورته مُنعَّمًا فى بديعاتِ الحُلَى هانى
إذا تسنّم أبدى الكونُ زينتَه وإن تنفّس أهدى طِيبَ رَيْحان

وأشرق من سماء العزِّ مُشْرقةً بمنظَرٍ ضاحكِ اللألاء فَتَّان
عسى تَكُفُّ دموعٌ فيكِ هامِيَةٌ لا تطلعُ الشمسُ والأنداءُ فى آن(١)
يا مَنْ هجرتُ إلى الأوطان رؤيتَها فرُحْتُ أشوقَ مُشتاقٍ لأوطان
أتذكرين حنينى فى الزمان لها وسَكْبِيَ الدّمعَ من تذْكارها قانى؟
وغَبْطِيَ الطيرَ ألقاه أصِيحُ به : ليتَ الكريمَ الذى أعطاك أعطانى؟

وقال :

قلبٌ بوادى الحمى خلَّفْته رَمقًا ماذا صنعْتِ به ياظبيةَ البان ؟
أحنى عليكِ من الكُثبان ، فاتَّخذى عليه مَرْعاكِ من قاعٍ وكُثْبان
غَرَّبْتِه ، فَوَهَى جَنْبى لفُرقته وحَنَّ للنازح المأسورِ جُثْمانى
لا ردّه اللهُ من أسْرٍ ، ومن خَبَلٍ إن كان فى ردّه صَحْوِى وسُلْوانى
دلَّهتِه بعزيزٍ فى مَحاجِره ماضٍ ، له من مُبين السِّحرِ جَفنان
رمى ففضجَّتْ على قلبى جوانحُه وقلن : سهمٌ ، فقال القلبُ :سهمان
ياصورةَ الحُورِ فى جِلبابِ فانِيَةٍ وكوكبَ الصبحِ فى أعطاف إنسان
مُرى عَصِيَّ الكرى يَغْشَى مُجامَلَةً وسامِحى فى عناق الطيفِ أجفانى
فحسبُ خَدَّىْ مِنْ عَيْنَىَّ ما شربا فمثل ما قد جرى لم تلقَ عينان

وقال :

قالوا له : رُوحى فِداه هذا التجنِّى ما مَداه ؟
أنا لم أُقِم بصدودِه حتى يُحمِّلَنى نَواه
تجرى الأُمور لغايةٍ إلَّا عذابى فى هواه

---

١ ــ الأنداء : الأمطار .

سمّيتُه بدرَ الدُّجى ومن العجائِب لا أراه
ودعوتُه غصنَ الرّيا ضِ ، فلم أجِدْ رَوْضًا حواه
وأقولُ عنه : أخو الغزا لِ ، ولا أرى إلّا أخاه
قال العواذلُ : قد جفا ما بالُ قلبِك ما جفاه ؟
أنا لو أطعتُ القلبَ فيـ ـه لم أزِدْه على جَواه
والنُّصحُ مُتَّهَمٌ وإن نَثَرَتْهُ كالدُّرّ الشفاه
أُذُنُ الفتى فى قلبه حيناً ، وحينًا فى نُهاه

وقال :

مقاديرٌ من جَفْنَيْكِ حولْنَ حاليا فذُقْتُ الهوى من بعد ما كنتُ خاليا
نفذْن علىَّ اللبَّ بالسهم مُرْسَلًا وبالسِّحر مَقْضِيًّا ، وبالسيف قاضيا
وألبَسْتَنى ثوبَ الضَّنى فلبستُه فأَحْبِبْ به ثوباً وإن ضمّ بالیا
وما الحبُّ إلّا طاعةٌ وتجاوزٌ وإن أكثروا أوصافَه والمعانيا
وما هو إلا العينُ بالعين تلتقى وإن نوّعوا أسبابَه والدَّواعِيا
وعندى الهوى ، موصوفُه لا صفاتُه

إذا سألونى : ما الهوى ؟ قلتُ : ما بيا
وبى رَشَأٌ قد كان دنيایَ حاضِرًا فغادَرَنى أشتاقُ دُنيایَ نائيا
سمحتُ بروحى فى هواه رخيصةً ومَنْ يَهْوَ لا يُوثِرْ على الحبِّ غاليا
ولم تَجْرِ ألفاظُ الوشاة بريبةٍ كهذى التى يجرى بها الدّمعُ واشِيا
أقول لمن وَدَّعْتُ والركبُ سائرٌ : برغم فؤادى سائرٌ بفواديا
أماناً لقلبى من جفونِكِ فى الهوى كفى بالهوى كأْسًا ، وراحاً ، وساقيا

ولا تجْعلِيه بين خدِّيْكِ والنوى من الظلم أن يغدو لنارَيْن صالِيا
ولم يَنْدملْ من طعنة القَدِّ جُرحُه فرفقًا به من طعنة البيْن داميا

وقال :

أهلَ القُدودِ التى صالت عَوَاليها اللهَ فى مُهَجٍ طاحت غَوَاليها
خُذْن الأَمانَ لها لو كان ينفعها وارْدُدْنها كرَماً لو كان يُجديها
وانظرنَ ما فعلَتْ أحْداقُكُنّ بها ما كان من عَبَثِ الأحداقِ يكفيها
تعرّضت أعينٌ مِنّا ، فعارَضَنا على (الجزيرة) سِرْبٌ من غَوَانيها
ما ثُرْن من كُنُسٍ(١) إلّا إلى كُنُسٍ من الجوانح ضَمّتْها حَوَانيها
عَنّتْ لنا أُصُلًا ، تُغْرِى بنا أَسَلًا مَهزوزةً شكَلاً ، مشروعةً تِيها(٢)
وأَرْهَفَتْ أَعْيُنًا ضَعْفَى حمائلُها نَشْوَى مَناصِلُها ، كَحْلَى مَواضِيها
لنا الحبائلُ نُلْقِيها نَصِيدُ بها ولم نَخَلْ ظَبَيَاتِ القاعِ تلْقِيها
نَصَبْنها لكَ من هُدْبٍ ومن حَدَقٍ حتى انثنيْتَ بنفسٍ عزَّ فاديها
من كلّ زهراءَ فى إشراقها ضَحِكَت
لَبّاتُها عن شبيه الدُّرِّ مِن فيها
شمسُ المحاسنِ يُسْتَبْقَى النهارُ بها كأَنْ يُوشَعَ مفتونٌ يُجاريها
مَشت على (الجسر) رِيماً فى تلفُّتها للناظرين ، وبِاناً فى تَثَنِّيها
كأَن كلَّ غوانيه ضرائرُها عُجْبًا ، وكلَّ نواحيه مَرائِيها
عارَضْتُها وضميرى من محارمها يَزْوَرُّ عن لحظاتى فى مَساريها
أَعِفُّ من حَلْيها عمّا يُجاورُه ومن غلائلها عمّا يُدانيها
قالت : لعلّ أَديبَ النيلِ يُحرجُنا فقلت : هل يُحرجُ الأَقمارَ رائيها

---

١ ـ الكنس : جمع كناس ، وهو بيت الظبى ٢ ـ يقال : شكلت المرأة شكلا : كانت ذات شكل أى غنج ودلال وغزل .

بينى وبينك أشعارٌ هتفتُ بها ماكنتُ أعلم أن الرِّيم يرويها
والقولُ إن عفّ أو ساءت مواقِعُه
صدى السريرةِ والآدابِ يَحكِيها

وقال :

أدارى العيونَ الفاتراتِ السَّواجيا
وأشكو إليها كَيْدَ إنسانِها لِيا
قتلنَ ومنَّين القتيلَ بألسُنٍ من السحر يُبْدِلْنَ المنايا أمانيا
وكلَّمْنَ بالألحاظِ مَرْضَى كَلِيلةً
فكانت صِحاحاً فى القلوب مَواضِيا
حَبَبْتُكِ ذاتَ الخالِ ، والحبُّ حالةٌ إذا عرَضت للمرء لم يَدْرِ ماهيا
وإنك دُنيا القلب مهما غَدَرْتِه أتى لكِ مملوءًا من الوجْد وافيا
ضدودُك فيه ليس يألُوه جارحاً ولفظُكِ لا ينفَكُّ للجرح آسِيا
وبين الهَوى والعَدْلِ للقلب موقِفٌ
كخالِكِ بينَ السيفِ والنارِ ثاويا (١)
وبين المُنَى واليأْسِ للصبر هِزَّةٌ
كَخَصْرِكِ بينَ النَّهْدِ والرِّدْفِ واهيا
وعرّض بى قومى ، يقولونَ : قد غوى
عدِمتُ عذولى فيكِ إن كنتُ غاويا
يَرومونَ سُلوانًا لقلبى يُريحُهُ ومن لِىَ بالسُّلْوانِ أشريه غاليا ؟
وما العشقُ إلا لذةٌ ثم شِقوةٌ كما شَقِىَ المخمورُ بالسُّكر صاحيا

---

١ ــ يعنى الشاعر بهذه التورية أن خالها بين نار الخد ــ وهى كناية عن الحمرة ــ وبين سيف اللحظ وهو معروف .

متفرقات

مَصَايرُ الأَيَّامِ

ألا حَبَّذَا صُحبةُ المكتَبِ ... وأَحبِبْ بأيّامه أحببِ !
ويا حبّذا صِبيةٌ يَمرحو ... ن ، عِنانُ الحياةِ عليهم صَبى
كأنّهمو بَسَماتُ الحيا ... ةِ وأنفاسُ ريْحانِها الطيِّب
يُراحُ ويُغدَى بهم كالقَطيـ ... ـع على مشرِقِ الشمس والمَغرب
إلى مَرْتَعٍ ألِفوا غيرَه ... وراعٍ غريبِ العصا أجنبى
ومُستقبَلٍ من قيود الحيا ... ةِ شديدٍ على النفس مُستصعَب
فِراخٌ بأيلكٍ : فمن ناهضٍ ... يَزوضُ الجناحَ ، ومن أزْغَب
مقاعِدُهم من جَناحِ الزّما ... نِ وما علِموا خَطَرَ المَرْكَب
عصافيرُ عند تهجّى الدرو
س(١) ، مِهارٌ عرابيدُ فى المَلْعَب
خَلِيّون من تَبِعات الحيا ... ةِ ، على الأُمِّ يُلقونها والأَب
جنونُ الحَدَاثَةِ من حولهم ... تضيقُ به سعَةُ المذهب
عدا فاستبدّ بعقل الصبيّ ... وأعدى المؤدّبَ حتى صَبِى !
لهم جَرَسٌ مُطْربٌ فى السرا ... ح ، وليس إذا جَدّ بالمطربِ
توارتْ به ساعةٌ للزما ... ن على الناس دائرةُ العَقْرب
تشُولُ(٢) بإبرتها للشبا ... بِ ، وتقذِف بالسّم فى الشّيّب

---

١ ــ المهار : جمع مهر ، والعرابيد جمع عربيد بالكسر ، والعربيد الكثير العربدة ٢ ــ تشول : ترفع ، أخذا من قولهم :شالت الناقة ذنبها اذا رفعته.

يَلُقُّ بمِطرقتيْها القضا ... ء وتجرى المقاديرُ فى اللَّوْلَب
وتلك الأواعى بأيْمانهم(١) ... حقائبُ فيها الغدُ المُختَبى
ففيها الذى إن يُقِيم لا يُعدّ ... من الناس ، أويَمضِ لايُحسب
وفيها اللِّواءُ ، وفيها المنا ... رُ ، وفيها التَّبيعُ ، وفيها النَّبِى
وفيها المؤخَّرُ خلفَ الزحا ... مِ ، وفيها المقدّمُ فى الموكِب

* * *

جميلٌ عليهم قشيبُ(٢) الثيا ... بِ ، وما لم يُجمِّل ولم يَقشب
كساهم بَنانُ الصِّبا حُلَّةً ... أعزَّ من المخمِلِ المُذْهَب
وأبهى من الورد تحت الندى ... إذا رفَّ فى فرعه الأهْدب
وأطهرَ من ذيلها لم يَلُمّ ... من الناس ماشٍ ، ولم يَسحَب

* * *

قطيعٌ يُزَجِّيه راعٍ من الدهـ ... ـر ، ليس بلَيْنٍ ولا صُلَّب
أهابت هِرواتُه بالرُّفا ... ق ، ونادت على الحُيَّدِ الهُرَّب
وصرّفَ قطعانَه ، فاستبدّ ... ولم يخشَ شيئًا ، ولم يَرهَب
أراد لمن شاء رَعْىَ الجَدِيـ ... ـب ، وأنزلَ من شاء بالمُخصِب
ورَوّى على رِيِّها النَّاهلا ... تِ ، وردَّ الظِّماء فلم تَشْرَب
وألقى رِقاباً إلى الضاربيـ ... ـن ، وضَنّ بأُخرى فلم تُضرَب
وليس يبالى رضا المستَرِيـ ... ـحِ ، ولا ضَجَرَ الناقمِ المُتعَب
وليس بمُبْقٍ على الحاضريـ ... ـن ، وليس ببالٍ على الغُيَّب

* * *

فياوَيْحَهم ! هل أحَسُّوا الحيا ... ةَ ؟ لقد لعبوا وهْىَ لم تَلْعَب
تجرِّبُ فيهم وما يعلمو ... ن ، كتجربة الطبِّ فى الأرْنب

---

١ — الايمان جمع يمين ، وهى اليد اليمنى — ٢ — القشيب : الجديد .

سَقَتْهم بسُمّ جرى فى الأُصو ل ، ورَوّى الفروعَ ولم يَنضُب
ودار الزمانُ ، فدالَ الصِّبا وشبَّ الصِّغارُ عن المكتب
وجَدَّ الطِّلابُ ، وكدّ الشبا بُ وأوغَل فى الصّعب فالأصعب
وعادت نواعِمُ أيّامِه سِنينَ من الدَّأبِ المُنصِب
وعُذِّبَ بالعلم طُلّابُه وغصُّوا بِمَنْهَلِهِ الأعذب
رَمَتْهم به شهواتُ الحيا ةِ : وحُبُّ النَّباهَةِ والمَكسب
وزَهْوُ الأُبُوّةِ من مُنجبٍ يفاخرُ مَنْ ليس بالمُنجب
وعقلٌ بعيدٌ مَرامى الطِّما حِ . كبيرُ اللُّبانةِ والمأرَب
وَلوعُ الرّجاءِ بما لم تَنَلْ عقولُ الأوالى ولم تطلُب
تنقَّلَ كالنَّجم من غَيْهَبٍ يَجوبُ العصورَ إلى غَيْهَب
قديمُ الشُّعاعِ كشمسِ النها رِ جديدٌ كمِصباحها المُلهب
أبوقْراطُ مثلُ ابنِ سينا الرئيـ ـسِ ، وهوميرُ مثلُ أبى الطَّيِّب
وكلُّهمو حَجَرٌ فى البنا ء ، وغرسٌ من المثمرِ المُعقِب

* * *

تُؤلِّفُهم فى ظِلال الرخا ء ، وفى كَنَفِ النسبِ الأقرب
وتكسِرُ فيهم غرورَ الثرا ء ، وزَهْوَ الولادةِ والمنصِب
بيوتٌ مُنَزَّهةٌ كالعتيـ ـق وإن لم تُستَرّ ولم تُحجَب
يُدانى ثراها ثَرَى مكّةٍ ويقربُ فى الطُّهر من يَثرب
إذا ما رأيتَهمو عندها يموجون كالنحل عند الرُّبى
رأيتَ الحضارةَ فى حصنِها هناك ، وفى جُنْدِها الأغلب

وتَعرضُهم مَوكِبًا موكِبًا وتسأَل عن عَلَم الموكِب
دَعِ الحظَّ يطلَعْ به فى غدٍ فإنَّك لم تَدْرِ من يجتبى
لقد زَيَّنَ الأَرض بالعَبْقَرىِّ مُحَلِّى السماواتِ بالكوكب

* * *

وَخَدَّشَ ظفرُ الزمانِ الوجو هَ، وغيَّض من بشرِها المُعْجب
وغال الحداثةَ شَرْخُ الشبا بِ، ولُوشِيَتِ المُرْدُ فى الشَّيَّب
سَرَى الشيبُ مُتَّئِدًا فى الرءو س سُرَى النارِ فى الموضع المُعْشِب
حريقٌ أَحاطَ بخيط الحيا ةِ، تعَجَّبْتُ كيف عليهم غَبِى؟
ومن تَظهرِ النارُ فى دارِه وفى زرعه منهمو يَرْعَب
قد انصرفوا بعد علمِ الكتا بِ لبابٍ من العلم لم يُكْتَب
حياةٌ يُغامِرُ فيها امرؤٌ تسلَّحَ بالنَّابِ والمِخْلَب
وصار إلى القاقةِ ابنُ الغنىّ ولاقى الغِنَى ولدُ المُتْرب
وقد ذهب المتلى صِحَّةً وصَحَّ السقيمُ فلم يَذْهَب
وكَمْ مُنْجِبٍ فى تَلَقِّى الدرو سِ تَلَقَّى الحياةَ فلم يُنجِب
وغاب الرفاقُ، كأَن لم يكن بهم لك عهدٌ، ولم تَصْحَب
إلى أن فنوا ثَلَّةً ثَلَّةً فناءَ السرابِ على السَّبْسَب

لُبْنَان

السِّحْرُ من سُود العيونِ لقيتُهُ والبابِلِىُّ بلحظهنّ سُقِيتُهُ
الفاترات وما فَتَرْنَ رماية بمُسَدَّدٍ بينَ الضلوع مَبيتُه
الناعساتِ الموقظاتى للهوى المُغْرياتِ به وكنتُ سَلِيتَه

القاتلاتِ بعابثٍ فى جَفنه ثمل الغِرار مُعَرْبد إصْليته(١)
الشارعاتِ الهُدْبَ أمثالَ القنا يُحيي الطُّعينَ بنظرة ويُميته
الناسجاتِ على سواء سطورهِ سَقماً على منوالهن كُمِيته

* * *

وأغنَّ أكحلَ من مَها « بِكْفِيّة » علِقت محاجرُه دمى وعَلِقته
لُبنانُ دارَتُه وفيه كِناسُه بين القنا الخطَّار خُط. نحَيته
السلسبيلُ مَن الجداول وِرْدُه والآسُ من خُضْرِ الخمائل قوتُه
إن قلتُ تمثال الجمال مُنَصّبا قال الجمال براحتَيَّ مَثلْته
دخل الكنيسةَ فارتقيْتُ فلم يُطِل فأتيت دون طريقِه فزحمته
فازْور غضباناً وأعرض نافِرًا حالٌ من الغِيد الملاحِ عرفتُه
فصرفتُ تلْعَاتى إلى أترابه وزَعمتهن لُبانتى فأغرتُه
فمشى إلىّ وليس أوّلَ جؤْذَرٍ وقعت عليه حبائلى فقنصته
قد جاء من سحر الجفون فصادَنى وأتيتُ من سحر البيان فصدْته
لما ظفرتُ به على حَرَم الهُدَى لابن البتول وللصلاة وهبته(٢)
قالت ترى نجمَ البيان فقلت بل أُفق البيان بأرضكم يممته
بلغ السُّها بشموسه وبدُوره لُبنانُ وانتظم المشارقَ صيته
من كلّ عالى القدر من أعلامه تتهالُ الفُصْحى إذا سميته
حامى الحقيقة ، لا القديم يثُودُه حفظاً ولا طلبُ الجديد يفوته
وعلى المشيد الفخمِ من آثاره خلُق يبين جلالُه وثبوته
فى كلّ رابيةٍ وكل قرارة تبْرُ القرائح فى التراب لمحته
أقبلتُ أبكى العلم حول رسومهم ثم انثنيت إلى البيان بكيته

---

١ ـ الاصليت : السيف ـ ٢ ـ ابن البتول هو المسيح عليه السلام .

لبنانُ والخُلد ، اختراعِ الله لم يُوسَم بأزينَ منهما ملكوته
هو ذِرْوة فى الحسن غير مَرُومة وذَرا البراعة والحجى« بَيروته »
مَلِكُ الهضابِ الشمُّ سلطانُ الرُّبى هامُ السحاب عروشُه وتُخوته
سيناءُ شاطَره الجلالَ فلا يُرى إلّا له سُبُحاته(١) وسُموته(٢)
والأبلقُ الفردُ انتهت أوصافهُ فى السُّؤدد العالى له ونعوته
جبل عن آذار يُزْرى صيفُه وشتاؤه يَئِد القرى جبروته
أبهى من الوَشْى الكريم مروجُه وألذُّ من عَطلِ(٣) النُّحور مُروتُه(٤)
يغْشى روَابيَه على كافورها مِسْك الوهادِ فَتيقُه وفَتيتُه(٥)
وكأَن أيامَ الشباب ربوعُه وكأَن أحلامَ الكعاب بيوتُه
وكأَن ريْعانَ الصِّبا ريْحانُه سِرُّ السرور يَجودهُ ويقوتُه(٦)
وكأَن أثداءَ النواهد تِينُه وكأَن أقراطَ الولائد توتُه
وكأَن هَمس القاع فى أذن الصفا(٧) صوتُ العتابِ ظهوره وخُفوته
وكأَن ماءهما وَجَرْسَ(٨) لُجَينه وَضحُ(٩) العروس تبينه وتصيتُه(١٠)

* * *

زعماء لُبنان وأهلَ نَدِيِّه لبنانُ فى ناديكمو عظمتُه
قد زادنى إقبالُكم وقبولُكم شرَفاً على الشرف الذى أوليته
تاجُ النيابة فى رفيع رءُوسكم لم يُثْر لؤلؤه ولا ياقوتُه

١ــ السبحة : بضمتين : الجلال ٢ــ السمت بالفتح : هيئة أهل الخير ، ٣ــ عطل النحر من الحلى : خلا ــ ٤ــ المروت : جمع مرت وهى المفازة بلا نبات ــ ٥ــ فتق المسك : استخرجه بشىء يدخله عليه ، والفتيت : المفتوت ٦ ــ يقوته : يطعمه ٧ ــ الصفا : الصخر ٨ ــ الجرس : الصوت ٩ ــ الوضح : حلى من الفضة ١٠ ــ تصيته : تجعله يصوت .

«موسى»(١) عدوُّ الرَّقِّ حولَ لوائكم لا الظُّلمُ يرْهِبه ، ولا طاغوتُه
أنتم وصاحبكم إذا أصبحتمو كالشهرِ أكملَ عدَّة موقوتُه
هو غرَّةُ الأيامِ فيه ، وكلكم آحادُه فى فضلها وسُبوته

الْمُؤْتَمرُ(٢)

صرْحٌ على الوادى المباركِ ضاحى مُتظاهرُ الأعلامِ والأوْضاحِ
ضافى الجلالة كالعَتيق مُفَضل ساحاتِ فضل فى رِحابِ سَماح
وكأن زَفْرَفَه رِواقٌ من ضحًى وكأن حائطَه عمودُ صَبَاح
الحقُّ خَلْفَ جَناحِ استَذرَى(٣) به ومَرَاشِدُ السلطانِ خلفَ جَناح
هو هيكلُ الحريّةِ القانى ، له ما لِلهياكلِ من فِدًى وأضاح
يبنى كما تُبنى الخنادقُ فى الوغى تحتَ النبالِ وصَوْبِها السَّحّاح
يَنهارُ الاستبدادُ حولَ عِراصِه مِثلَ انهيارِ الشِّركِ حولَ (صَلاح)(٤)
وَيُكَبُّ طاغوتُ الأمور لوَجهِه مُتَحَطِّمَ الأصنامِ والأشباح
هو ما بَنَى الأعْزَال بالرّاحات ، أو هو ما بَنى الشهداءُ بالأرواح
أخَذتْه (مصرُ) بكل يومٍ قائمٍ وَرْدِ الكواكب أحمرِ الإصْباح
هَبَّتْ سِماحاً بالحياةِ شبابها والشيبُ بالأرْمَاق غَيْرُ شحاح
ومشتْ إلى الخيل الدوَارع وانْبرَتْ للظّافر الشاكى بغير سِلاح
وَقَفاتُ حقٍّ لم تقفْها أمّةٌ إلا انْثنتْ آمالُها بنجاح

---

١ ــ موسى نمور بك رئيس مجلس النواب اللبنانى ــ ٢ ــ مؤتمر سياسى اجتمعت فيه كلمة الأحزاب السياسية المصرية على انقاذ الدستور برياسة المغفور له سعد زغلول باشا سنة ١٩٢٦ ٣ ــ استذرى : إستظل ٠
٤ ــ صلاح : اسم لمكة ٠

وإذا الشُّعوبُ بَنَوْا حقيقةَ مُلْكِهم جعلوا المآتمَ حائطَ الأفراحِ

* * *

بشرى إلى الوادى تَهزُّ نَباتَه هَزَّ الربيعِ مَناكِبَ الأدواح
تسرى ملمَّحة الحجول(١) على الرُّبى وتسيل غُرَّتُها بكل بِطاح
التَامَتِ الأحزابُ بعدَ تَصَدُّع وتصافتِ الأقلامُ بعد تَلاحِى
سُحِبَتْ على الأحقاد أذيالُ الهوى وَمَشَى على الضَّغْن الودادُ الماحى
وَجَرَتْ أحاديثُ العتابِ كأنها سَمَرٌ على الأوتارِ والأقداح
ترْمى بِطرْفِكِ فى المجامِع لا ترى غيرَ التعانُقِ واشتباكِ الراح

* * *

شمسَ النهارِ ، تعلَّمِى الميزانَ من (سَعْدِ) الديار وشيخِها النَّضَّاح(٢)
مِيلى انظُريه فى النَّدِىِّ كأنّه (عثمانُ) عن أمِّ الكتابِ يُلاحى
كم تاجِ تضحيةٍ وتاجِ كرامةٍ للعين حولَ جبينه اللماحِ
والشيبُ مُنْبَثِقٌ كنور الحقِّ من فوْدَيْه ، أو فجرِ الهدى المِنْصاحِ(٣)
لَبَّى أذانَ الصُّلحِ أوّلَ قائمٍ والصلحُ خُمس قواعِد الإصلاح
سبقَ الرجَالَ مُصافِحًا ومُعانِقًا يمْنى السَّماحِ ، وهيكَلَ الإسجاح(٤)
(عدلى) الجليل ابن الجليل من الملا والماجد ابن الماجد المِسماح
حُلْوُ السجيَّة فى قناةٍ مُرَّةٍ ثَمِلُ الشمائل فى وَقارٍ صاح

* * *

شَتّى فضائلَ فى الرجال ، كأنّها شَتَّى سلاحٍ من قنًا وصِفاح(٥)
فإذا هىَ اجتمعت لِمُلك جَبْهَةٌ كانت حصونَ مَناعَةٍ ونِطاح
اللهُ ألَّف للبلاد صدورَها من كل داهيةٍ وكل صُراح

---

١ ــ الحجول : الخلاخيل ٢ــ النضاح : الرامى بالنبل وهو كناية عن الحامى والمدافع ــ٣ــ المنصاح : الخالص ــ٤ــ يقال سجح خلقه : سهل ولان ــ ٥ ــ الصفح : السيوف .

وزراءُ مملكةٍ ، دَعائِمُ دولَةٍ أعلامُ مُؤْتَمَرٍ ، أسودُ صَباحِ(١)
يَبنون بالدستورِ حائطَ مُلْكِهم لا بالصِّفاحِ ولا على الأرْماحِ
وجَواهرُ التيجانِ مالم تُتَّخَذْ من مَعدِنِ الدستورِ غيرُ صِحاحِ

* * *

احْتَل حِصْنَ الحقّ غيرُ جنودِهِ وتكالبت أيْدٍ على المفتاحِ
ضَجَّتْ على أبطالها ثُكُناتُه واسْتوْحَشَتْ لِكُماتِها النُّزاحِ
هُجِرَت أرائِكُهُ ، وعُطِّلَ عودُه وخلا من الغادين والرُّوّاحِ
وعَلاهُ نَسْجُ العنكبوتِ ، فزاده كالغارِمِن شرفٍ وسمتِ(٢)صلاحِ

* * *

قلْ للبنين مقالَ صدقٍ ، واقْتَصِدْ ذَرْعُ الشباب يضيق بالنُّصّاحِ :
أنتم بنو اليوم العصيبِ : نشأْتمو فى قَصْفِ أنواءٍ ، وعَصْفِ رياحِ
ورأيتمو الوَطَنَ المؤلَّفَ صخرةً فى الحادثات وسَيْلِها المجتاحِ
وشهدتمو صَدْعَ الصفوفِ وما جَنَى من أمْرِ مُفْتاتٍ ونَهْيٍ وَقّاحِ
صوتُ الشعوب من الزئير مُجمَّعًا فإذا تفَرَّقَ كان بعضَ نُبَاحِ
أظْمَتْكُمو الأيامُ ، ثم سقتكمو رَنقًا من الإحسانِ غيرَ قَراحِ
وإذا مُنِحْتَ الخيرَ من مُتكَلِّفٍ ظَهَرَتْ عليه سجيّةُ المنّاحِ
تركَتْكُمو مثلَ المَهيضِ جناحُه لا فى الحبال ، ولا طليق سَراحِ
مَنْ صَيَّرَ الأغلالَ زَهْرَ قَلائِدٍ وكسا القيودَ محاسنَ الأوضاحِ؟
إن التى تبغون ؛ دون منالِها طولُ اجتهادٍ ، واضطرادُ كِفاحِ
سيروا إليها بالأناة طويلةً إن الأناةَ سبيلُ كلِّ فَلاحِ
وخذوا بناءَ المُلكِ عن دستوركم إن الشُّراعَ مُثَقِّفُ المَلّاحِ

١ــ صباح هنا : أى حرب ٢ــ السمت : هيئة اهل الخير .

يا دارَ محمودٍ ، سَلِمْتِ ، وبورِكتْ أركانُكِ الهرميّةُ الصُّفّاح (١)
وازددْتِ من حسنِ الثناء وطيبه حجرًا هو الدُّرِّيُّ فى الأمداح
الأُمةُ انتقلَتْ إليكِ ، كأنّما أنزلْتِها من بيتها بجناح
بركاتُ شيخٍ بالصعيد مُحمَّل عِبْءَ السنينَ مُؤَمَّلٍ نفّاح
بالأمسِ جادَ على الفضيةِ بابنه واليومَ آواها بأكْرَم ساح

النَّسْرُ المِصْرِيُّ (٢)

أعُقابٌ فى عَنان الجوِّ لاح أم سحابٌ فرّ من هُوج الرياحْ؟
أم بساطُ الريحِ ردّته النوى بعد ما طوّف فى الدهر وساحْ ؟
أو كأن البرجَ ألقى جوتَه فتراءى فى السماوات الفِساح

* * *

أقبلَتْ مِنْ بُعْدٍ تحسبُها نَخْلَةً عَنَّتْ وطَنَّتْ فى الرياح
يا سلاحَ العصر بُشِّرْنا به كلُّ عصرٍ بكَمِيٍّ وسلاح
إن عزًّا لم يظَلِّلْ فى غدٍ بجناحَيْكَ ذليلٌ مُسْتَباح
فتكاثَرْ وتألَّفْ قَيْلَقاً تَعْصِمُ السِّلمَ وتعلو للكفاح
مصرُ للطير جميعًا مسرحٌ مالنا فيه ذُنابَى أو جَناح
رُبَّ سِرْبٍ قاطعٍ مَرَّ به هبط الأرض مَلِيًّا واستراح
لِمَ لا يفتن فتيانَ الحمى ذلك الإقدامُ ، أو ذاك الطِّماح ؟
من فتًى حلّ من الجوِّ بهم فتلقَّوْهُ على هامٍ وراح

---

١ ــ الصفاح : حجارة عريضة ــ٢ــ قيلت بمناسبه قدوم صـــــدقى الطيار المصرى الأول من برلين الى القاهرة طائرا فى سنه ١٩٣٠

إنه أوّلُ عُصفورٍ لهم ... هزّ فى الجوِّ جَناحيْه وصاح
دَبَّتْ الهِمَّةُ فيه ، ومشت ... عزماتٌ منكَ يا (حربُ) صِحاح(١)
ناطَحَ النَّجمَ فتًى علَّمَتَه ... فى حياةٍ حُرَّةٍ كيف النِّطاح
لك فى الأجيالِ تمثالٌ مشى ... وجدوا الرشدَ عليه والصّلاح
جاوز النيل وعبْرَيْه إلى ... أكَم الشام وهاتيك البطاح

* * *

فارسَ الجوِّ ، سلامٌ فى الذُّرَى ... وعلى الماء ، ومن كل النواح
ثِبْ إلى النجم ، وزاحِمْ ركنَه ... وامتلئْ من خُيَلاء ومِراح
إنَّ هذا الفتحَ لا عهدَ به ... لضِفاف النيلِ من عهد (فتاح)
تلك أبوابُ السماء انفتحت ... ما وراء البابِ ياطيرَ النجاح؟
أسماءُ النيلِ أيضاً حَرَمٌ ... من طريق الهندِ ، أم جَوٌّ مُباح؟

* * *

عينُ شمسٍ مُلِئَتْ من موكب ... كان للأبطال أحياناً يُتاح
ربّما جلَّل وجهَ الأرض ، أو ... ربّما سدّ على الشمس السراح
إن يَفُتْه الجيشُ أو روْعتُه ... لم يفُتْه النَّشأُ الزُّهْرُ الصِّباح
وفِدى (فائزةٍ) سُمْرُ القَنا ... وفِدى حارسِها بيضُ الصِّفاح
ولقد أبطأتَ حتى لم يَنَمْ ... للحمى ليلٌ ولم يَنعم صَباح
فابتغى العُذْرَ كِرامٌ ، وانبَرَتْ ... ألسنٌ فى الثَّلْمِ والهَدْمِ فِصاح
تلتوى الخيلُ على راكبها ... كيف بالعاصف فى يوم الجِماح؟
ليس مَنْ يركبُ سَرْجاً لَيِّنًا ... مثلَ مَنْ يركب أعرافَ الرياح
مِنْ رُوَيْدًا فى فضاء سافرٍ ... ضاحكِ الصفحةِ كالفردوس صاح

---

١ ــ طلعت بك حرب مدير بنك مصر .

طرفت عَيْنًا به الشمسُ ، فلو خُيِّرَتْ لم تتحفَّز للرواح
وتكاد الطيرُ من خفَّته تتعالى فيه من غير جَناح
قف تأمل من عُلُوٍّ قُبَّةً رُفِعتْ للفضل والرأيِ الصُّراح
نزل النوّابُ فيها فتيةً فى جَناح وشيوخاً فى جَناح
حملوا الحقَّ وقاموا دونَهُ كرَعِيلِ الخيل أو صفِّ الرماح

* * *

يا أبا الفاروقِ ، مَنْ ترعى فتى كَنَفِ الفضل وفى ظلِّ السَّماح
أنت من آبائك السُّحْب ، وما فى بناء السُّحُبِ الأيدى الشِّحاح
يَدُكَ السَّمْحَةُ فى الخير ، وفى هِمَّةِ الغَرْس ، وفى أمْوِ الجراح
نحن أفلحنا على الأرض بكم ورجونا فى السماوات الفلاح

تُوتْ عَنْخ آمُون وَالبَرْلمان

قُمْ ، مابِقِ (الساعةَ) ، واسْبِقْ وعدَهَا
الأرضُ ضاقَت عنكَ ، فاصدعْ غِمْدَهَا

وامْلأْ رماحاً غورَها ونَجْدَها وافتح أُصولَ النيل واستردَّها
شَلَّالَها ، وعَنْبَها ، وعِدَّها (١) واصرفْ إلينا جَزْرَها ومَدَّها
تلك الوجوهُ لا شَكَوْنا فَقْدَهَا بَيْضَتِ القُرْبَى لنا مُسْوَدَّها
سُلِّتْ مَن (وادى الملوكِ) فازْدَهَى وألقت الشمسُ عليه رِدَاءَها
واسترجَعتْ دولتُه إفرِنْدَها أبيضَ ، ريَّانَ المُتونِ ، وَرْدَها
أبْلَى ظُبَى الدهرِ ، وفَلَّ حَدَّها وأخْلَقَ العصورَ ، واستجدَّها

---

١ — العد : الماء الجارى له مادة لاتنقطع .

سافَرَ أربعينَ قَرْنًا عدَها حتى أتى الدارَ ، فألفَى عِندها
إنجلترا ، وجَيْشَها ، ولُوردَها مَسلولَةَ الهِندِيُّ تَحمِي هِنْدَها
قامت على السودانِ تَبْنِى سدَّها وركَزتْ دونَ القناةِ بَنْدَها(١)

* * *

فقال والحسرةُ ما أشدَّها : ليت جدارَ القبرِ ما تَدَهْدَها(٢)
وليتَ عَينى لم تفارق رَقْدَها قُمْ نَبِّنى يا بنتوُورُ : ما دها؟(٣)
مِصرُ فَتاتِى لم تُوَقِّرْ جَدَّها دَقَّتْ وراءَ مَضجعِى جازْبَنْدَها
وخَلَطتْ ظِباءَها وأُسْدَها وسكبَ الساقى الطِّلا ، وبَدَّها(٤)
قد سَحبتْ على جلالى بُرْدَها ليتَ جلالَ الموتِ كان صَدَّها

* * *

فقلت : يا ماجدَها وجَعْدَها(٥) لولم تلكُ ابنَ الشمس كنتَ رِئْدَها(٦)
لَحْدُكَ وَدَّتْهُ النجومُ لحدَها أريتنا الدنيا بهِ وجِدَّها
سلطانَها ، وعزَّها ، ورَغْدَها وكيف يُعْطَى المتَّقُون خُلْدَها
آثاركم يُخْطِى الحسابُ عَدَّها انهدَمَ الدهرُ ولم يَهُدَّها
أبوابُكَ اللَّاتى قَصَدْنا قَصْدَها (كارترُ) فى وجهِ الوفودِ رَدَّها
لولا جهودٌ لا نريدُ جَحْدَها وحُرمةٌ من قُربك استمدَّها
قلتُ لك : اضربْ يَدَه وقُدَّها وابعث له من البعوضِ نُكْدَها

* * *

مِصرُ الفتاةُ بَلَغَتْ أشُدَّها وأثبتَ الدمُ الزَّكِيُّ رُشْدَها
ولعِبتْ على الحبالِ وَحْدَها وجَرَّبَتْ إرْخاءَها وشَدَّها
فأرسلتْ دُهاتَها ولُدَّها (٧) فى الغرْب سدُّوا عنده مَسَدَّها

---

١ ــ البند : العلم ــ٢ــ تدهده : انقض وتدحرج . ــ ٣ ــ بنتاءور : شاعر مصرى قديم ــ ٤ ــ بد الشىء : فرقه ، وهنا بمعنى أراقها ــ٥ــ الجعد : الكريم . ــ ٦ ــ الرئد : الترب . ــ ٧ ــ اللد : الأشداء فى الخصومة .

وبَعَثَت للبرلمان جُنْدَها وحَشَدَتْ للمِهْرَجانِ حَشْدَها
حَدَتْ إليه شِيبَها ومُرْدَها وأبرزَتْ كَعابَها وخَوْدَها
ونثرتْ فوق الطريق وَرْدَها واستقبَلت فؤادَها ووَفْدَها
مَوْئلَها ، وكهفَها ، ورِدْها (١) وابنَ الذين قَوَّموا مَقَدَّها
وألَّفوا بعد انفراطٍ عِقْدَها وجَعلوا صحراءَ ليبيا حَدَّها
وبَسطوا على الحجازِ أيْدَها وصيَّروا العَاتِيَ فيه عَبْدَها
حتى أتى الدارَ التى أعدَّها لِمصرَ تبْنِى فى ذَراها مَجْدَها
فثبِّتَ الشُّورى ، وشَدَّ عَقْدَها وقلِّدَ الجيلَ السعيدَ عَهْدَها

سُلْطَتُه إلى بنينا ردُّها

يارَبِّ قَوِّ يَدَهَا ، وشُدَّها وافْتح لها السُّبْلَ ، ولا تَسُدَّها
وقِسْ لكلِّ خطْوَةٍ ما بعدها وعن صغيرات الأُمور حُدَّها
واصرف إلى جِدِّ الشئونِ جدَّها ولا تُضِعْ على الضحايا جُهْدَها
واكبحْ هوى الأَنفُسِ ، واكْسِرْ حِقْدَها
واجمعْ على الأُمِّ الرُّءوم وُلْدَها .
واملأْ بألبانِ النُّبوغِ نَهْدَها ولا تَدَعْها تُخْىِ مُسْتَبِدَّها
وتنتحِتْ براحَتَيْها فَرْدَها

مَصْرَعُ اللُّوردِ كِتْشنر

قِفْ بهذا البحرِ وانظُرْ ماغَمَرْ مظهر الشمس وإقبال القمرْ
واعرِضِ الموجَ مَلِيًّا ، هل ترى غَمْرَةً أَوْدَتْ بخَوَّاض الغُمَر ؟
أخذَتْ ناحيةَ الحقِّ بهِ وسبيلَ الناس فى خالى العُصُر

---

١ ـ الرد : العماد .

مَنَعَ اللُّبْثَ وإن طال المدَى ... فَلَكٌ ما لعصاه مُسْتَقَرّ

دائرُ الدُّولابِ بالناس على ... جانبَيْهِ المُرْتَقَى والمُنْحَدَر

نقض (الإيوانَ) من آساسهِ ... وأتى (الأهرامَ) من أمِّ الحُجَر

ومَحا (الحمراءَ)(١) إلا عمدًا ... نَزْعُها من عَضُدِ الأرضِ عَسِير

أين (رومِيَّةُ)؟ ما قَيْصَرُها ؟ ... ما لياليها المُرِنَّاتُ الوَتَر ؟

أين (وادى الطَّلْحِ)(٢) والأثى به ... من دُمًى يَسْحَبْنَ فى المِسْكِ الحِبَر (٣)

أين (نابليونُ)؟ ما غاراتُه ؟ ... شَنَّها الدهرُ عليه من غِيَر

أيُّها الساكنُ فى ظلِّ المنى ... نَمْ طويلاً ، قد تَوَسَّدْتَ الزَّهَر

شجَرٌ نامٍ ، وظِلٌّ سابغٌ ... بَيْدَ أن الصِّلَّ(٤) فى أصل الشجر

يَذَرُ المرءُ ويَأْتى ما اشتهى ... وقضاءُ اللهِ يَأْتى ويَذَر

كلُّ مَحمولٍ على النعش أخٌ ... لك صافٍ ودُّهُ بعدَ الكَدَر

إنْ تكن سِلْمًا له لم ينتفع ... أو تكن حرباً فقد فات الضَّرَر

راكبَ البحرِ ، أمَوْجٌ ماترى ؟ ... أم كتابُ الدهرِ ، أم صُحْفُ القَدَر ؟

لُجَّةٌ (كاللَّوْحِ) ، لا يُحْصَى على ... قَلَمِ القُدرةِ فيها ما سطِر

فتلفَّتْ ، وتنسَّمْ حكمةً ... والمسِ العِبْرَةَ من بين الفِقَر (٥)

وتأمَّلْ مَلعباً أعْجَبُهُ ... آيةً جانِبُه المُرْخَى السُّتُر

هٰهنا تمشى الجوارى مَرَحاً ... وجَوارى الدَّهرِ يَمْشِينَ الخَمَر (٦)

رُبَّ سيفٍ ضرَبَ الجمعَ به ... فى كِنوزِ البحرِ مطروحِ الكِسَر (٧)

وَنِجاد لم يُطاوَل ضَحْوَةً ... ناله الفجرُ عِشاءً بالقِصَر

---

١ ــ الحمراء : قصر عظيم بالأندلس ــ ٢ ــ وادى الطلح : منتزه بأشبيلة للمعتمد بن عباد ٣ ــ الحبر : جمع حبرة ، وهى ضرب من برود اليمن
٤ ــ الصل : الثعبان ٥ ــ الفقر : كل كلام مختار نظما كان أو نثرا.
٦ ــ يمشى الخمر : جملة تقال لمن يختل صاحبه ٧ ــ الكسر : جمع كسرة : وهى القطعة من الشىء .

وسفين آمر فيها البِلى طالما أَوْحَتْ إليه فأُتَمَر
ووجوهٍ ذهب الماءُ بها فى نهار الفَرْقِ ، أو ليلِ الشَّعَر
وعيونٍ ساجياتٍ سُجِّيَتْ برُفاتِ السحرِ ، أو قَلِّ الحَوَر(١)
قُلْ لِلَيْثٍ خُسِفَ الغِيلُ به بين طِمٍّ ، وظلامٍ مُعْتَكِر(٢)
انظر القُلْلَكَ : أَمِنْهَا أثرٌ ؟ هكذا الدنيا إذا الموتُ حَضَر
هذه منزلةٌ لو زدتَها ضاق عنك السعدُ ، أوضاق العُمُر
فامْضِ شيخًا فى هوى المجدِ قضَى رحمةَ المجدِ ، ورفقاً بالكِبَر
مِيتةٌ لم تَلْقَ منها عَلَزًا(٣) من وَقار الليْثِ أن لا يُحْتَضَر

* * *

أنتمُ القومُ حِمَى الماء لكم يَرجع الوِرْدُ إليكم والصَّدَر
لُجَجُ الدَّأماءِ أوطانٌ لكم ومن الأوطانِ دُورٌ وحُفَر
لَسْتَ فى البحر وحيداً ، فاستَضِف فيه آباءك تنزلْ بالدُّرَر
رَسَبوا فيه كراماً وطفا طائفُ النصرِ عليهم والظَّفَر

* * *

نَشَأُ (النيلِ) ، إليكم سِيرة لكمو فيها عِظاتٌ وعِبَر
إقرأوها يُكْشَف العصرُ لكم كلُّ عصرٍ برجالٍ وسِيَر
لا تقولوا : شاعرُ الوادى غَوَى مَنْ يُغَالِطْ نفْسَه لا يعتبر
موقفُ التاريخ من فوق الهوى ومَقامُ الموتِ من فوق الهَذَر
ليس مَنْ مات بخافٍ عنكمو أو قليلِ الفعلِ فيكم والأَثَر
شِدْتُمو دنياهُ فى أحْسَنِها غزوة السودان والفتحَ الأَغَرّ
وبنى مملكةَ النُّوبِ بكم فاذكروا القتلى ، ولاتنسوا البِدَر(٤)

---

١ — القل : الكسر فى حد السيف — ٢ — الطم : البحر — ٣ — العلز : القلق والهلع من الموت ٤ — البدر : جمع بدرة ، وهى عشرة آلاف درهم .

واحذَروا من قِسْمَةِ النيلِ فيا ضيْعَةَ الوادى إذا النيلُ شَطِر

* * *

رجلٌ ليس ابنَ (قارونَ) ، ولا بابن (عادىٍ) من العَظْم النَّخِر
ليس بالزاخر فى العلم ، ولا هو ينبوعُ البيانِ المنفَجِر
رَضَع الأَخلاقَ من ألبانها إن للأَخلاق وقعاً فى الصِّغَر
ورآها صورةً فى أُمَّةٍ ومن القُدْوَةِ ما تُوحِى الصُّوَر
ذلك المجدُ ، وهٰذى سُبُلُهُ بَيِّنٌ فيها سبيلُ المُعْتَذِر
أبْعَدَ الساعونَ يَبغون المَدى والمدى فى المجد دانٍ لِنَفَر
كجياد السَّبْقِ ، لن تُغنِيَها أدواتُ السبْقِ ما تغنى الفِطَر

* * *

وجَناحُ السِّلم إلا أنها ساعةَ الرَّوْعِ جَناحٌ من سَقَر
من حديدٍ جانِباها سابغٍ ربَضٌ الموتُ عليه وفَغَر
أشبَهَتْ أفواهُها أعجازَها قُنْفُذٌ فى اليَمِّ مشروعُ الإبَر
أرهفَتْ سَمْعَ العصا(١) واكتحلت إثْمِدَ الزرقاء(٢) فى عرض السِّدَر(٣)
وتؤدِّى القولَ ، لا يسبِقُها رُسُلُ الأرواحِ فى نَقْلِ الفِكَر
خَطَرَتْ فى مَحْجَرَيْها ومشَتْ بعيون الملكِ فى بحرٍ وبَرّ
غابةٌ تجرى بسلطان الشَّرَى خادرًا فى ألف نابٍ وظُفُر(٤)
وإذا الموتُ إلى النفس مشى وَرَكِبْتَ النجمَ بالموت عَثَر
رُبَّ ثاوٍ فى الظُّبَى مُمْتَنِعٍ سَلَّهُ المِقدارُ من جفن الحَذَر
تسحَبُ الفولاذَ فى مُلْتَطِمٍ بالعوادِى مُتعالٍ مُعْتَكِر

---

١ ــ العصا : الفرس المشهورة التى ورد ذكرها فى مصرع الزباء ، وقد كانت لقصير الذى يقول فيه المثل « لأمر ما جدع قصير انفه » ٢ ــ هى زرقاء اليمامة المشهورة بقوة البصر ٣ ــ السدر : البحر ٤ ــ الخادر : كناية عن أسد ، يقال أسد خادر : مقيم فى خدره .

لو أشارَتْ جاءها ساحلُهُ في حديدٍ وعديدٍ مُنْتَصِر
أو فَدَى الميّتَ حَيٌّ فُدِيَتْ بوَقَاحٍ في الجواري وخَفِر(١)
بعث البحرُ بها كالموج من لُجَجِ السِّنْدِ وخُلْجَانِ الخَزَر(٢)
لمَسَتْها للمقاديرِ يَدٌ تلْمس الماءَ فَيَرمي بالشَّرَر
ضربتها وهْي سرٌّ في الدُّجى ليس دونَ اللهِ تحتَ الليلِ سِرّ
وجَفَتْ قلباً ، وخارَتْ جُؤْجُؤاً ونَزَتْ جَنْبًا ، ونَاءَتْ من أُخَر
طُعِنَتْ ، فانْبَجَسَتْ ، فاسْتصرخت
فأتاها حَيْنُها ، فَهْيَ خَبَر(٣)

البَرْلَمَانُ

على أثر ائتلاف الأحزاب

سكن الزمانُ ، ولانت الأقدارُ ولكلِّ أمرٍ غايةٌ وقرارُ
أرْخَى الأعِنَّةَ للخطوبِ وردّها فَلَكٌ بكلِّ فُجاءة دوّار
يجرى بأمرٍ ، أو يدور بضدّه لا النقضُ يُعجزه ، ولا الإمرار
هل آذنتنا الحادثاتُ بهدنة ؟ وهل استجاب ، فسالَم المقدار؟
سُدِلَ الستارُ ، وهل شَهِدْتَ روايةً لم يعترضها في الفصول ستار؟
وجَرتْ فما استولَتْ على الأمدالمنى وعدَتْ فما حَوَت المدى الأوطار
دون الجلاء ، ودون يانِع وَرْدِه خطواتُ شعبٍ في القَتادِ تُسار
وبناءُ أخلاقٍ عليه من النُّهى سُورٌ ، ومن عِلْمِ الزمانِ إطار
وحضارةٌ من منطق الوادى لها أصلٌ ، ومن أدب البلادِ نِجار

* * *

أعْمَى هوى الوطن العزيز عصابة مُسْتَهْترين ، إلى الجرائم ساروا .

١ ــ الوقاح : ذو الوقاحة ، يقال امرأة وقاح الوجه ٢ ــ بحر الخزر : هو بحر قزوين ، والخزر ايضا : جيل من الناس ٣ ــ الحين : الهلاك .

ياسوءَ سُنَّتِهم وقُبْحَ غُلُوِّهم ... إن العقائدَ بالغُلُوِّ تُضار
والحقُّ أرفعُ مِلَّةً وقضيَّةً ... من أن يكون رسولَه الإضرارُ
أخِذَتْ بذنبهم البلادُ وأُمَّةٌ ... بالريف مايدرون : ماالسِّردار ؟
فى فتنةٍ خُلِطَ البريءُ بغيرهِ ... فيها ، ولُطِّخَ بالدم الأبرار
لَقِيَ الرجالُ الحادثاتِ بصبرهم ... حتى انجلَتْ غُمَمٌ لها وغِمار
لانوا لها فى شِدَّةٍ وصلابةٍ ... لينَ الحديدِ مَشَتْ عليه النار
الحقُّ أبلجُ ، والكِنانةُ حُرَّةٌ ... والعزُّ للدستور والإكبارُ
الأمرُ شورَى ، لايَعِيثُ مُسَلَّطٌ ... فيه ، ولا يَطْغَى به جبّار
إن العنايةَ للبلاد تخيَّرَتْ ... والخيرُ ماتقضى وما تختار
عهدٌ من الشُّورَى الظَّليلةِ نُضِّرَتْ ... آصالُه ، واخْضَلَّت الأسحار
تجنى البلادُ به ثمارَ جهودها ... ولكل جهدٍ فى الحياةِ ثمار
بنيانُ آباءٍ مَشَوْا بسلاحهم ... وبَنِينَ لم يجدوا السلاحَ فشاروا
فيه من التلِّ المُدَرَّجِ حائطٌ ... ومن المشانق والسجون جِدار
أبت التقيُّدَ بالهوى ، وتَقَيَّدَتْ ... بالحقِّ أو بالواجبِ الأحرارُ
فى مجلس لامالُ مصرَ غنيمةٌ ... فيه ، ولا سلطانُ مصر صَغارُ
ما للرجال سوى المَراشد منهجٌ ... فيه ، ولا غيرَ الصَّلاحِ شِعار
يتعاونون كأهل دارٍ زُلْزِلَتْ ... حتى تَقَرَّ وتَطمئِنَّ الدار
يُجرون بالرفق الأمورَ وفُلْكَها ... والريحُ دونَ الفلكِ والإعصارُ
ومع المجدِّدِ بالأناة سلامةٌ ... ومع المجدِّد بالجِماح عِثار
الأمةُ ائتلَفَتْ ، ورَصَّ بناءها ... بانٍ زعامتُه هدًى ومَنار
أسدٌ وراءَ السنِّ مَعقودُ الحُبا ... يأبَى ويَغضبُ للشَّرَى ويَغار
كَهْفُ القضيَّةِ لاتنام نُيوبُه ... عنها ، ولا تتناعس الأظفار

يومَ الخميس ، وراءَ فجرِكَ للهدى صبحٌ ، وللحقّ المبين نهار
ما أنت إلّا فارسيٌّ ، ليلُهُ عُرسٌ ، وصدرُ نهارِه إعذار
بكرَتْ تُزاحِم مِهرَجانَك أمّةٌ وتلفّتتْ خلفَ الزحام ديار
وروى مواكبَك الزمانُ لأهله وتنقّلتْ بجلالها الأخبار
أقبلْتَ بالدستور أبلَجَ زاهرًا يَفْتَنُّ فى قَسَماتِه النُّظار
وذُؤابةُ الدنيا تَرِفُّ حَداثةً عن جانبيه ، وللزمان عِذار
يحمى لَفَائِفَهُ ، ويحرس مَهْدَه شيخٌ يَذودُ ، وفتيةٌ أنصار
وكأنه عيسى الهُدى فى مهدِه وكأنّ سعدًا يوسُفُ النجار
التاج فُصِّل فى سمائك بالضحى منك الحلَى ، ومن الضحى الأنوار
يكسو من الدستور هامةَ رَبِّهِ ما ليس يكسو الفاتحين الغار
بالحق يفتح كلُّ هادٍ مُصلحٍ ما ليس يفتح بالقنا المِغْوارُ

* * *

وطنى ، لديكَ — وأنت سَمْحٌ مُفْضِلٌ —
تُنْسَى الذنوبُ ، وتُذكَرِ الأعذار
تاب الزمانُ إليكَ من هفواته بوزارة تُمْحَى بها الأوزار

وقال وقد أُلقيت فى حفلة نسائية عظيمة انعقدت بدار التمثيل العربى برئاسة السيدة هدى شعراوى

قُلْ للرِّجَالِ : طغى الأسيرْ طيرُ الحِجالِ متى يَطيرْ ؟
أوْهَى جَنَاحَيْهِ الحديـ ـدُ ، وحَزَّ ساقَيْهِ الحرير
ذهب الحِجابُ بصبره وأطال حيْرتَه السُّفور
هل هُيِّئَتْ دَرَجُ السما ء له ، وهل نُصَّ الأثير ؟
وهل استمرَّ به الجَنا حُ ، وهَمَّ بالنَّهْض الشكير ؟(١)

١ — الشكير : صغار الريش بين كباره .

وسما لمَنزله من الد نيا ، ومنزلُه خطير ؟
ومتى تُساس به الريا ضُ كما تُساس به الوكور ؟
أوَ كُلُّ ما عند الرجا لِ له الخواطبُ والمهور ؟
والسجنُ فى الأكواخ ، أو سجنٌ يقال له : القصور ؟

* * *

تاللهِ لو أن الأَد يمَ جميعَه روضٌ ونور
فى كلّ ظلٍّ ربوةٌ وبكلّ وارقةٍ غدير
وعليه من ذَهبٍ سيا جٌ ، أو من الياقوت سور
ما تَمَّ من دون السما ء له على الأرض الحُبور
إن السماء جديرةٌ بالطير ، وهْوَ بها جدير
هى سَرْجُهُ المشدودُ ، وه و على أعِنَّتها أمير
حُرِّيَّةٌ خُلِق الإنا ثُ لها ، كما خُلِقَ الذكور

* * *

هاجَتْ بناتِ الشعرِ عيـ نٌ من بنات النيل حُور
لى بينهن ولائدٌ هم من سواد العين نور
لا الشعْر يأْتى فى الجما ن بمثلهن ، ولا البحور
من أجلهن أنا الشفيـ قُ على الدُّمَى ، وأنا الغيور
أرجو وآمل أن ستج رى بالذى شِئْنَ الأمور

* * *

ياقاسمُ ، انظر : كيف سا ر الفكرُ وانتقل الشعور ؟
جابت قضيَّتُكَ البلا دَ ، كأنها مَثَلٌ يسير
ما الناسُ إلا أوّلٌ يمضى فيخلُفه الأخير
الفكرُ بينهما على بُعْدِ المَزارِ هو السفير

هذا البناءُ الفخمُ ليـ ـس أساسُه إلا الحَقيرَ
إن التى خلَّفْتَ أم ـسِ ، وما سِواكَ لها بصير
نهض الحنوُّ بشأنها وسعى لخدمتها الظهير
فى ذمة الفُضْلَى هدى جِيلٌ إلى هاد فقير
أقبلْنَ يسألْنَ الحضا رةَ ما يُفيد وما يَضير
ما السُّبْلُ بَيِّنَةٌ ، ولا كلُّ الهُداةِ بها بصير

* * *

ما فى كتابكَ طَفْرَةٌ تُنْعَى عليكَ ، ولا غرور
هَذَّبْتَهُ حتى استقامت من خلائقك السطور
ووضَحْتَه ، وعلمْتَ أن حسابَ واضعِه عسير
لك فى مسائله الكلا مُ العفُّ والجدلُ الوَقور
ولك البيانُ الجذلُ فى أثنائه العلمُ الغزير
فى مطلبٍ خَشِنٍ ، كَثـ ـيرٌ فى مَزالقه العُثور
ما بالكتاب ولا الحديـ ـث إذا ذكرْتَهُما تَكير
حتى لَنسألُ : هل تَغا رُ على العقائد ، أم تُغير ؟
عشرون عاماً من زوا لك ما هى الشىءُ الكثير
رُعْنَ النساء ، وقد يَرُو عُ المُشْفِقَ الجلَلُ اليسير
فنَسِينَ أنك كالبدو ر ، ودونَ رِفعتِكَ البُدور
تفنى السُّنون بها ، وما آجالُها إلا شهور

* * *

لقد اختلفنا ، والمُعا شِرُ قد يخالفه العَشير
فى الرأى ، ثُمَّ أهاب بى ويك المُنادِمُ والسَّمير
ومحا الرَّوَاحُ إلى مغا نى الودِّ ما اقترف البُكور

فى الرأى تَضْطَغِنُ العقو لُ وليس تضطغن الصدور

* * *

قل لى بعيشِك : أين أن ت ؟ وأين صاحبُك الكبير ؟
أين الإمامُ ؟ وأين إسـ ـماعيلُ واللألُ المنير ؟
لما نزلتم فى الثرى تاهت على الشهب القبور
عصر العباقرةِ النجو مِ بنوره تمشى العصور

تَكْرِيمُ حسَنين بك بمُنَاسَبَة طَيَرانه

جِنٌّ على حَرَمِ السماء أغاروا أم فتيةٌ ركبوا الجَناح فطاروا ؟
من كلِّ أهوجَ فى الهواء عِنانُه هُوجُ الرياحِ ، وسَرْجُه الأعصار
يبغى حجابَ الشمس يطلب عندها عزًا تَحَمَّله الجدودُ وساروا
لم يبقَ منه ومن حضارةِ عهدِه إلَّا صُوًى مَحجوجةٌ ومنار
ومقالةُ الأجيالِ لم يَلْحَقْ بهم بانٍ ، ولم يُدرِكهُمُ حَفَّار

* * *

طلعوا على الوادى براية عصرهم ولكلِّ عصرٍ رايةٌ وشِعار
اثنان ثم ترى النسور كثيرةً من كلِّ ناحية لها أوكار
سِرُّ النجاحِ ورُكْنُ كلِّ حضارةٍ هِمَمٌ من المتطوعين كِبار
نُسِخَتْ بأبطال السماء بطولةٌ فى الأرض يوشِكُ ركنُها ينهار
هذا زمانٌ لا الأعِنَّةُ منزلٌ للبأس فيه ، ولا الأسِنَّةُ دار
ماالبأسُ إلا من جَنَاحَىْ خاطف فى البرّ والبحرِ اسمُه الطيّار
أترى السلامة فى السماء وظلِّها أم بالسماء يصولُ الاستعمار ؟

حَرَمُ الهدى والحقِّ رِيعَ جلالُه ... وغدا وراح بجانِبَيْه دَمار
ياجائبَ الصحراءِ مِلْءُ سرابِها ... غَرَرٌ ، ومِلْءُ تُرابِها أخطار
يكفيك من هِمَمِ الشجاعةِ ليلةٌ ... لك من غَوائلها خَلَتْ ونهار
لا اعتمدْتَ على الجناحِ تلفَّتَتْ ... بِيدٌ ، وقَلَّبَت العيونَ قِفار
، كلُّ صحراءٍ ، وكلُّ تَنُوفَةٍ ... أرضٌ عليك من السماءِ تَغار
(حَسَنَيْنُ) ،لولم يَعذِروكَ لبادرَتْ ... لكَ من لسان جِراحِكَ الأعذار
لله سرجُك فى السماء ، فإنه ... سَرْجُ الأَهِلَّةِ ما عليه غُبار
عَرَضَ الخُسوفُ له فما أَزْرَى به ... ما فى الخسوف على الأَهِلَّة عار
أَوَلَمْ تَطَأْ أرضَ السماء ،ولم تَدُرْ ... حيثُ الشموسُ تَدورُ والأَقمار؟
أَلقى أَبو القاروق نحوَك بالَه ... وتشاغلت بك أُمَّةٌ ودِيار
مَلِكٌ رُحِمْتَ بقُرْبِهِ وجِوارِه ... حتى كأنك للعناية جار

* * *

نُصِبَ السُّرادِقُ والمطارُ . وحَلَّقَتْ ... فى الجوِّ تَلْمَسُ شَخْصَكَ الأَبصار
فلمسْتَ أَقْضِيَةَ السماءِ ، وأَسْفَرَتْ ... حتى نَظَرْتَ وجوهَها الأَقدار
قَدَرٌ على يُمْنَى يَدَيْهِ سلامةٌ ... لك حيثُ مِلْتَ ، وفى السماءِ غِمار
فإذا سَقَطْتَ على حديد مُضْرَمٍ ... صَدَفَ الحديدُ ، ولم تَنَلْكَ النار
ماذا لَقِيتَ من النجائب كُلِّها؟ ... قُلْ لِى ، أَعندَكَ للنجائب ثار؟
هٰذِى تَعَثَّرُ فى الزِّمام ، وتلك لا ... تمضى ، وأُخرى فى السُّلوك تَحار
فَشَلٌ يُعَظَّمُ كالنجاح عليه من ... شَرَفِ الجروحِ ونورِهِنَّ فَخار
لولم يكن قَتْلَى وجَرْحَى فى الوَغَى ... لم يَعْلُ هامَ الظافرين الغار

صَقْرُ قُرَيْش (عَبْدُ الرَّحْمٰن الدَّاخل)

موشح أندلسى

مَنْ لِنضْوٍ يتَنَزَّى(١) أَلَما بَرَّحَ الشوقُ به فى الغَلَسِ
حَنَّ للْبان وناجَى العَلَما أَين شرقُ الأَرضِ من أَنْدَلُسِ

* * *

بُلْبُلٌ علَّمه البينُ البيانْ بات فى حَبْل الشُّجونِ ارْتَبكا
فى سماء اللَّيلِ مَخلوعَ العِنان ضاقت الأَرضُ عليه شَبَكا
كلما اسْتَوْحَشَ فى ظلِّ الجِنانْ جُنَّ فاسْتَضْحَكَ مِنْ حَيْثُ بكى
ارتدى بُرْنُسَه والْتَثَما وخَطا خُطْوَةَ شَيْخٍ مُرْعَبِس(٢)
ويُرَى ذا حَدَبٍ إن جَثَما فإن ارتَدَّ بدا ذا قَعَسِ(٣)

* * *

قَمَهُ القانى على لَبَّتِه كبقايا الدَّمِ فى نَصْل دَقيق
مَدَّه فانْشَقَّ من مَنْبِتِه مَنْ رأَى شِقَّىْ مِقَصّ مِنْ عَقِيق؟
ويكى شجوًا على شعْبته شَجْوَ ذاتِ الثُّكْلِ فى السِّتْرِ الرَّقيق
سَلَّ من فِيهِ لساناً عَنَمًا(٤) ماضيًا فى البَتِّ لم يَحْتَبِس
وتَرَ من غير ضربٍ رَنَّما فى الدُّجى ، أو شَرَرٌ من قَبَس

* * *

نَفَرَتْ لَوْعَتُه بعدَ الهدوءْ والدُّجى بيتُ الجَوَى والبُرَحا
يَتعايا بجَناحٍ ويَنوءْ بجناحٍ مُذْ وَهَى ما صلحا
ساءه الدهرُ ، وما زال يَسوءْ ما عليه لو أَسا ما جَرَحَا

---

١ ــ يتنزى : يتوثب ــ٢ــ المرعس : من رعس الرجل : اذا مشى مشيا ضعيفا من الاعياء ٣ ــ القعس : ضد الحدب ، وهو نتوء الصدر .
٤ ــ العنم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب .

كلّما أدْمَى يَدَيْه نَدَما سالتا من طَوْقِه والبُرْنُسِ
فَنِيَتْ أهدابُه إلّا دَما قام كالياقوت لم يَنْبَجِسِ(١)

* * *

مَدَّ فى الليلِ أنينًا وَخَفَقْ خَفَقَانَ القُرْطِ فى جُنح الشَّعَرْ
فرَغَتْ منه الذَّوى غيرَ رَمَقْ فضلَةَ الجُرحِ إذا الجُرحُ نَغَرْ(٢)
يتلاشى نَزَوَاتٍ فى حُرَقْ كذُبَالٍ آخِرَ الليلِ اسْتَعَرْ
لم يكن طَوْقاً ، ولكنْ ضرَما ما على لَبَّتِه من قَبَسِ
رحمةُ اللهِ له ! هل عَلِما أنّ تلك النفسَ من ذا النَّفَسِ؟

* * *

قُلْتُ للَّيْلِ – ولليل عَوَادْ – مَنْ أخو البَثِّ؟ فقال : ابنُ فِراقْ
قلت : ماواديه ؟ قال : الشَّجْوُ وادْ ليس فيه من حِجازٍ أو عِراقْ
قلتُ : لكنْ جَفْنُه غيرُ جوادْ قال : شرُّ الدمعِ ما ليس يُراقْ
نَغْبِطُ الطيرَ ، وما نعلم ما هى فيه من عذاب بَئِسِ
فدَعِ الطيرَ وحظًّا قِسما صَيِّرَ الأيْكَ كدورِ الأَنَسِ

* * *

ناحَ إذ جَفْناىَ فى أَسْرِ النجومْ رَسَفَا فى السُّهْدِ والدّمعُ طليقْ(٣)
أيُّها الصارخُ من بحر الهموم ما عسى يُغنى غريقٌ عن غريقْ؟
إن هذا السَّهمَ لى منه كُلُومْ كلُّنا نازحُ أيْكٍ وفريق
قلِّب الدنيا تَجِدْهَا قِسَمًا صُرِّفَتْ من أنْعُمٍ أو أبْؤسِ
وانظر الناسَ تَجِدْ من سَلِما من سهام الدهر شَجَّتْهُ القِسِى

* * *

ياشبابَ الشرقِ عُنْوانَ الشبابْ ثمراتِ الحَسَبِ الزّاكى النَّمير

---

١ – لم ينبجس : لم يتفجر ٢ – يقال جرح نغاز : أى جياش بالدم .
٣ – رسف مشى مشية المقيد .

حَسْبُكم فى الكرم المحْضِ اللُّبَابْ سِيرةٌ تبقى بقاء ابنىْ سَمِيرْ(١)
فى كتاب الفخرِ (للداخلِ)(٢) بابْ لم يَلِجْه من بنى المُلْكِ أميرْ
فى الشموس الزُّهْرِ بالشام انتمى ونَمَى الأقمارَ بالأندلسِ
قعد الشرقُ عليهم مأتَما وانثنى الغربُ بهم فى عُرُسِ

* * *

هل لكم فى نَبَإٍ خيرِ نَبَأْ حِلْيةِ التاريخِ ، مأثورٍ عظيمْ
حَلَّ فى الأنباءِ ما حَلَّتْ سَبَأْ منزلَ الوُسْطَى من العِقْدِ النَّظيمْ
مِثْلَه المقدارُ يوماً ما خَبَأْ لسَليبِ التاجِ والعرشِ كَظيمْ
يُعْجِزُ القُصَّاصَ إلا قَلَمَا فى سوادٍ مِنْ هَوًى لم يُغْمَسِ
يُؤْثِرُ الصدقَ ويَجْزِى عَلَما قَلَبَ العالمَ لو لم يُطْمَسِ؟

* * *

عن عِصامِىٍّ نبيلٍ مُعْرِقِ فى بُناةِ المجدِ أبناءِ الفخَارْ ؟
نهضت دَوْلَتُهم بالمشرقِ نهضةَ الشمسِ بأطرافِ النهارْ
ثم خان التاجُ وُدَّ المَفْرِقِ ونبَتْ بالأنجُمِ الزُّهْرِ الديارْ
غفلوا عن ساهرٍ حولَ الحِمى باسطٍ من ساعِدَىْ مُفْتَرِسِ
حام حولَ الملكِ ثم اقتحما ومشى فى الدم مَشْىَ الضَّرِسِ

* * *

ثَأْرُ عثمانَ لمروانٍ مَجازْ بِدَمِ السِّبْطِ.(٣) أثار الأقربونْ
حَسَّنوا للشام ثأْرًا والحجازْ فتغالى الناسُ فيما يطلبونْ
مَكْرُ سُوّاسٍ على الدَّهْماءِ جازْ ورُعاةٌ بالرعايا يلعبون
جعلوا الحقَّ لبَغْىٍ سُلَّمَا فهو كالسِّتر لهم والتُّرُسِ
وقديماً باسمه قد ظَلَمَا كلُّ ذى مِئْذَنَةٍ أو جَرَسِ

---

١ ــ ابنى سمير : الليل والنهار ــ٢ــ هو عبد الرحمن الداخل أول ملوك بنى أمية فى الأندلس ــ٣ــ يعنى بالسبط الحسين بن على صلوات الله عليه.

جُزِيَتْ مَرْوَانُ (١) عن آباءِها ما أراقوا من دِماءٍ ودُموعْ
ومن النفسِ ومن أهوائها ما يؤدِّيه عن الأصل الفُروعْ
خَلَت الأعوادُ من أسمائها وتَغَطَّتْ بالمصاليب الجُذوعْ
ظَلَمتْ حتى أصابَتْ أظْلَما(٢) حاصدَ السيفِ ، وبيءَ المَحبَسِ
فَطِنًا فى دعوة الآلِ لما هَمس الثَّانِى وما لم يَهْمِسِ

* * *

لبِسَتْ بُرْدَ النبيِّ النَّيِّراتْ من بنى العباس نوراً فوقَ نُورْ
وقديماً عند مَرْوَانٍ تِراتْ لزكِيّاتٍ من الأنفُسِ نُورْ
فنجا الداخلُ سَبْحًا بالفُراتْ تاركَ الفتنةِ تطْغَى وتَنور(٣)
غَسَّ(٤) كالحُوتِ به واقتحما بين عِبْرَيْهِ عيونَ الحرَسِ
ولقد يُجْدِى الفتى أن يَعلَما صَهوةَ الماءِ ومَتْنَ الفَرَسِ

* * *

صَحِبَ الداخلَ من إخْوَتِهِ حَدَثٌ خاض الغُمَارَ ابْنَ ثَمَانْ
غلَبَ الموجَ على قُوَّتِه فكأن الموجَ من جُندِ الزمانْ
وإذا بالشَّطِّ من شِقْوَتِهِ صائحٌ صاحَ به : نِلتَ الأمانْ
فانثنى مُنْخَدِعاً مُسْتَسْلِما شاةً اغْتَرَّتْ بعهدِ الأطْلَسِ(٥)
خَضَبَ الجندُ به الأرضَ دَمًا وقلُوبُ الجندِ كالصخرِ القَسِى

* * *

أيُّها اليائسُ ، مُتْ قبلَ المماتْ أو إذا شئتَ حياةً فالرَّجا
لا يَضِقْ ذَرْعُك عند الأزماتْ إن هى اشتدَّتْ وأمِّلْ فَرَجا
ذلك الداخلُ لاقَى مُظْلِماتْ لم يكن يأمُل منها مَخْرجا

---

١ ــ يعنى بمروان : بنى مروان ــ ٢ــ الأظلم هنا : هو ابومسلم الخراسانى صاحب دعوة بنى العباس وقد سلب بنى أمية ملكهم ــ ٣ــ ثارت الفتنة : وقمت وانتشرت ــ ٤ــ غس : دخل ومضى ــ ٥ــ الأطلس : الذئب .

قد تَوَلَّى عِزُّه وانصرَما فمضى من غَدِه لم يَبْأَسِ
رامَ بالمغرب مُلْكًا فرمى أبعدَ الغَمْرِ ، وأقصى اليَبَسِ

* * *

ذاك — واللهِ — الغِنَى كلُّ الغِنَى أىّ صعبٍ فى المعالى ما سَلَكْ
ليس بالسائل إن هَمَّ : مَتى؟ لا ، ولا الناظرِ ما يُوحِى الفَلَكْ
زايَلَ المُلْكُ ذَوِيهِ فأَتَى مُلكَ قومٍ ضَيَّعوه فملَكْ
غَمَراتٌ عارَضَتْ مُقْتَحِمًا عالِىَ النفسِ أَشَمَّ المَعْطِسِ(١)
كلُّ أرضٍ حَلَّ فيها ، أو حِمَى منزلُ البدرِ ، وغابُ البَيْهَسِ(٢)

* * *

نَزَلَ النَّاجى على حُكم النَّوَى وتَوارَى بالسُّرَى من طالبِيهْ
غيرَ ذى رَحْلٍ ولا زادٍ سوى جَوْهَرٍ واقاه من بيت أَبِيهْ
قمرٌ لاقى خُسوفاً فانْزَوى ليس من آبائه إلا نَبِيهْ
لم يَجِدْ أعوانَه والخَدَما جانبوه غيرَ (بَدْرٍ) الكَيِّسِ
من مَوَالِيه الثِّقاتِ القُدَما لم يخنه فى الزمان المُوئِسِ

* * *

حينَ فى إفريقيا انحلَّ الوِئَامْ واضمحلَّتْ آيةُ الفتحِ الجليلْ
ماتت الأُمَّةُ فى غير التئامْ وكثيرٌ ليس يلتامُ قليلْ
يَمَنٌ سَلَّتْ ظباها والشآمْ شامُها(٣) هِنْدِيَّةٌ ذاتَ صَلِيلْ
فرَّق الجندَ الغِنى فانقَسما وغدا بينهم الحقُّ نَسِى
أوحَشَ السُّؤددُ فيهم ، وسَما للمعالى مَنْ به لم تَأْنَسِ

* * *

رُحِموا بالعَبقرىِّ النَّابِهِ البعيدِ الهِمَّةِ الصَّعْبِ القِيادْ

---

١ — المعطس : الأنف — ٢ — البيهس : الأسد . — ٣ — شام : سل .

مدّ فى الفتحِ وفى أطنابِهِ لم يَقِفْ عندَ بِناءِ ابنِ زِيادْ(١)
هجرَ الصَّيْدَ ، فما يُغْنَى به وهْوَ بالملك رفيقٌ ذو اصطيادْ
سَلْ به أندلساً : هل سَلِما من أخى صَيْدٍ رفيقٍ مَرِسِ؟(٢)
جرَّد السيفَ . وهزَّ القلما ورمى بالرأى أمَّ الخُلَسِ(٣)

* * *

بسلامٍ يا شِراعًا ما دَرَى ما عليه من حَيَاءٍ وسَخاءْ
فى جَنَاحِ المَلَكِ الرُّوحِ(٤)جَرَى وبريحٍ حفَّها اللطفُ رُخَاءْ
غسل اليَمُّ جِراحَاتِ الثَّرى ومحا الشِّدَّةَ مَنْ يمحو الرَّخاءْ
هل دَرَى أندلسٌ مَنْ قديمًا دارَه من نحو بيتِ المَقدِسِ؟
بسليل الأمَوِيِّين سَما فتحُ موسى مُسْتَقِرُّ الأُسُسِ

* * *

أمويٌّ للعُلا رحلَتُهُ والمعالى بمطِيٍّ وطُرُقْ
كالهلال انفردَتْ نُقْلَتُهُ لا يُجاريه ركابٌ فى الأُفُقْ
بُنِيَتْ من خُلُقٍ دُولَتُهُ قد يَشِيدُ الدُّوَلَ الشُّمَّ الخُلُقْ
وإذا الأخلاقُ كانت سُلَّما نالت النجمَ يَدُ المُلتَمِسِ
فارْقَ فيها تَرْقَ أسبابَ السما وعلى ناصيةِ الشمسِ أجْلِسِ

* * *

أىّ مُلكٍ من بِنَاياتِ الهِمَمْ أسَّسَ الدّاخلُ فى الغربِ وشادْ؟
ذلك الناشئُ فى خيرِ الأُمَمْ ساد فى الأرض ولم يُخْلَقْ يُساد
حكمَتْ فيه الليالى وحَكَمْ فى عَواديها قِيادًا بقِيادْ
سُلِبَ العزَّ بشرقٍ فرَمَى جانبَ الغربِ لعزٍّ أقْعَسِ

---

١ — هو طارق بن زياد مولى موسى بن نصير فاتح الأندلس فى عهد عبد الملك بن مروان الخليفة الأموى ٢ — المرس : الشديد المجرب فى الحروب ، يقال : أنه لمرس حذر ٣ — الخلس : جمع خلسة وهى الفرصة
٤ — الملك الروح : جبريل .

وإذا الخيرُ لعبد قُسِما سنَح السَّعدُ له فى النَّحَسِ

* * *

أيُّهَا القلبُ ، أحقٌّ أنتَ جارْ للذى كان على الدهر يجيرْ ؟
هاهنا حلّ به الرّكبُ وسارْ وهنا ثاوٍ إلى البعث الأسيرْ
فَلَكُ بالسعدِ والنحسِ مُدارْ صَرع الجَامَ(١)وألوَى بالمُديرْ
هاهنا كنتَ تَرى حُوَّ الدُّمَى فاتناتٍ بالشِّفاه اللُّعُسِ(٢)
ناقلاتٍ فى العَبيرِ القَدَما واطئاتٍ فى حَبير السُّنْدُسِ

* * *

خُذْ عن الدنيا بليغَ العِظَةِ قد تَجَلَّتْ فى بليغ الكَلِم
طرَفاها جُمِعا فى لَفْظَةِ فتأمَّلْ طرَفَيْها تَعْلَمِ
الأَمانى حُلُمٌ فى يَقْظَةِ والمنايا يقظةٌ من حُلُمِ
كلُّ ذى مِقْطَيْنِ(٣) فى الجوِّ سما واقعٌ يوماً وإن لم يُغْرَسِ
وسيلقى حَيْنَهُ نَسْرُ السما يوم تُطْوَى كالكتاب الدرس

* * *

أين — يا واحدَ مروانَ — عَلَمْ من دعاك الصقر سَمَّاه العُقابْ؟(٤)
رايةٌ صرَّفها الفردُ العَلَمْ عن وجوه النصرِ تصريفَ النقابْ
كنتَ إن جرَّدْتَ سيفًا أو قَلَمْ أُبْتَ بالألباب أو دِنْتَ الرِّقابْ
ما رأى الناسُ سواه عَلَما لم يُرَمْ فى لُجَّةٍ أو يبسِ
أعلى رُكن السِّماك ادَّعَما وتغطَّى بجَناح القُدُسِ

* * *

قصرُك (المُنْيَةُ) من قُرْطُبَةٍ فيه وارَوْكَ ، ولله المَصيرْ

---

١ — الجام : الكأس — ٢ — اللعس : سواد مستحسن فى الشفة .
٣ — المقط : جناح الطائر — ٤ — العقاب : اسم راية الداخل .

صَدَفٌ خُطَّ على جوهرةٍ بَيْدَ أن الدهر نَبَّاشٌ بصيرْ
لم يَدَعْ ظلاًّ لقصر (المُنْيَةِ) وكذا عُمْرُ الأَمانِيِّ قصيرْ
كنتَ صقرًا قُرَشِيًّا عَلَمَا ما على الصقر إذا لم يُرْمَسِ
إن تَسَلْ : أين قبورُ العُظَما ؟ فعلى الأفواه أو فى الأنفُسِ

* * *

كم قبورٍ زَيَّنَتْ جِيدَ الثرى تحتها أنجسُ من مَيْتِ المجوسْ
كان مَنْ فيها وإن جازوا الثرى قبلَ موتِ الجسم أمواتُ النفوسْ
وعظامٌ تتزكَّى عنبرا من ثناءٍ صِرْنَ أغفالَ الرُّموسْ
فاتَّخِذْ قبرَكَ من ذِكرٍ ، فما تَبْنِ من محمودِه لا يُطْمَسِ
هَبْكَ من حرص سكنْتَ الهرما أين بانيه المنيعُ الملْمَسِ ؟!

زَحْلَة

شيَّعتُ أحلامى بقلبٍ باكٍ ولمحتُ من طُرُق الملاحِ شِباكى
ورجعتُ أدراجَ الشباب وورْدَه أمشى مكانَهما على الأشواك
وبجانبى واهٍ ، كأن خُفوقَه لما تلفَّتَ جَهْشَةُ المتباكى
شاكى السلاحِ إذا خلا بضلوعه فإذا أُهِيبَ به فليس بشاك
قد راعه أنى طوَيْتُ حبائلى من بعد طول تناولٍ وفكاك
وَيْحَ ابنِ جَنْبى ! كلُّ غايةِ لذَّةٍ بعدَ الشباب عزيزةُ الإدراك
لم تبقَ منا — يافؤادُ — بقيَّةٌ لفتوّةٍ ، أو فَضلةٌ لعِراك
كنا إذا صفَّقْتَ نستبق الهوى ونَشُدُّ شَدَّ العُصبةِ الفتَّاك

واليومَ تبعث فىّ حين تَهُزُّنى ما يبعث الناقوسُ فى النُّسّاك

* * *

ياجارةَ الوادى ، طَرِبْتُ وعادنى ما يشبهُ الأحلامَ من ذكراك
مَثَّلْتُ فى الذكرى هوالكِ وفى الكرى والذكرياتُ صَدَى السنينَ الحاكى
ولقد مررْتُ على الرياض برَبْوَةٍ غَنَّاءَ كنتُ حيالَها ألقاك
ضحِكَتْ إلىّ وجُوهها وعيونُها ووجدْتُ فى أنفاسها ريّاك
فذهبتُ فى الأيام أذكر زَفْرَةً بين الجداولِ والعيونِ حَواك
أذكَرْتِ هَرْوَلَةَ الصبابةِ والهوى لما خَطَرْتِ يُقبِّلان خُطاك ؟
لم أدر ماطِيبُ العِناقِ على الهوى حتى ترفَّق ساعدى فطواك
وتأوَّدَتْ أعطافُ بانِك فى يدى واحمرّ من خَفَرَيْهما خدّاك
ودخَلْتُ فى ليلين : قَرْعِك والدُّجى ولثمتُ كالصّبح المنوِّرِ فاكِ
ووجدْتُ فى كُنْهِ الجوانحِ نَشْوَةً من طيب فيك ، ومن سُلافِ لَمَاك
وتعطَّلَتْ لغةُ الكلامِ وخاطبَتْ عَيْنَىَّ فى لغة الهوى عيناك
ومَحَوْتُ كلَّ لُبانةٍ من خاطرى ونَسِيتُ كلَّ تَعاتُبٍ وتَشاكى
لا أمين من عمرِ الزمان ولا غَدٌ جُمِع الزمانُ فكان يومَ رِضاك

* * *

لُبنانُ ، ردّتنى إليكَ من النوى أقدارُ سَيْرٍ للحياة دَرَاك
جمعَتْ نزيلَىْ ظَهرِها من فُرقةٍ كُرَةٌ وراء ضَوالجِ الأفلاك
تمشى عليها فوقَ كلِّ فجاءةٍ كالطير فوقَ مَكامِنِ الأشراك
ولو أنّ بالشوق المزارُ وجدتنى مُلْقَى الرحالِ على ثَراك الذاكى

* * *

بِنْتَ البِقاعِ وأمَّ بَرْدُونيَّها طِيبِى كجِلَّقَ ، واسكبى بَرداك

ودِمَشْقُ جَنَّاتُ النعيم ، وإنما ... ألفَيْتُ سُدَّةَ عَدْنِهِنَّ رُبَاك
قَسَمًا لو انتمت الجداولُ والرُّبا ... لتهلَّل الفردوسُ ، ثُمَّ نَمَاك
مَرْآكِ مَرْآه وَعَيْنُكِ عَيْنُه ... لِمْ يا زُحَيْلةُ لا يكون أباك ؟
تلك الكُرُومُ بقيَّةٌ من بابلٍ ... هَيْهَاتَ ! نَسَّى البابليَّ جَنَاك
تُبْدِى كَوَشْيِ الفُرْسِ أفْتَنَ صِبْغةٍ ... للناظرين إلى أَلَذِّ حِيَاك
خَرَزَاتِ مِسْكٍ ، أوعُقودَ الكهربا ... أُودِعْنَ كافورًا من الأسلاك
فكَّرْتُ فى لَبَنِ الجِنانِ وخمرِها ... لما رأيْتُ الماءَ مَسَّ طِلاك
لم أَنْسَ من هِبَةِ الزمانِ عَشِيَّةً ... سَلَفَتْ بظلِّكِ وانقضَتْ بذَراك
كُنْتِ العروسَ على مِنصَّة جِنْحِها ... لُبنانُ فى الوَشْيِ الكريمِ جَلاك
يمشى إليكِ اللَّحظُ فى الديباج أو ... فى العاج من أَىِّ الشِّعابِ أتاك
ضَمَّتْ ذراعيْها الطبيعةُ رقَّةً ... صِنِّينَ والحَرَمُونَ(١) فاحتضناك
والبدرُ فى ثَبَجِ السماء مُنَوِّرٌ ... سالت حُلاه على الثرى وحُلاك
والنيِّراتُ من السحاب مُطِلَّةٌ ... كالغِيد من سِتْرٍ ومن شُبَّاك
وكأنَّ كلَّ ذُؤابةٍ من شاهِقٍ ... ركنُ المجرَّةِ أو جدارُ سِماك
سكنَتْ نواحى الليلِ ، إلا أنَّةً ... فى الأيْكِ ، أو وَتَرًا شَجِىَّ حَرَاك
شرفًا ـ عروسَ الأرْزِ ـ كلُّ خَرِيدةٍ ... تحتَ السماءِ من البلاد فِداك
رَكَزَ البيانُ على ذراك لواءه ... ومشى ملوكُ الشعر فى مَغْنَاك
أدباؤكِ الزُّهْرُ الشموسُ ، ولا أرى ... أرضاً تَمَخَّضُ بالشموس سِواك
من كلِّ أَرْوَعَ عِلْمُه فى شعره ... ويراعُه من خُلْقه بمَلاك
جمع القصائدَ مِن رُباكِ ، وربَّما ... سرق الشمائلَ من نسيم صَباك

---

١ ـ هضبتان فى زحلة .

(موسى) ببابكِ فى المكارم والعلا وعَصاه فى سحر البيانِ عَصاكِ
أحْلَلْتِ شعرى منكِ فى عُليا الذُّرا وجَمْعتِه برواية الأملاك
إن تُكرمى يازَحْلُ شعرى إننى أنكرْتُ كلَّ قصيدة إلّاك
أنتِ الخيالُ : بديعُهُ ، وغريبُه اللهُ صاغك ، والزمانُ رَواك

ذِكرَى اسْتِقْلالِ سُورِيّا وذِكْرَى شُهَدَائِها

حياةٌ ما نريدُ لها زِيالا ودنيا لا نَودّ لها انتقالا
وعيشٌ فى أُصول الموتِ سمٌّ عُصارتُه ، وإن بَسَط الظلالا
وأيامٌ تطيرُ بنا سحاباً وإن خِيلَتْ تَدِبّ بنا نِمالا
نُريها فى الضمير هَوًى وحُبّاً ونُسمِعها التبرُّمَ والملالا
قِصارٌ حين نجرى اللهوَ فيها طوالٌ حين نقطعها فعالا
ولم تضق الحياةُ بنا ، ولكنْ زحامُ السوءِ ضيَّقها مَجالا
ولم تقتل براحتها بَنيها ولكنْ سابقوا الموتَ اقتتالا
ولو زاد الحياةَ الناسُ سعياً وإخلاصاً لزادتهم جمالا

* * *

كأن الله إذ قَسَم المعالى لأهل الواجب ادّخر الكمالا
ترى جِدًّا ، ولستَ ترى عليهم ولوعاً بالصغائر واشتغالا
وليسوا أرغَد الأحياء عيشًا ولكنْ أنعَمَ الأحياء بالا
إذا فعلوا فخيرُ الناس فعلاً وإن قالوا فأكرمُهم مَقالا
وإن سَألتْهُمُو الأوطانُ أعطَوْا دماً حرًّا ، وأبناءً ، ومالا

* * *

بَنِى البلدِ الشقيقِ ، عزاءً جارٍ ... أهاب بدمعه شَجَنٌ فسالا
قضى بالأمس للأبطال حقًّا ... وأضحى اليومَ بالشهداء غالى
يُعظِّم كلَّ جُهدٍ عبقرىٌّ ... أكان السِّلْمَ أم كان القتالا
ومازلنا إذا دَهَت الرزايا ... كأرحمِ مايكون البيتُ آلا
وقد أنسى الإساءةَ من حسودٍ ... ولا أنسى الصنيعةَ والفَعالا
ذكرتُ المِهْرَجانَ وقد تجلَّى ... ووفدَ المشرقين وقد توالى
ودارِى بينَ أعراسِ القوافى ... وقد جُلِيَتْ سماءً لا تُعالى
تسلَّلَ فى الزحام إلىَّ نِضْوٌ ... من الأحرار تحسبه خيالا
رسولُ الصابرين ألمَّ وهناً ... وبلَّغنى التحيةَ والسؤالا
دنا منى فناولنى كتاباً ... أحسَّتْ راحتاى له جلالا
وجدتُ دمَ الأُسودِ عليه مِسْكًا ... وكان الأصلُ فى المِسْكِ الغزالا
كأنَّ أسامِىَ الأبطالِ فيه ... حَوَاميمٌ على رَقٍّ تتالى
رواةُ قصائدى قد رتَّلوها ... وغَنَّوْها الأَسِنَّةَ والنِّصالا
إذا ركزوا القنا انتقلوا إليها ... فكانت فى الخيام لهم نِقالا

* * *

بَنِى سوريَّةَ ، التئموا كيوم ... خرجتم تطلبون به النِّزالا
سَلُو الحريةَ الزهراء عنَّا ... وعنكم :هل أذاقتنا الوِصالا؟
وهل نِلْنَا كلانا اليومَ إلا ... عراقيبَ المواعدِ والمِطالا ؟
عرقتم مهرَها فمهرتموها ... دماً صَبَغَ السباسبَ والدِّغالا
وقمتم دونها حتى خضبتم ... هَوَادِجَها الشريفةَ والحِجالا
دعوا فى الناس مفتوناً جباناً ... يقول :الحربُ قد كانت وَبالا

أيطلب حقَّهم بالروح قومٌ ... فتسمع قائلا :ركبوا الضلالا؟
وكونوا حائطًا لا صدعَ فيه ... وصفًّا لا يُرَقَّع بالكسالى
وعيشوا فى ظلالِ السلم كدًّا ... فليس السلمُ عجزًا واتّكالا
ولكن أبْعَدَ اليومين مَرْمًى ... وخيرَهما لكم نصحاً وآلا
وليس الحربُ مَرْكَبَ كلِّ يومٍ ... ولا الدمُ كلَّ آونةٍ حلالا

* * *

سأذكر ماحَنِيتُ جدارَ قبرٍ ... بظاهر جِلَّق رَكِبَ الرمالا
مقيمٌ ما أقامت (ميسلونٌ) ... يذكر مصرعَ الأسدِ الشِّبالا
لقد أوْحَى إلىّ بما شجانى ... كما توحى القبورُ إلى الثَّكالى
تَغَيَّبَ عظمةُ العَظَماتِ فيه ... وأوّلُ سيِّدٍ لَقِىَ النِّبالا
كأنّ بُناتَهُ رفعوا مَنارًا ... من الإخلاص ، أو نصبوا مِثالا
سراجُ الحقِّ فى ثبَجِ الصحارى ... تَهاب العاصفاتُ له ذُبالا
ترى نورَ العقيدةِ فى ثراه ... وتَنْشَقُ من جوانبه الخِلالا
مشى ومشَتْ فيالقُ من فرنسا ... تجرّ مَطارِفَ الظفرِ اختيالا
ملأْنَ الجوّ أسلحةً خِفافاً ... ووجهَ الأرضِ أسلحةً ثِقالا
وأرسَلْن الرياحَ عليه نارًا ... فما حفل الجنوبَ ولا الشَّمالا
سلوه : هل ترجَّل فى هبوبٍ ... من النيران أرْجَلَت الجِبالا؟
أقام نهارَه يُلْقِى ويَلْقَى ... فلما زال قرصُ الشمس زالا
وصاح : ترى به قَيْدَ المنايا ... ولستَ ترى الشَّكِيمَ ولا الشِّكالا
فكُفِّن بالصوارم والعوالى ... وغُيِّب حيثُ جال وحيثُ صالا
إذا مرّتْ به الأجيالُ تترَى ... سمِعْتَ لها أزيزًا وابتهالا
تَعلَّق فى ضمائرهم صليباً ... وحلَّق فى سرائرهم هلالا

تِمثالُ نَهْضةِ مِصْر

جعلتُ حُلاها وتمثالها عيونَ القوافى وأمثالَها
وأرسلتُها فى سماء الخيال تجرُّ على النجم أذيالها
وإنى لأُريدُ هٰذى البِطاحِ تَغَذَّى جَناها وسَلْسالها
ترى مِصرَ كعبةَ أشعاره وكلُّ معلَّقةٍ قالها
وتلمَحُ بين بيوتِ القصيدِ خِجالَ(١) العروسِ وأحجالها (٢)
أدار النسيبَ إلى حبِّها وولَّى المدائحَ إجلالها
أرَنَّ بغابرها العبقرىّ وغنَّى بمثل البُكا حالها
ويَرْوِى الوقائعَ فى شعره يَروضُ على البأْس أطفالها
وما لمَحوا بعدُ ماءَ السيوفِ فما ضَرّ لو لمَحوا آلها

* * *

ويومٍ ظليلِ الضحى من بشَنسَ أفاء على مصرَ آمالها
رَوَى ظلُّه عن شباب الزمانِ رفيفَ الحواشى وإخضالها (٣)
مشَت مصرُ فيه تُعيد العصورَ ويغمرُ ذكرُ الصِّبا بالها
وتَعْرض فى المِهرجان العظيمِ ضُحاها الخوالى وآصالها

* * *

وأقبلَ (رمسيسُ) جَمَّ الجَلالِ سَنِىَّ المواكبِ ، مُختالها
وما دان إلا بِشُورَى الأُمور ولا اختال كِبْرًا ، ولا استالها (٤)
فحيَّا بأبْلجَ مثلِ الصَّباحِ وجوهَ البلادِ وأرسالها
وأوْما إلى ظلماتِ القرونِ فشقّ عن الفنّ أسدالها

* * *

---

١ ــ الخجال : جمع حجلة ، وهى بيت العروس ــ٢ــ الأخجال : الخلاخيل ــ٣ــ اخضل الشىء : ابتل ــ٤ــ استالها : أصله استأله ، أى تشبه بالاله .

فمن يُبَلِّغُ (الكرنكَ) الأَقصَرىَّ ويُنْبِئْ (طِيبةَ) أطلالها
ويُسمِع ثَمَّ بِوادى الملوكِ ملوكَ الديار وأقيالها
وكلَّ مخلَّدةٍ فى الدُّمَى هنالك لم نُحْصِ أحوالها
عليها من الوَحْيِ ديباجةٌ ألحّ الزمانُ فما ازدالها
تكاد — وإن هى لم تتصل بروحٍ — تُحَرِّك أوصالها
وما الفنُّ إلا الصريحُ الجميلُ إذا خالَط النفسَ أوحى لها
وما هو إلا جمالُ العقول إذا هى أَوْلَتْه إجمالها

* * *

لقد بعث اللهُ عهدَ الفنون وأخرجت الأَرضُ مَثَّالها
تعالوْا نرى كيف سوَّى الصَّفاةَ فتاةٌ تُلمْلِمُ سِربالها
دنت من أبى الهول مَشى الرَّءُومِ إلى مُقْعَدٍ هاج بَلْبالها
وقد جاب فى سَكَرات الكَرَى عُرُوضَ الليالى وأطوالها
وألْقى على الرمل أرْواقَه(١) وأرْسَى على الأَرض أثقالها
يُخال لإطراقه فى الرِّمال سَطِيحَ(٢) العصورِ ورَمّالها
فقالت : تَحرَّكْ ، فَهمّ الجمادُ كأَن الجمادَ وعَى قالها
فهل سَكبَتْ فى تجاليده شُعاعَ الحياةِ وسَيَّالها ؟
أتذكُر إذ غضِبَت كاللّباةِ(٣) ولمّت من الغِيل أشبالها ؟
وألقت بهم فى غِمار الخطوبِ فخاضوا الخطوبَ وأهوالها
وثاروا ، فجنّ جُنونُ الرياحِ وزُلزِلتِ الأَرضُ زِلزالها

---

١ — يقال القى أرواقه بالمكان : نزل به وضرب خيمته ٢ — سطيح :اسم لكاهن من كهان العرب ، والسطيح ايضا : البطىء القيام لضعف أو زمانة
٣ — اللباة : لغة فى اللبؤة .

وبات تَلَمُّسُهم شيخَهم حديثَ الشعوب وأشغالها
ومَن ذا رأى غابةً كافحتْ فردَّت من الأَسْرِ رِئبالها ؟
وأهْيَبُ ما كان بأْسُ الشعوبِ إذا سلَّح الحقُّ أغزَالها

* * *

(فوادُ) ، ارفع السِّترَ عن نهضة تقدّم جَدُّك أبطالها
ورُبَّ امرئٍ لم تَلِده البلادُ نماها ، ونبَّه أنسالها (١)
وليس اللآلئُ مِلْكَ البحورِ ولكنها مِلْكُ من نالها
وما (كعليٍّ) ولا جيلِه إذا عرَضت مصرُ أجيالها
بَنَوْا دولةً من بنات الأَسِنَّ ةِ لم يشهد (النيلُ) أمثالها
لئن جلَّل البحرَ أسطولُها لقد لبِس البرُّ قَسطالها(٢)
فأما أبوكَ فدنيا الحضا رةِ لو سالم الدّهرُ إقبالها
تخيّر (إفريقيا) تاجَه وركَّب فى التاج (صُومالها)
ركابُك يا (ابن المُعِزِّ) الغُيوثُ ويفضُلْنَ فى الخير مِنوالها
إذا سِرْن فى الأرض نَسَّيْنها ركابَ السماء وأفضالها
فلم تبرح القصرَ إلا شفيْتَ جُدوبَ العقول وإمحالها
لقد ركَّب اللهُ فى ساعديك يمينَ الجدود وشمالها
تخُطُّ وتَبنِى صُروحَ العلومِ وتفتح للشّرق أقفالها

---

١ — انسال : جمع نسل ٢ — القسطال : غبار الحرب .

الحُرّيّة الحمْراءُ

قيلت فى احتفال بيوم ١٣ نوفمبر

فى مِهرجانِ الحقِّ أو يوم الدمِ ... مُهَجٌ من الشهداء لم تتكلم
يبدو على هاتورَ نورُ دمائها ... كدمِ الحسينِ على هلال محرّم
يومُ الجِهادِ بها كصدر نَهارِه ... متمايِلُ الأعطافِ مُبْتسِمُ الفم
طلعت تَحُجُّ البيتَ فيه كأنّها ... زُهْرُ الملائكِ فى سماء المَوْسم
لم لا تُطِلُّ من السماء وإنما ... بين السحابِ قبورُها والأنجم؟
ولقد شَجاها الغائبون ، وراعها ... ما حلَّ بالبيت المضىء المظلم
وإذا نظرتَ إلى الحياة وجدتَها ... عُرساً أُقيم على جوانب مأتم
لا بُدَّ للحرّيةِ الحمراء من ... سَلوى تُرَقِّد جرحَها كالبَلسم
وتبسُّمٍ يعلو أَسِرَّتَها كما ... يعلو فمَ الثَّكْلَى وثغرَ الأيِّم
يومُ البطولة لو شهدتُ نهارَه ... لنظمْتُ للأجيالِ ما لم يُنْظَم
غَبِنَتْ حقيقتُه ، وفات جمالُها ... باعَ الخيالِ العبقرى الملهَم
لولا عوادى النَّفْىِ أو عقباتُه ... والنفْىُ حالٌ من عذاب جَهَنَّم
لجمعتُ ألوان الحوادثِ صورةً ... مَثَّلْتُ فيها صورةَ المُستسلِم
وحكيتُ فيها النيلَ كاظمَ غيظِه ... وحكيتُه مُتغيِّظًا لم يَكْظِم
دَعَت البلادَ إلى الغِمار فغامرتْ ... وطنيّةٌ بمُثَقَّفٍ ومُعلَّم
ثارتْ على الجانى العتيدِ ، وأقسمتْ ... بسواه جلَّ جلالُه لا تحتمى
نثر الكنانةَ ربُّها ، وتخيَّرتْ ... يدُه لنُصرتها ثلاثةَ أسهم
من كلِّ أعزلَ حقُّه بيمينه ... كالسيف فى يُمْنَى الكَمِىِّ المُعْلَم
لم يُحجِموا فى ساعةٍ قد أظفرتْ ... بمَلِكَ البخارِ بكلِّ قيْصَرَ مُحجِم

وقفوا مَطِيَّهمو بسُلَّم قصرِه والبأْسُ والسلطانُ دون السُّلَّم
وتقدّموا ، حتى إذا ما بلّغوا أوْحَوْا إلى مصرَ الفتاةِ : تقدّمى
سالت من الغاب الشُّبولُ غَلابها لبنُ اللُّباةِ ، وهاج عِرْقُ الضَّيْغَم
يومَ النضالِ ، كَسَتْكَ لونَ جمالِها حمْرَيَّةٌ صَبَغَتْ أديمَكَ بالدم
أصبحتَ من غُرَر الزمان ، وأصبحت
ضحكتْ أَسِرَّةُ وجهِكَ المتجهِّم
ولقد يتمْتَ ، فكنت أعظمَ رَوْعةً ياليت من « سعد » الحمى لم تَيتم
لِيَنَمْ أبو الأشبالِ مِلْءَ جفونِه ليس الشُّبولُ عن العرين بنُوَّم

وقال فى تكريم الدكتور على بك إبراهيم الجراح العبقرى :

ابتغوا ناصيةَ الشمس مكانا وخُذوا القمّةَ علمًا وبيانا
واطلبُوا بالعبقريات المدى ليس كلُّ الخيلِ يشهدن الرِّهانا
ابعثوها سابقاتٍ نُجُباً تملأُ المضمارَ معنًى وعِيانا
وثِبوا للعزِّ من صَهْوَتِها وخذوا المجدَ عِنانًا فعنانا
لا تُثِيبوها على ما قلّدَتْ من أيادٍ ، حسدًا أو شَنآنا

* * *

وضئيلٍ من أُساةِ الحىِّ لم يُغْنَ باللحم وبالشحم اختزانا
ضامرٍ فى مُفْعَةٍ تحسبه نِضْوَ صحراءَ ارتدى الشمسَ دِهانا
أو طبيبًا آيبًا من « طِيبةٍ » لم تَزَلْ تَنْدَى يداه زَعْفَرَانا
تُنكر الأرضُ عليه جسمَه واسمُه أعظمُ منها دَوَرانا
نالَ عرشَ الطبِّ من « امحوتبٍ » وتَلقّى من يَدَيه الصَّوْلَجانا
يا لأمحوتبَ من مُسْتأْلِهٍ لم يلد إلا حواريًّا هِجانا
خاشعًا لله ، لم يُزْهَ ، ولم يُرْهِق النفسَ اغترارًا وافتتانا

يلمس القدرة لمساً كلّما ... قلب الموت وجسّ الحيوانا
لو يُرى اللهُ بمصباح لما ... كان إلا العلمَ جلّ اللهُ شانا
فى خلالٍ لفتَتْ زَهْرَ الرُّبَى ... وسجايا أنسَتْ الشَّرْبَ الدُّنانا
لو أتاه مُوجَعًا حاسدُه ... سَلّ من جنب الحسودِ السرطانا
خيرُ مَنْ علّم فى «القصر» ومَن ... شقّ عن مُستترِ الداء الكِنانا
كلُّ تعليمٍ نراه ناقصًا ... سُلَّمٌ زَلّتْ إذا استعمل خانا
دَرَكٌ مُستحدَثٌ من دَرَجٍ ... ومن الرِّفعة ما حطّ الدخانا

* * *

لا عَدِمْنا «للسيوطىّ» يدًا ... خُلقَتْ للفتقِ والرتْقِ بَنانا
تَصْرِف المِشْرَطَ للبُرْءِ كما ... صرف الرّمْحُ إلى النصر السِّنانا
مَدّها كالأجل المبسوطِ فى ... طلب البُرْءِ اجتهادًا وافتنانا
تجد الفولاذَ فيها محسنًا ... أخذ الرفقَ عليها واللّيانا
يدُ «إبراهيمَ» لو جئتَ لها ... بذبيح الطيرِ عاد الطيرانا
لم تَخِطْ للناس يوماً كفنًا ... إنما خاطت بقاءً وكِيانا
ولقد يُؤْسَى ذوو الجرحى بها ... من جراح الدهر، أو يُشْفَى الحزانى
نَبغَ الجيلُ على مِشْرطها ... فى كفاح الموتِ ضرباً وطِعانا
لو أتت قبل نضوج الطبِّ ما ... وَجَدَ التنويمُ عوناً فاستعانا

* * *

يا طِرازًا يبعث اللهُ به ... فى نواحى مُلْكهِ آناً فآنا
من رجالٍ خُلِقوا ألويةً ... ونجوماً، وغيوثاً، ورعانا
قادة الناسِ وإن لم يقربوا ... طَبَعاتِ الهندِ والسُّمْرَ اللِّدانا

وغذاء الجيلِ فالجيلِ وإن نَسِيَ الأَجيالُ كالطفل اللَّبانا
وهمو الأَبطالُ كانت حربُهم منذ شنُّوها على الجهل عَوانا

* * *

ياأَخي — والذخرُ فى الدنيا أَخٌ حاضرُ الخيرِ على الخير أعانا
لك عند ابْنِيَ — أَوعندى — يدٌ لستُ آلوها ادكارًا وصِيانا
حَسُنَتْ منّى ومنه موقعًا فجعلنا حِرْزها الشكرَ الحُسانا
هل ترى أنتَ ؟ فإنى لم أَجِدْ كجميلِ الصُّنْعِ بالشكر اقترانا
وإذا الدنيا خلَتْ من خيرٍ وخلَتْ من شاكر هانت هَوانا
دفع اللهُ «حُسَيْنًا» فى يدٍ كيد الألطافِ رِفْقًا واحتضانا
لو تناوَلْتُ الذى قد لمَستْ منه ما زِدْتُ حِذارًا وحَنانا
جرحُه كان بقلبي ، يا أَبًا لا أُنَبِّيه بجُرْحِي كيف كانا ؟
لطف اللهُ فعوفينا معاً وارْتهنّا لكَ بالشكر لسانا

وقال وهى القصيدة التى أُلقيت فى دار الأُوبرا الملكية
فى حفلة افتتاح مؤتمر تكريمه الذى انعقد فيها

مرحبًا بالربيع فى رَيْعَانِهْ وبأَنواره وطِيبِ زَمانِهْ
رَفَّت الأَرضُ فى مواكِب آذا رَ ، وشبَّ الزمانُ فى مِهْرَجانِه
نزل السهلَ ضاحكَ البِشْرِ يمشى فيه مَشْيَ الأَميرِ فى بُستانه
عاد حَلْيًا بِرَاحَتَيْهِ وَوَشْيًا طولُ أَنهارِهِ وعَرْضُ جِنانه
لف فى طَيْلَسانِه طُرَرَ الأَر ضِ ، فطاب الأَديمُ من طيلسانه
ساحرٌ فتنةُ العيونِ مُبينٌ فصَّل الماء فى الرُّبا بجُمانه
عبقرىُّ الخيالِ ، زاد على الطَّيْ ف ، وأَربَى عليه فى ألوانه

صِبغَةُ الله ! أين منها رفائيـ ـلُ ومِنقاشُه وسحرُ بَنانه
رنّم الروضُ جَدولاً ونسيمًا وتلا طيرَ أيْكِهِ غصنُ بانه
وشدَت فى الرُّبا الرياحينُ هَمساً كتَغَنّى الطّروبِ فى وجدانه
كلُّ رَيْحَانةٍ بلحنٍ كعُرْسٍ أُلِّفَتْ للغناء شَتّى قِيانه
نَغَمٌ فى السماء والأرضِ شتّى من معانى الربيعِ أو ألحانه
أين نوْرُ الربيعِ من زهَرِ الشّعـ ـرِ إذا ما استوى على أفنانه ؟
سَرْمَدُ الحسنِ والبشاشةِ مهما تلتمسْهُ تجِدْه فى إبّانه
حَسَنٌ فى أوانِه كلُّ شىء وجمالُ القريضِ بعدَ أوانه
مَلَكٌ ظِلُّهُ على رَبْوَة الخُلـ ـدِ ، وكُرسيُّه على خُلجانه
أمَرَ اللهُ بالحقيقةِ والحكـ ـمةِ فالتفّتا على صَوْلجانه
لم تَثُرْ أُمّةٌ إلى الحَقِّ إلا بهُدَى الشعرِ أو خُطا شَيْطَانه
ليس عَزْفُ النحاسِ أوقَعَ منه فى شجاعِ الفؤادِ أو فى جبانه

* * *

ظلّلَتنى عنايةٌ من «فؤادٍ» ظلّل اللهُ عرشَهُ بأمانه
ورعانى ، رعَى الإلٰهُ له «الفارو قَ» طفلاً ، ويوم مَرْجُوٌّ شانه
مَلِكُ النيلِ من مَصَبّيْهِ بالشـ ـطِّ ، إلى مَنْبَعَيْهِ من سودانه
هو فى المُلك بَدْرُهُ المُتجَلّى حُفَّ بالهَالَتَيْنِ من (بَرلمانه)
زادهُ اللهُ بالنيابةِ عِزًّا فوقَ عِزِّ الجلالِ من سلطانه

* * *

منبرُ الحقِّ فى أمانةِ «سعدٍ» وقِوامُ الأُمورِ فى ميزانه
لم يَرَ الشرقُ داعيًا مثلَ «سعدٍ» رَجّه من بِطاحه ورِعانه(١)

---

١ ــ الرعان : رءوس الجبال .

ذكَّرتْه(١) عقيدةُ الناسِ فيهِ كيف كان الدخولُ فى أديانِه
نهضةٌ من فتَى الشيوخِ وروحٌ سرَيا كالشبابِ فى عُنفُوَانه
حرّكا الشرقَ من سكونٍ إلى القبـ ـرِ ، وثارَا بهِ على أرسانه
وإذا النفسُ أنهضَتْ من مريض دَرَجَ البُرءُ فى قُوَى جُثمانه

* * *

ياعُكاظاً تألَّفَ الشرقُ فيه من فِلسطينهِ إلى بَغْدانِه
افتقدْنا الحجَازَ فيه ، فلم نعْـ ـثُرْ على قُسِّهِ ولا سَحْبانه
حملَتْ مصرُ دونَه هيكلَ الدِّيـ ـنِ ، وروحَ البيانِ من فُرْقانه
وُطِّدَتْ فيكَ من دعائمها الفُصْـ ـحى ، وشُدَّ البيانُ من أركانه
إنما أنتَ جَلْبَةٌ لم يُسخَّر مثلُها للكلامِ يومَ رِهانه
تتبارى أصائلُ الشامِ فيها والمَذاكِي العِتاقُ من لُبنانه
قلَّدتْكَ الملوكُ من لؤلؤ البحـ ـرِ آلاءها ومن مَرْجانه
نخْلة لا تزال فى الشرق معنًى من بداواته ومن عُمرانه
حنَّ للشامِ حِقبةً وإليْها فاتحُ الغرب من بنى مَرْوانه
وحبتْنى بُمْبَاىُ فيها يَراعاً أفْرِغَ الوُدُّ فيه من عِقْيانه
ليس تَلْقَى يراعَها الهندُ إلا فى ذَرَا الخُلْقِ أو وراءَ ضَمانه
أنتَضِيه انتضاءَ موسى عصاه يَفْرُقُ المستبِدُّ من ثعبانه
يَلْتقِى الوحىَ من عقيدةِ حُرٍّ كالحوارىِّ فى مدَى إيمانه
غيرَ باغٍ إذا تطلَّبَ حقًّا أو لئيمِ اللَّجَاجِ فى عُدوانه
مُوكِبُ الشعرِ حرَّكَ المتنبى فى ثراهُ ، وهزَّ من حَسّانه
شرُفَتْ مصرُ بالشموسِ من الشر ق نجُومِ البيانِ من أعيانه

---

١ ــ الضمير عائد على الشرق .

قد عَرَفْنا بنجْمَهِ كلَّ أُفْقٍ واستبنّا الكتابَ من عُنوانه
لستُ أنسى يدًا لإخوانِ صدقٍ منحونى جزاء مالمْ أُعانِه
رُبَّ سامى البيانِ نَبَّهَ شأْنى أنا أسمو إلى نَباهة شانه
كان بالسبقِ والميادينِ أَوْلَى لو جرى الحظُّ فى سَواءِ عنانه
إنما أظهروا يدَ اللهِ عندى وأذاعوا الجميلَ من إحسانه
ما الرحيقُ الذى يذوقون من كرْ مِى ، وإن عِشْتُ طائفاً بدِنانه
وهَبونى الحَمامَ لذّةَ سجعٍ أينَ فضلُ الحمَام فى تَحنانه ؟
وَتَرٌ فى اللّهاةِ(١) ، ما للمُغَنّى من يدٍ فى صَفائه ولِيانه

* * *

رُبَّ جارٍ تَلفّتتْ مصرُ تُولِيـ ـه سؤالَ الكريمِ عن جيرانه
بَعثتْنى معزِّياً بآقى وطنى ، أو مُهنِّئًا بلسانه
كان شعرى الغناءَ فى فرح الشر قِ ، وكان العَزَاءَ فى أحزانه
قد قضى اللهُ أن يؤلِّفنا الجر حُ ، وأن نلتقى على أشجانه
كلما أنّ بالعراقِ جريحٌ لمس الشرقُ جَنْبَه فى عُمانه
وعلينا كما عليكم حديدٌ تَتنزّى اللُّيُوثُ فى قُضبانه
نحن فى الفقه بالديار سَواءٌ كلُّنا مشفِقٌ على أوطانه

تم بحمد الله

---

١ ــ اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق فى اقصى الفم .

فهرس

الجزء الثانى من الشوقيات

باب الوصف

صفحة	قصيدة		
٣	آية العصر مطلعها :		
	يافرنسا ؛ نلت أسباب السماء	وتقلدت مقاليد الجواء	
٦	شكسبير ، مطلعها :		
	اعلى الممالك ما كرسيه الماء	وما دعامته بالحق شماء	
٩	أثر البال في البال ، مطلعها :		
	حسف كأسها الحبب	فهى فضة ذهب	
١٤	مرقص ؛ مطلعها :		
	مات واحتجب	وادعى الغضب	
١٨	تحلية كتاب ، مطلعها :		
	أنا من بدل بالكتب الصحابا	لم أجد لى وافيا الا الكتابا	
٢٢	الربيع ووادى النيل ؛ مطلعها :		
	آذار أقبل ، قم بنا ياصاح	حى الربيع حديقة الأرواح	١
٢٥	مسجد أيا صوفيا ، مطلعها :		
	كنيسة صارت الى مسجد	هدية السيد للسيد	
٢٧	غاب بولونيا ؛ مطلعها :		
	يا غاب بولنون ولى	ذمم عليك ولى عهود	
٢٨	المرأة العثمانية ، مطلعها :		
	يا ملكا تعبدا	مصليا موحدا	
٢٩	الهلال ؛ مطلعها :		
	سنون تعاد ودهر يعيد	لعمرك ما فى الليالى جديد	
٣١	منظر طلوع البدر من سفينة ، مطلعها :		
	ملك السماء بهرت فى الانوار	فتفداك كل متوج من سارى	
٣٣	بلدة المؤتمر ، مطلعها :		
	لاالسهديدنيني اليه ولا الكرى	طيف يزور بفضله مهما سرى	
٤٠	البسفور ، مطلعها :		
	على أى الجنان بنا تمر	وفى أى الحدائق تستقر	
٤٤	الرحلة الى الاندلس ، مطلعها :		
	اختلاف النهار والليل ينسى	اذكرا لى الصبا وأيام انسى	
٥٢	كوك صو ، مطلعها :		
	تحية شاعر ياماء جكسو	فليس سواك للارواح أنس	
٥٤	أنس الوجود ، مطلعها :		
	أيها المنتحى بأسوان دارا	كالثريا تريد أن تنقضا	
٦٠	النفس ، مطلعها :		
	ضمى قناعك ياسعاد او ارفعى	هذى المحاسن ماخلقن لبرقع	

صفحة	قصـــيدة	
٦٢	الكونكورد ، مطلعها :	
	أميـــدان الوفاق وكنت تدعى	بميـــدان العداوة والشقاق
٦٣	أيها النيل ؛ مطلعها :	
	من أى عهد في القـــرى تتدفق	وبأى كف في المدائن تغـــدق
٧٤	نكبة دمشق ؛ مطلعها :	
	ســـلام من صـــبا بردى ارق	ودمع لايكفكف يادمشـــــق
٧٧	رمضان ولى ، مطلعها :	
	رمضـــــان ولى هاتها ياساقى	مشتاقة تسعى الى مشـــتاق
٧٩	مصر ، مطلعها :	
	أيها الكاتب المصـــــور صور	مصر بالمظهر الانيق الخلـــيق
٨٠	البحر الابيض المتوسط ، مطلعها :	
	أى الممـــــــالك ايهـــا	فى الدهـــــر مارفعت شراعك
٨١	معرض باريس ، مطلعها :	
	رزق الله أهـــل باريس خيرا	وأرى العقل خيـــــر مارزقوه
	باريس ؛ مطلعها :	
	جهد الصبابة ما أكابد فيـــك	لو كان ماقد ذقتـــــه يكفيك
٨٤	وداع ، مطلعها :	
	محجوب ان جئت الحجيـــا	ز وفى جوانحك الهـــوى له
٨٥	طوكيو ، مطلعها :	
	قف بطوكيو وطف على يوكو هامه	وسل القريتين كيف القيـــامه
٨٧	طابع البريد ، مطلعها :	
	أنا من خمســـة وعشرين عاما	لم أرح فى رضـــاكم الأقداما
٨٨	الطيارون ، مطلعها :	
	قم سليمان بســاط الريح قاما	ملك القوم من الجـــو الزماما
٩٢	وصف مرقص ، مطلعها :	
	طال عليهـــا القـــــــدم	فهى وجـــود عـــــــدم
٩٥	توت غنخ آمون ، مطلعها :	
	درجت على الكنـــز القـرون	وأتت على الدن الســـــــون
١٠٠	دمشق ، مطلعها :	
	قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا	مشت على الرسم أحداث وأزمان
١٠٣	أخت أمينة ، مطلعها :	
	هـــذه نور الســـــفينة	هـــذه شـــبه أمينـــه
١٠٤	أندلسية ، مطلعها :	
	يانائح الطلح أشباه عوادينـــا	نشجى لواديك أم نأسى لوادينا
١٠٩	غواصة ، مطلعها :	
	رأيت على لوح الخيال يتيمـــة	قضى يوم لو ستيتانيا أبواهـــا
١١٠	جسر البسفور ، مطلعها :	
	أميـــــر المؤمنين رأيت جسرا	أمر على الصراط ولا عليـــه
١١١	كتاب ، مطلعها :	
	الى حسين حاكم القنـــــــال	مثال حسن الخلق فى الرجـال

باب النسيب

صفحة القصيدة

١١٢ الهمزة ، مطلع القصيدة :
خدعوها بقولهم حسناء ... والغوانى يغرهن الثناء
لا السهد يطويه ولا الاغضاء ... ليل عداد نجومه رقباء

١١٣ سويجع النيل رفقا بالسويداء ... فما تطيق أنين المفرد الناتى

١١٤ ياويح اهلى أبلى بين أعينهم ... على الفراش ولا يدرون مادائى
منك ياهاجر دائى ... وبكفيك دوائى
الباء ، مطلع القصيدة :
لقد لامنى ياهند فى الحب لائم ... محب اذا عد الصحاب حبيب

١١٥ على قدر الهوى يأتى العتاب ... ومن عاتبت يفديه الصحاب
أريد سلوكم والقلب يأبى ... وأعتبكم وملء النفس عتبى

١١٦ روعوه فتولى مغضبا ... أعلمتم كيف ترتاع الظبأ

١١٧ ما تلك اهدابى تنب ... نظم بينها الدمع السكوبه
التاء ، مطلع القصيدة :
لا والقدم الذى والأعين اللاتى ... ماخنت رب القنا والمشرفيات

١١٨ الدال ، مطلع القصيدة :
لحظها لحظها رويدا رويدا ... كم الى كم تكيد للروح كيدا
الرشد أجمل سيرة يا أحمد ... ود الغوانى من شبابك أبعد
ان الوشاة وان لم احصهم عددا ... تعلموا الكيد من عينيك والفندا

١١٩ بثثت شكواى فذاب الجليد ... وأشفق الصخر ولان الحديد
يمد الدجى فى لوعتى ويزيد ... وببدىء بثى فى الهوى ويعيد

١٢٠ هام الفؤاد بشادن ... الف الدلال على المدى

١٢١ للعاشقين رضاك والحسنى ولى هجر وصد
فى مقلتيك مصارع الاكباد ... الله فى جنب بغير عماد
قف باللواحظ عند حدك ... يكفيك فتنة نار خدك

١٢٢ مضناك جفاه مرقده ... وبكاه ورحم عوده

١٢٣ الراء ، مطلع القصيدة :
بالله يانسمات النيل فى السحر ... هل عندكن عن الاحباب من خبر

١٢٤ عرضوا الامان على الخواطر ... واستعرضوا السمر الخواطر

١٢٥ فى ذى الجفون صوارم الاقدار ... راعى البرية يارعاك البارى

١٢٦ لك ان تلوم ولى من الاعذار ... ان الهوى قدر من الأقدار
أتغلبنى ذات الدلال على صبرى ... اذن أنا أولى بالقناع وبالخدر

١٢٧ قلب يذوب ومدمع يجرى ... ياليل هل خبر عن الفجر

١٢٩ بدا الطيف بالجميل وزارا ... يارسول الرضا وقيت العثارا
العين ، مطلع القصيدة :
ابتك وجدى يا حمام واودع ... فانك دون الطير للسر موضع

صفحة القافية

١٣٠ تاتى الدلال سجية وتصنعا وأراك فى حالى دلالك مبدعا
١٣١ ردت الروح على المضنى معك أحسن الأيام يوم أرجعك
١٣٢ الفاء ، مطلع القصيدة :
يقول أناس لو وصفت لنا الهوى لعل الذى لايعرف الحب يعرف
علموه كيف يجفو فجفا ظالم لاقيت منه ما كفى
القاف ، مطلع القصيدة :
جئنا بالشعور والاحداق وقسمن الحظوظ فى العشاق
١٣٣ الكاف ، مطلع القصيدة :
مضنى وليس به حراك لكن يخف اذا رآك
١٣٤ اللام ، مطلع القصيدة :
فدتك الجوانح من نازل وأهلا بطيفك من واصل
لام فيكم عذوله وأطالا كم الى كم يعالج العذالا
١٣٥ بات المضنى والدجى يبتلى والبرح لاوان ولا منجلى
الميم ، مطلع القصيدة :
انا ان بذلت الروح كيف الإم لما رمت فاصابت الآرام
١٣٦ هل تيم البان فؤاد الحمام فتاح فاستبكى جفون الغمام
١٣٧ صريع جفنيك ينفى عنهما التهما فما رميت ولكن القضاء رمى
ذاد الكرى عن مقلتيك حمام لباه شوق ساهر وغرام
١٣٨ شغلته اشغال عن الآرام وقضى اللبانة من هوى وغرام
به سحر يتيمه كلا جفنيك يعلمه
١٣٩ النون ، مطلع القصيدة :
من صور السحر المبين عيونا وأحله حدقا لها وجفونا
١٤٠ اذعن للحسن عصى العنان وحاولت عيناك أمرا فكان
١٤١ يا حسنة بين الحسان فى شكله ان قيل بان
يانا عما رقدت جفونه مضناك لاتهدأ شجونه
١٤٢ صحا القلب الا من خمار أمانى يجاذبنى فى الغيد رث عنانى
الله فى الخلق من صب ومن عانى تفنى القلوب ويبقى قلبك الجانى
١٤٣ قلب بوادى الحمى خلفته رمقا ماذا صنعت به ياظبية البان
الهاء ، مطلع القصيدة :
قولوا روحى فداه هذا التجنى ما مداه
١٤٤ الياء ، مطلع القصيدة :
مقادير من جفنيك حولن حاليا فذقت الهوى من بعد ماكنت خاليا
١٤٥ أهل القدود التى صانت عواليها الله فى مهج طاحت غواليها
١٤٦ أدارى العيون القاتلات السواجيا وأشكو اليها كيد انسانها لها

متفرقات

صفحة القصيدة

١٤٧ مصاير الأيام ، مطلعها :
الا حبـــذا صـــحبة الكتب واحبب بايامهـــــا أحبب

١٥٠ لبنان ، مطلعها :
السحر من سود العيون لقيته والبـــابلى بلحظهن سقيته

١٥٣ المؤتمر ، مطلعها :
سرح على الوادى المبارك ضاحى متظاهر الأعلام والأوضـــاح

١٥٦ النسر المصرى ، مطلعها :
أعقاب فى عنـــان الجو لاح أم سحاب فر من هـوج الرياح

١٥٨ توت عنخ آمون ، مطلعها :
قم سابق الساعة واسبق وعدها الأرض ضاقت عنك فاصدع غمدها

١٦٠ مصرع كتشنر ، مطلعها :
قف بهذا البحر وانظر ماغمـر مظهر الشمس واقبال القمـر

١٦٤ البرلمان ، مطلعها :
سكن الزمان ولانت الاقـــدار ولكل أمـر غـاية وقـرار

١٦٦ قصيدة فى حفلة ، مطلعها :
قل للرجال طغى الاســـير طير الحجـــال متى يطيـــر

١٦٩ حسنين بك ، مطلعها :
جن على جرم الســـماء أغاروا أم فتية ركبوا الجناح فطاروا

١٧١ صقر قريش ، مطلعها :
من لنضـــو يتزى الـــا برح الشـــوق به فى الغلس

١٧٨ رحله ، مطلعها :
شيعت أحلامى بقـــلب باك ولمحت من طرق الملاح شباكى

١٨١ استقلال سوريا ، مطلعها :
حيـــاة ما نريد لها زيالا ودنيـــا لا نود لها انتقـــالا

١٨٤ تمثال نهضة مصر ، مطلعها :
جعـــلت حلاها وتمثـــالها عيون القـــوافى وأمثالها

١٨٧ الحرية الحمراء ، مطلعها :
فى مهرجان الحق أو يوم الدم مهج من الشـــهداء لم تتكلم

١٨٨ على بك ابراهيم ، مطلعها :
ابتغوا ناصـية الشمس مكانا وخذوا القمـــة علما وبيـانا

١٩٠ تحية الشاعر ، مطلعها :
مرحبـا بالربيـع فى ريعـــانه وبـــانواره وطيب زمـــانه

طبع على مطابع
دار الكتاب العربي في بيروت